

تصوّف الغرب الإسلامي

شرح نونية الششتري

لابن عجيبة الحسني

تقديم تحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور محمد العاروني الهادي



دار الثقافة
مؤسسة للشؤون الثقافية

تصوف الغرب الإسلامي

شرح نونية الششتري لابن عجيبة الحسني

تقديم تحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور محمد العدلوني الإدريسي



دار الإرفان
لنشر والتوزيع

34-33 شارع المنصور بـمكة - م.ب. 4926

الهاتف 022.30.76.66 - 022.30.33.75

فاكس 022.30.68.11 - الدار البيضاء 20000

إهداء

إلى آدم الكوني
حفيدي العزيز وقرة عيني

القسم الأول

مقدمة التحقيق

الفصل الأول

تاريخ حياة صاحب القصيدة النونية
وتاريخ حياة شارحها

-I-

تاريخ حياة الششتري صاحب النونية

I- تاريخ حياة الششتري صاحب النونية :

أ- هو أبو الحسن الششتري (بشنيين معجمتين أولهما مضمومة، والثانية ساكنة بعدها تاء مثناة فوقية معجمة تم راء). ويدعى باللوشي نسبة إلى القرية التي قضى بها بعضاً من طفولته بالأندلس وهي «لوشة». إلا أن أكثر ألقابه شيوعاً هو الششتري، وقد أورد هو نفسه هذا اللقب في بعض منظوماته للتعريف بحاله وذلك في قوله⁽¹⁾ :

إِنَّمْ زَجَلْ سِمَسَار	بالبَيْع والشَّري
ومن يبع ما يخسر	لأنني مشتري
غالي في طيِّ أسرار	لوشي وششتري

ب- ومن ألقابه كذلك : المديني، نسبة إلى «أبي مدين شعيب» الملقب بالغوث (ت 594هـ).

ولد «أبو الحسن» حوالي سنة 610هـ الموافق لسنة 1212م⁽²⁾، وتوفي سنة 668هـ الموافق لسنة 1269م.

ج- ثقافته ونوع العلوم التي أخذها : يمكن استخلاص نوعية العلوم التي حصلها ونبع فيها، والمظاهر الحضارية والأذواق الفنية التي تثقف بها، من النص التالي، الذي يقدم فيه الغبريني وصفاً لشخصية الششتري العلمية

(1) ديوان أبي الحسن الششتري : الشعر زجل بالفصحى مع مظاهر مشرقية، ص 97.
(2) عن تاريخ حياته بشكل واسع أنظر كتابنا : «أبو الحسن الششتري وفلسفته الصوفية» ومن الذين اهتموا بحياته قديما :

- أبو العباس الغبريني : «كتاب عنوان الدراية»، دار الآفاق، بيروت، ط 2، 1979، ص 239.
- ابن فرحون : «كتاب نيل الابتهاج»، ط 1، لبنان، د. ت، ص 202.
- والمقرئ التلمساني : «كتاب نفح الطيب»، بيروت، 1968، ط 2، ج 2، ص 185....

والأدبية. فهو عنده : «الشيخ الفقيه الصوفي الصالح العابد الأديب المتجرد، من الطلبة المحصلين، من الفقراء المنقطعين، له معرفة بالحكمة [الفلسفة] ومعرفة بطريقة الصالحين الصوفية، وله تقدم في علم النظم والنثر على طريقة التحقيق، وشعره في غاية الانقطاع والملاحاة، وتواشيعه ومقفياته ونظمه الهزلي الزجلي في غاية الحسن»⁽¹⁾.

د- أساتذة الششتري وشيوخه : «للششتري» قصيدة هامة تعرف «بالتونية» أو «بالشرق والغرب»⁽²⁾ ومطلعها :

أرى طالبا منا الزيادة لا الحسنى بفكر رمى سهما فعدى به عَدْنَا⁽³⁾
كشف فيها عن جذور المدرسة التي ينتمي إليها وعدَّدَ فيها الأشياخ
والأساتذة الذين أخذ عنهم مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، فذكر فيها معرفته بـ :

- عبد الحق بن سبعين (614هـ - 668هـ) وعنه أخذ علومه في الفلسفة والتصوف على الطريقة اليلسية (وحدة الوجود المطلقة).

- ابن سراقه محمد بن إبراهيم الشاطبي الأندلسي (592هـ - 662هـ) على يديه عرف أول الطريق الصوفي السني المعتدل.

- أبو مدين شعيب الغوث (ت 601هـ)، الذي تأثر خاصة بطريقته في نظم أشعاره وموشحاته في الحب الإلهي والإخلاص الصوفي.

- محي الدين بن عربي (560هـ - 632هـ)، تأثر الششتري بنظرته في وحدة الوجود المقيدة (الوحدة بين الله والعالم من حيث الصفات لا من حيث الذات) واعتمد كتبه : «الفتوحات»، «الفصوص»، وديوانه الشعري «ترجمان الأشواق».

(1) عنوان الدراية، ص 239.

(2) أنظر : الديوان، ص 72 وما يليها، وكتاب «الإحاطة»، ص 210-212، وقد قام بشرحها الشيخ أحمد زروق، مخطوط مكتبة الاسكوريال باسبانيا، رقم 40186، وقام كذلك بشرحها «ابن عجيبة»، مخطوط الخزنة العامة، رقم 1736/8 د.

(3) شرح هذه القصيدة وتحليل مضامينها، هو موضوع تحقيقنا ودراستنا.

- كما عرف آراء «السهرودي الحلبي» الإشراقي (549هـ - 588هـ)، و«ابن الفارض» وتائيته (ت 632هـ)، وتعرف على آراء «الحلاج» (ت 309هـ) الحلولية، وآراء «الشاذلي» (ت 334هـ) و«النفري» (ت 354هـ) في وحدة الشهود، و«ابن برجان» (ت 536هـ) في تفسيره للقرآن، و«ابن قسي» (ت 546هـ) وكتابه خلع النعلين.

- غير أن معرفته بالطائفة الشاذلية في شخص رائديها : أبي العباس المرسي (ت 668هـ) وابن عطاء الله الإسكندري (ت 668هـ) في آخر حياته سيجعله من الأتباع المخلصين للطريقة إلى وفاته بمصر سنة 668هـ.
وفي ذلك قوله :

شيوخهم هم شاذلية في حبههم قلبي يطيب

1- مذهب الششتري الصوفي :

يقوم مذهب أبي الحسن الصوفي عامة على فكرة أساسية تقول : «ليس إلا الله» وأن وجود الله الحقيقي هو في نفس الإنسان : «من عرف نفسه عرف ربه». وقد استطاعت نظريته هذه أن تستوعب مختلف الرواسب الفكرية التي خلفتها تيارات الفكر والثقافة العربية في عصره، فكان مذهب (الليسي) نظرية امتازت باحتوائها وتجاوزها لأطروحات سابقه، عندما أكد أن الوجود واحد سواء كان هذا الوجود هو الله أو هو الإنسان، فليس هناك إلا الوحدة ليس إلا.

ويمكن اعتبار مذهب في الوحدة أقصى ما وصل إليه مذهب وحدة الوجود الصوفي، وذلك لتأكيد على المبادئ التالية :

- أ - إن الوجود واحد، لا فرق بين الوجود الإلهي والوجود الإضافي بما فيه الإنسان، وأن الإلمام بهذه الحقيقة لا تتطلب البحث في مجال خارج عن الذات، بل إن الذات الإنسانية هي كنه الحقيقة.
- ب - إن المعرفة الحق هي المعرفة بالوحدة، ليست وحدة ظاهر الشرع بل الوحدة التي لا تقبل السوى.

ج - إن إدراك هذا الوجود الواحد والتحقق بمعرفته هي الناتجة عن الأخلاق الحق القائمة على مجاهدة النفس وتهذيب سلوكها، وتطهيرها وتحضيرها من أجل أن تبلغ الكمال، حتى لا تنطق إلا بالوحدة، ولا تشهد إلا هي، ولا تتحقق إلا بمعرفتها.

2- مؤلفات المشتري :

للمشتري عدة مؤلفات ومنها :

أ - ديوان شعري هائل مكون من قصائد وأزجال وموشحات تطرق فيها لكل المواضيع الصوفية : الوجودية والمعرفية، والأخلاقية، وقد قمنا بإعادة تحقيقه ونشره بدار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1 ، 2008، بمشاركة صديقنا الأستاذ سعيد أبو الفيوض.

ب - الرسالة العلمية : وهي التي قمنا بتحقيقها والتعليق على مادتها العلمية في كتاب أصدرناه في طبعته الأولى عن دار الثقافة، 2004.

ج - المقاليد الوجودية : قمنا كذلك بتحقيقها والتعليق عليها في طبعة أولى سنة 2008.

د - الرسالة البغدادية : وهو النص الذي حققناه وأصدرناه ضمن كتابنا : «نصوص من التراث الصوفي الغرب إسلامي» دار الثقافة 2008.

هـ - الرسالة القدسية : لازالت مخطوطة لها نسختان :

الأولى بدار الكتب المصرية : تصوف 149 رفقة المقاليد الوجودية. الثانية بمكتبه «شيعت علي (Shehit Ali) باستنبول تحت رقم 1389/3.

وللمشتري مؤلفات أخرى تعتبر في حكم المفقود ومنها :

* «العروة الوثقى»

* «ما يجب على المسلم أن يعلمه»

* «المراتب الإيمانية والإسلامية والاحسانية».

-II-

تاريخ حياة ابن عجيبة شارح النونية

I- تاريخ حياة ابن عجيبة شارح النونية

أ- اسمه مولده ونشأته :

1- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسن بن محمد بن عجيبة الحجوجي⁽¹⁾ بن عبد الله بن عجيبة. يمتد نسبه إلى مولاي أحمد بن مولاي ادريس الأزهر بن مولاي ادريس الأكبر⁽²⁾.

2- ينتمي ابن عجيبة إلى أسرة عريقة بشمال المغرب، كانت تستوطن في بداية أمرها مدينة سبتة، لكن بعد أن احتلها المستعمر البرتغالي بداية القرن الخامس عشر الميلادي (15م) حوالي سنة 807هـ، نزحت إلى ريف تطوان بمعية جده «عبد الله» وترسخت جذورها إلى أيامنا هذه.

وقد عرفت هذه الأسرة عند أهل المنطقة منذ حلولها، بصلاحتها وتقواها وميلها إلى التزهد في ملذات الحياة، وخشيتها الشديدة لله وسعيها في مرضاته.

ولادته كانت حوالي سنة 1747م الموافق لأواسط سنة 1160هـ في مدشر أو قرية «عجيش»، بقبيلة الحوز، قرب سوق أنجرة⁽³⁾.

عاصر ابن عجيبة حكم ثلاث ملوك من الدولة العلوية :

(1) و (2) الحجوجي هذا هو جد والد ابن عجيبة، وهو من أهل «الخطوة» : أي أنه كان يقطع مسافات بعيدة بطريقة «السفر بالهمة»، دون أن يغادر موضعه. إذ كان - حسب ما يحكى عنه - يحج بيت الله الحرام ويعود في يومه. فأطلقت عليه كنية الحجوجي (أنظر فهرسه المخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1845د. الرباط، المغرب. ص 34-35).

(3) أنظر مقدمة كتاب «معراج التشوف إلى حقائق التصوف»، تأليف : «ابن عجيبة»، ط 1، 1402هـ - 1982م. ص 5.

السلطان محمد بن عبد الله (ولايته 1171هـ) الذي ساد معه استقرار نسبي عما عرفته ثلاثون سنة خلت، كما أحيى سنة الجهاد وفتح الثغور.

والسلطان المولى يزيد الذي ولي الخلافة سنة 1204هـ بعد وفاة والده الذي امتاز عهده بحصار مدينة سبتة والحرب مع الاسبان.

والسلطان المولى سليمان الذي ولي بعد موت أخيه سنة 1206هـ والذي تميزت خلافته بالتدهور العام، والتراجع الحصري الخطير، حتى أصبح المغرب مطمعا للاستعمار الأربي : الفرنسي والاسباني.

لقد ولد ابن عجيبة وعاش طوال حياته في مغرب ضعيف سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، يتسم بالظلم والتمييز والاضطهاد الاجتماعي والفكري، وتفاعل معها وتأثر بها وحاول التأثير فيها وتصحيح أوضاعها خاصة الفكرية منها. وقد ظهر ذلك جليا على مواقفه ومسيرته العلمية والسياسية وطفى عليها.

كانت تنشأته الاجتماعية تنشأة مفعمة بالقيم الإسلامية والإيمانية، فتشبعت روحه وشخصيته منذ نعومتها بقيم المروءة والمحبة والإحسان، وإخلاص النية والإيمان بالكرامات، مع صدق العبادة وقيام الليل ومباعدة مواطن اللهو، والميل إلى الخلوة والتأمل، مما كان يعرضه إلى عتاب أقاربه⁽¹⁾.

وقد لعبت والدته دوراً أساسيا وحاسما في بناء شخصيته وتكوين بعض مظاهر وجدانه ؛ إذ كانت - كما تحدث عنها في فهرسته - تتميز بالتقوى وخشية الله ومراقبته، قنوعة زاهدة ومتبلة. كما كانت تحفظ عن ظهر قلب الكثير من الأوراد والأحزاب، كالوظيفة الزروقية في التصوف، وتصلية عبد السلام بن مشيش وغيرهما⁽²⁾.

(1) يقول في ذلك : «ومنذ أخذت عقلي ما تركت الصلاة في وقتها... ولقد كنت وأنا صغير في المكتب نقوم في نصف الليل ونأتي المسجد... فنؤذن فيه ونجلس إلى صلاة الصبح. وأنا حينئذ لا أحسن شيئا من القراءة، وكنت والحمد لله، ألهمني الله الخلوة والوحدة، لا ألعب مع الصبيان... حتى كان بعض النساء يعاتبني في ذلك ويقولن لي : الوحدة إنما هي لله...» معراج التشوف ص 4.

(2) الفهرس ص 44-45.

فكان لهذا كله الأثر الكبير في تكوينه العلمي والعملية وتشبته بالاتجاه الوجداني الصوفي في التفكير والسلوك، والخوض في علم الباطن واتباع سبله، رغم محاولة والده لإبعاده عن هذا المنهج وحمله على اتباع برامج العلم الظاهر والافتداء بعلمائه، الذي كان له فيه حظ وافر، دون أن يكون هو الهدف عنده⁽¹⁾.

ب- مراحل تطوره العلمي :

تكون ابن عجيبة العلمي مر عبر مراحل أهمها :

- مرحلة الطفولة ما بين 1160هـ/1747م - 1178هـ/1765م. ابتدأت بحفظ القرآن وتعلم التجويد سواء في مدشره أو بالقرى المجاورة القرية. ومن أساتذته في ذلك : جده المهدي، وثلة من الفقهاء المرموقين مثل : أحمد الطالب، والصالح عبد الرحمان الكتامي الصنهاجي، والعربي الزوادي، ومحمد أشمل.

ثم توجه إلى دراسة العلم بالإضافة إلى القرآن وعلومه، بمساعدة شيخه «الفقيه محمد السملالي» الذي لازمه مدة عامين درس فيها «مقدمة الأجرمية والألفية وابن عاشر والخراز وجزءاً من حرز الأمانى...»⁽²⁾.

وفي آخر هذه المرحلة، حوالي سنة 1179هـ، وبعد أن توسم فيه والده ملامح الذكاء والشغف بالعلم والعلماء، أخذه إلى مدينة تطوان لملاقاة فطاحلها للتزوع من فكرهم. إلا أنه لم يلتقي إلا بعالم واحد، لكنه أشهرهم، ألا وهو «أبو العباس أحمد الورزازي» المتوفى 1179هـ بتطوان، الذي سيكون له تأثير عظيم في حياته العلمية ومواقفه الاجتماعية مستقبلاً⁽³⁾.

(1) عن تفاصيل حياة ابن عجيبة العلمية والروحية ؛ أنظر الفهرس، وكذلك الدراسة القيمة التي قام بها الدكتور عبد المجيد الصغير حول ابن عجيبة بكتابه : «اشكالية إصلاح الفكر الصوفي» دار الآفاق الجديدة 1988.

(2) أنظر الفهرس ص 48، ومعراج التشوف ص 5.

(3) الفهرس ص 48، و«تاريخ تطوان»، محمد داود ص 214، مطبعة المهدي 1966.

- مرحلة الشباب واكتمال بناء شخصيته العلمية والروحية، وقد امتدت من 1178هـ/1765م - 1208هـ/1794م. وعرفت بمثابرته في طلب العلم وتحصيل فنونه وعلى رأسها :

- علوم الأذهان : من منطق وكلام (سني أشعري) وعلم الهيئة.
- علم الأديان : من قرآن وعلومه، وفقه وأصول، وحديث شريف وسير، ومغازي وشمائل وتاريخ.
- علوم اللسان : من لغة وتصريف ونحو وبيان، باستثناء الشعر والعروض والحساب، لبرودة قريحته عنها.
- علم الحقيقة : وهو العلم الذي أخذ منه لبه وأصبح محط رجله، فكانت له فيه اليد الطولى والقدم الفالاج، وفيه حرز قصب السبق⁽¹⁾.

- مرحلة النضج الفكري والوجداني وتمتد لستة عشرة سنة من 1208هـ/1794م إلى 1224هـ/1809م. وهي المرحلة التي دخل فيها طريق القوم منتقلا من مرتبة العلماء إلى مقام الأولياء بمساعدة شيخين كبيرين في هذا المضمار وهما : محمد البوزيدي والعربي الدرقاوي. حتى أصبح حجة للطائفة الصوفية الشاذلية الدرقاوية، والناطق الرسمي بها. محاولا بما أوتي من جهد وقوة صبر، العمل بوعي وإصرار على تجديد الخطاب الصوفي وإصلاح فكره⁽²⁾.

وذلك بالجمع بين الشريعة والحقيقة وجعل القوانين الشرعية تتلائم والاخلاق الصوفية، مع شرح وتوضيح مضامينهما. وجعل مباديء التصوف بسيطة في تناول الجمهور. لأنه وكما كان يعتقد لا يمكن أن ينتشر

(1) وعن مجمل ما حصله من العلوم في مراحل حياته يقول : «والذي حصلناه من هذه العلوم : علوم الأذهان والمنطق والكلام، على مذهب أهل السنة. والمهم من علم الهيئة ومن علم الأديان : علوم القرآن والفقه والأصول.

ثم صحبت الرجال مترقين إلى مقام الشهود والعيان. وأما التصوف، فهو علمي ومحط رجلي، فلي في اليد الطولى، والقدم الفالاج. حرزت فيه قصب السبق على طريق أهل الأذواق فله الحمد...» (الفهرس ص 149).

(2) أنظر اشكالية إصلاح الفكر الصوفي، ص 140، 141.

التصوف إلا في قالب الشريعة، مسترشداً بما رام تحقيقه شيخه الأزموني⁽¹⁾ «أبو الحسن الشاذلي»، في تحقيق هذه المعادلة الصعبة.

د- وفاة ابن عجيبة وقبره :

توفي الشيخ ابن عجيبة رحمة الله عليه بقبيلة غمارة في دار شيخه «محمد الوزرازي» في السابع من شوال سنة 1224هـ ودفن بها. غير أنه وبرغبة من أصحابه ومريديه نقل إلى زاوية «بالزميج» في قبيلة أنجرة فأقبر بها⁽²⁾.

(1) عن شيخه وأساتذته الزميين في مجالات العلوم والمعارف التي تلقاها : يذكر ابن عجيبة عدداً هاما من الفقهاء والعلماء ورجال التصوف الذين أخذ عنهم في فهرسه، ومنهم حسب قوله : «فأخذت العلم عن الققيهن العالمين المدرسين : سيدي أحمد الرشتي، وسيدي عبد الكريم بن قريش»... فقرأت على الفقيه الرشتي : الألفية ومختصر خليل، والسلم. ومختصر السنوسي في المنطق، والصغرى، والكبرى، والمقنع والخزرجية. وقراءت على الشيخ سيدي «عبد الكريم بن قريش» : التفسير، والبخاري مراراً ومسلماً ومختصر خليل، والرسالة، وتحفة الحكام لابن عاصم... وأخذت عن غيرهما... كالفقيه «سيدي محمد الوزرازي»... شيئا من الألفية، ومختصر خليل.

وأخذت عن النحوي الشهير «سيدي محمد العباس» : ألفية ابن مالك وقواعد ابن هشام. وأخذت أيضاً عن القاضي الشهير «سيدي عبد السلام بن قريش» تفسير القرآن العظيم وشمائل الترمذي... وجلست في حلقة سيدي «محمد غيلان»...، وحلقة سيدي «علي شاطر»...

ولما قدم شيخنا الفقيه العلامة سيدي «محمد الجنوي الحسني» مدينة تطوان أخذت عنه : مختصر خليل، والتلخيص، ومختصر السبكي... والبخاري... وجزءاً من مسلم، والرسالة، وحكم ابن عطاء الله في التصوف... وأصول الطريقة للشيخ زروق... وجزئين من تفسير القرآن العظيم.

وسمعت البخاري من شيخنا، شيخ الجماعة العالم العلامة «محمد التاودي ابن سودة» (بمدينة فاس)... وأجازني إجازة تامة.

وأخذت علم الفرائض عن... العلامة... سيدي «محمد بنّيس»... وأجازني أيضاً في سائر العلوم.

وجلست في حلقة... «سيدي أحمد الزعري»... و«سيدي الطيب بن كيران». (وبعد ذلك) أخذ الله بيدي بمعرفة شيخنا العارف... (بتطوان) «سيدي محمد البوزيدي الحسني»، وشيخه (مولاي العربي الدرقاوي) قطب التربية النبوية، وأصل مادة الطائفة الدرقاوية». (معراج التشوف ص 7 - 8 - 9).

(2) أنظر عن خير وفاته وقبره : تاريخ تطوان ج 6 ص 254-255.

وضريحه موجود إلى الآن في تلك القرية النائية على هضبة الزميج وهو مرتفع لا يبعد عن مضيق جبل طارق إلا بحوالي خمسة عشرة كيلومترات.

آثار ابن عجية :

خلف هذا الشيخ الجليل آثاراً فكرية عظيمة حاول من خلالها ترسيخ الفكر الصوفي الدرقاوي وتطويره والدفاع عنه، بكل ما أوتي من علم ومعرفة، وبِعَظِيم الحزم والمسؤولية. فبلغت مؤلفاته ما يفوق الأربعين، ناهيك عن الرسائل والقصائد الشعرية والتوشيح. منها ما ألفه في مرحلة ما قبل تصوفه أي قبل سنة 1208هـ. ومنها ما ألفه بعد أن دخل غمار التصوف وأصبح داعية للطريقة الدرقاوية.

ومن أهم هذه المؤلفات :

مؤلفات ما قبل تصوفه وهي كتب لا تخلو من أثر صوفي وإن غلب عليها علم الظاهر.

- اللواحق القدسية في شرح الوظيفة الزروقية⁽¹⁾
- الأنوار السنية في شرح القصيدة الهمزية⁽²⁾
- شرح الحزب الكبير للشاذلي⁽³⁾
- شرح أسماء الله الحسنی⁽⁴⁾
- الأربعون حديثاً في الأصول والفروع والتصوف⁽⁵⁾
- أزهار البستان في طبقات العلماء والصلحاء والأعيان⁽⁶⁾

(1) مكتبة تطوان رقم 301م.

(2) المكتبة الوطنية الرباط رقم 1296ك.

(3) مكتبة تطوان ضمن مجموع رقم 301.

(4) خزانة جامع القرويين رقم 1511.

(5) أورده في فهرسه ص 59-60. ورد في معراج التشوف ص 9.

(6) المكتبة الوطنية الرباط رقم ك 286.

مؤلفات تطبعها تجربة ابن عجيبة الصوفية، وهي مفعمة بعلم الأذواق
والحقائق ومنها.

- إيقاظ الهمم في شرح الحكم⁽¹⁾
- شرح خمرة لابن الفارض⁽²⁾
- شرح قصيدة في المحبة للششتري⁽³⁾
- شرح منظومة الشيخ محمد البوزيدي في السلوك⁽⁴⁾
- البحر المدير في شرح القرآن المجيد⁽⁵⁾
- شرح نونية الششتري. وهو المؤلف موضوع الدراسة والتحقيق.
- معراج التشوف إلى حقائق التصوف⁽⁶⁾
- الفهرس⁽⁷⁾
- ديوان قصائد وموشحات⁽⁸⁾.

-
- (1) طبع وبهامشه كتاب الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، في جزئين بدار المعرفة لبنان بدون تاريخ.
 - (2) المكتبة الوطنية الرباط رقم 1148ك.
 - (3) المكتبة الوطنية الرباط رقم 1388د.
 - (4) ذكره «داود» في تاريخ تطوان، المجلد 6 ص 233.
 - (5) وهو مجلد ضخيم يتكون من 1400 صفحة من القطع الكبير، يوجد بالمكتبة الوطنية الرباط تحت رقم 2101ك. وقد طبع من هذا التفسير مجلدان بالقاهرة سنة 1955م - 1956م يضمان تفسير السور الستة الأولى من القرآن الكريم.
 - (6) يهتم بالمصطلحات الصوفية رقمه في المكتبة الوطنية الرباط 1974د، وقد طبع من طرف حفيده أحمد محمد بن عجيبة ط 1، 1982 تطوان.
 - (7) مكتبة تطوان رقم 845.
 - (8) ورد في مجموع مكتبة تطوان للمخطوطات رقم 845ب.

الفصل الثاني

النص موضوع التحقيق

محتواه - منهجية تأليفه - قيمته التاريخية والعلمية

الفصل الثاني : النص موضوع التحقيق محتواه ومنهجية تأليفه، قيمته التاريخية والعلمية

أولاً : النص موضوع التحقيق

1- محتوى النص ومنهجية تأليفه :

هذا الشرح لابن عجيبة الحسني، ذكره المؤلف في فهرسه حيث قال :
«... ثم شرحت نونية الششتوري في أربعة كرايس صغراً»⁽¹⁾.

وذكره كذلك الأستاذ داود في تاريخ تطوان عند تناوله لحياة ابن
عجيبة وآثاره⁽²⁾.

ومن الغربيين الذين أوردوا ذكر هذا الشرح واعتمدوه في فهم تصوف
ابن عجيبة : ج. ل. ميشون، سواء في ترجمته إلى الفرنسية «للفهرس»⁽³⁾ أو في
دراسته لفكر ابن عجيبة من خلال بعض نصوصه، عند عرضه لمؤلفات
ونظريات الشيخ⁽⁴⁾.

يتكون هذا الشرح من حوالي 62 صفحة حسب مخطوطة الرباط، و40
صفحة في مخطوطة عبد الله كنون. و60 صفحة في مخطوطة الخالدي.

(1) أنظر مقدمة معراج الشوف، نفس المعطيات، ص 10.

(2) تاريخ تطوان، المجلد 6، ص 227.

Michon J. L. : L'autobiographie (FAHRASA) du Sofi marocain Ahmad Ibn 'Agiba, (3) Leiden 1969.

Michon J. L. : Le Soufi marocain Ahmad Ibn 'Agiba et son Mirage, Paris, Librairie (4) Philosophique, Jean Vrin 1979.

القصيدة «النونية» المسماة «بالشرق والغرب» في مضمونها الأصلي عند ناظمها أبي الحسن الششتري تدور حول المذهب الصوفي الذي انتهجه، والذي هو تركيب وتهذيب لأهم النظريات الصوفية والفلسفية التي عرفتها الثقافة والفكر الإنسانيين. وتقدم إشارات قصيرة، لكنها دقيقة، لأهم الآراء والأفكار التي أخذ بها. ويذكر فيها عدداً من الأساتذة والأشياخ الذين اقتدى بهم، والذين كانوا أئمة للمذاهب الصوفية المشهورين في عصره. كـ «عبد الحق بن سبعين»، «محي الدين بن عربي» رائداً نظرية وحدة الوجود⁽¹⁾. كما يذكر عدداً آخر من شيوخ التصوف والفلسفة من عصور سابقة على عصره، ويعتبر أنهم أثروا في التصوف بالغرب الإسلامي عامة والتصوف الفلسفي الأندلسي خاصة، مثل: «الشابلي» (ت 334هـ) و«النفري» (345هـ) وقضيبي البان (ت 573هـ) و«أبي مدين الغوث» (ت 601هـ)، و«السهورودي المقتول» (ت 558هـ) و«الغزالي» (ت 505هـ) و«ابن طفيل» (ت 581هـ) و«ابن رشيد» (ت 595هـ). وقبلهم جميعاً، يذكر: «هيرمس» و«سقراط» و«أفلاطون» و«أرسطو».

محاولاً من كل ذلك الكشف عن جذور المدرسة الصوفية في الغرب الإسلامي، والتي يظهر فيها دور «ابن مسرة الجبلي»⁽²⁾ كرائد و«ابن سبعين» كأهم مطور ومأثر.

أما مضمون القصيدة في شرح «ابن عجيبة» فقد اتخذ منحى خاصاً؛ فبصفته أحد رجال الطريقة المتميزين، وشيوخها المعترين، حاول بتّ الآراء الصوفية، وتلقين السلوكات الأخلاقية السامية، هدفه الموجه هو تصحيح مصار التصوف في عصره، وإصلاح أوضاعه - التي بلغت درجة كبيرة من مظاهر الانحلال - والدفاع عن الطريقة الدرقاوية، والشرح والتنظير

(1) أنظر حول فلسفتيهما كتابنا:

أ- التصوف في فلسفة ابن سبعين، دار الثقافة 2006.

ب- ابن عربي ومذهبه الصوفي الفلسفي، دار الثقافة 2004.

(2) أنظر حول ذلك كتابنا: المرحلة الابتدائية في تكون التصوف بالغرب الإسلامي: ابن مسرة ومدرسته. دار الثقافة 2000.

للتجديد الدرقاوي للفكر الشاذلي⁽¹⁾. موظفاً من أجل ذلك ثقافته الفقهية والعلمية الأخرى المختلفة، المساعدة على التفقه في الأمور الدينية والدنيوية وتهذيب السلوك الظاهر، وموظفاً كذلك معرفته وفهمه العميق للتصرف. محتسباً أن العلم الحقيقي هو الذي يجمع بين الظاهر والباطن في مقاربة الحق ومعرفته. فـ «من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق. ومن جمع بينهما فقد تحقق»⁽²⁾.

في بداية شرحه للنونية يوجه انتقاداً للشيخ «أحمد زروق» الذي شرح نفس القصيدة مقتصرأً - في نظره - على حل مَعْمَى ألفاظها، وتبيان معانيها سطحياً، دون قدرته على الغوص في غوامضها والكشف عن أسرارها الربانية. فكثير اعتراضه وتشديده على أهل الله. ويعلل ذلك، بأن «زروق» كان إماماً في علوم الطريقة ولم يكن إماماً في علوم الحقيقة.

ثم يعرف بالناظم ويترجم له ويبسط لبعض أحواله ومواقفه الحياتية وانتماءاته المذهبية. فتعرض لأشياخه وعلى رأسهم «ابن سبعين». وحاول تبرأة ذمتهم وإرجاع ما اتهموا به من زيغ ومروق عن الدين : إلى نقص فهم، وقصور في تأويل المتأولين من أهل الظاهر لكلام أهل الباطن الذين «رموا بالحلول والاتحاد مع تنزههم عنه، (ومنهم) «ابن العربي» و«الششتري» و«ابن الفارض»».

ويورد بعد ذلك قول الشيخ «زروق» عن مضمون القصيدة الذي يدور على مقاصد طريق العارفين وتعريف أحوال الرجال، والتي جزأها إلى ثلاث :

الأول : من بداية القصيدة إلى الشطر الأول من البيت (19) : «أما ملك هول فاستمع لو صيتي.» وهو في تعيين المطلوب وما يطلب، ووجه المعاملة فيه نفيًا وإثباتًا.

(1) حول دور ابن عجيبة في شرح تجديد الدرقاوية للشاذلية، أنظر «إشكالية إصلاح الفكر الصوفي» ذ. عبد المجيد الصغير، ط 1، 1988 الباب الثاني من ص 53 إلى ص 249.

(2) «ابن عجيبة» : «إيقاض الهمم في شرح الحكم» وبهامشه «الفتوحات الإلهية»، دار المعرفة بيروت (د. ت) ص 5. والقول منسوب إلى الإمام مالك رضي الله عنه.

الثاني : من الشطر الثاني من البيت (19) إلى «فكم وافق أردى وكم سائر هدى» البيت (39). وفيه قام بذكر العقل وبسط حقيقته القائمة على تناقضاته وتصوره بالمحسن والقبائح⁽¹⁾.

الثالث : يطرح فيه قيمة العقل والأمور التي أكسبها لذويه من حقائق وأوهام وكمال ونقصان. ويعرض فيه لأهم رجالات وشيوخ التصوف والفلسفة والتصوف الفلسفي، الذين هاموا بالعقل وما أورثهم من حقائق وأوهام.

ثم انطلق بعد ذلك يشرح أبيات القصيدة بيتا بيتا موظفاً لحشد هائل من المدعمات النظرية واللغوية والسلوكية الأخلاقية : من آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة وأقوال لفطاحلة المتصوفة والشعراء والأدباء والصالحين والأولياء، ونظريات في الوجود والمعرفة والأخلاق، وأمثلة من تجارب ذوقية روحية.

كما أنه استعمل الكثير من المصطلحات الصوفية والأخرى الفلسفية وكذا الصوفية الفلسفية، كالحظوظ واللمحوظ، والحلول والاتحاد. ووحدة الشهود ووحدة الوجود، والكرامات والفناء والبقاء، وذبح النفس، والأحوال والمقامات، والاعتبار، والتجلي، والملك والملكوت. إلى غيرها من أمهات المفاهيم والمصطلحات التي عرفها متصوفة الإسلام عامة، ومتصوفة الغرب الإسلامي خاصة. واستعملها استعمالاً ملائماً ودقيقاً، لوعيه التام بصعوبة الخوض في موضوع التصوف خاصة النظري منه، الذي ينحو نحو التعقيد والترميز والإخفاء.

(1) عن هذا الموضوع انظر كتابنا : «أبو الحسن الششتري وفلسفته الصوفية»، دار الثقافة 2005. الباب الثاني «فصل نظرية المعرفة الصوفية».

فهو يرى أن العقل عندما يرتفع بإدراكه من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح، فإنه في الواقع لا يعرج، وإنما يرتقي في نفسه، والوهم هو الذي يحيل إلى الغيرية، كما أن الأوهام تلك هي التي تخيل له الإثنية في الكون ؛ والحقيقة أن لا موجود إلا الله. فالعقل رغم ما له من قيمة عند الإنسان في إدراك بعض الحقائق والتميز والإدراك إلا أنه في محاولته تطبيق منهجه هذا في معرفة حقيقة الوجود، يفشل.

فجاء أسلوبه مطبوعاً من جهة بطابع الرمزية والصرامة التعبيرية. وجاء من جهة أخرى معبراً عن آرائه وتجربته الصوفية بوضوح وتناسق وإحاطة، رغم بعض الأخطاء والخلط الذي سقط تحت وطأتها⁽¹⁾، والتي في نظرنا لم تنقص شيئاً من قيمة عمله⁽²⁾.

2- قيمة النص التاريخية والعلمية :

شرح نونية «الششتري» لابن عجيبة الحسني، كتاب تم تأليفه في مرحلة متأخرة نسبياً من عمره العلمي والفكري ؛ أي بعد سنة 1208هـ، بعد أن تصوف ودخل الطريقة الدرقاوية وأصبح شيخاً من شيوخها الهامين. وذلك لما أدرك : ... أن علم الباطن مداره على تصفية البواطن من الرذائل، وتحليتها بأنواع الفضائل. حتى تلوح لها الأسرار وتنكشف الحقائق الربانية، وتحدث معرفة العيان وتنال مقام الإحسان...⁽³⁾. وهذا ما جعله يكتسي قيمة وأهمية خاصتين في تاريخ الثقافة والفكر المغربي عامة، وبالشمال خاصة. ويمكن أن نركز ذلك في قيمتين أساسيتين :

- قيمة تاريخية، تتجلى في الكشف عن مرحلة أساسية من مراحل نضاله المعرفي والفكري، والتي تبين أهم العلوم السائدة في عصره ومدى تداولها ؛ من منطق وفلسفة وكلام وقصص، وتصوف معتدل وتصوف مُغال، وعلم الفقه وأصول الفقه والفروع... ما كان منها مباحاً الخوض فيه، وما كان محضوراً محرماً⁽⁴⁾.

(1) أنظر مثلاً خَلَطُهُ بين «السهرودي المقتول» الفيلسوف الاشراقي، وبين «السهرودي» أبو النجيب صاحب عوارف المعارف. وكذلك بين سقراط وبوقراط.

(2) ولعل بعضاً من الهفوات التي سقط فيها راجع إلى النص موضوع الشرح، وقد اشتكى المؤلف من ذلك في آخر مؤلفه حين قال : «هذا آخر ما قصدناه من شرح النونية... على تصحيح في متنها، فمن وقف على خلل فليصلحه منها...».

(3) معراج التشوف ص 11.

(4) حيث نجد في عهده نشر ظهير للسلطان «محمد بن عبد الله» يحذر المتعاطين لبعض العلوم خاصة منها تصوف الغلاة وعلم الكلام والمنطق والفلسفة وعلم الفروع، ويحض الناس على مذهب السلف والاكتفاء بالأخذ عن ظاهر الكتاب والسنة. (أنظر عن هذا الظهير كتاب «الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى» للتادلي ج 8 ص 68 دار الكتاب الدار البيضاء، 1956م.

كما تبين انخراطه الكلي في سلك التصوف وانقطاعه عن الخوض في أسلاك علمية أخرى.

– قيمة معرفية : إن ما ضمنه «ابن عجيبة» شرحه من نصوص وآراء وأفكار وأسماء لرجالات الفكر، الذين عرفهم مباشرة وأخذ عنهم، أو تأثر بهم بطريقة غير مباشرة، ليجعل من عمله هذا وثيقة علمية هامة حفظت لنا بعض النصوص الصوفية النادرة، وأقوال حِكْمية بليغة، وأنظار فكرية متميزة.

الفصل الثالث

النسخة الخطية ومنهج التحقيق

الفصل الثالث :

النسخة الخطية ومنهج التحقيق

أولاً : وصف النسخ الخطية

شرح «نونية الششتري» «لابن عجيبة الحسني» كتاب له نسخ مخطوطة عديدة، منها ما هو ملك خاص، مثل مخطوطة السيد عبد السلام الخالدي عضو المجلس العلمي بالعرائش. ومنها ما هو ملك لإحدى الخزانات الوطنية والعمومية، مثل مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط، ومكتبة بلدية تطوان ومكتبة عبد الله كنون بطنجة.

وقد اعتمدنا من أجل انجاز هذا التحقيق ثلاثة نسخ مخطوطة :

الأولى وهي مخطوطة مكتبة عبد الله كنون، موجودة في مجموع من الورق عدده أربعون صفحة من الصفحة 241 إلى الصفحة 280.

كتب بخط مغربي واضح، لا بأس به من حيث جماليته، ورقه من القطع المتوسط. تتكون كل صفحة من حوالي 26 سطراً، وكل سطر يتكون في المتوسط من 17 كلمة. كتبت على هوامشها بعض الكلمات كتوضيح أو إضافة أو تكملة.

تبتدئ الصفحة الأولى بقوله :

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. قد تنزهت أحديثه عن مزاحمة الشركاء، والنظرء والأنداد...».

وتنتهي الصفحة الأخيرة بقوله :

«... وأن يبلغ كل من كتبه وطالعه كل فضل ومأمول، بجاه سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم، وعلى إخوانه المرسلين آمين والحمد لله رب العالمين».

تاريخ الانتهاء من كتابة هذا الشرح كما يصرح واضعه، هو يوم الخميس فاتح رجب سنة 1220هـ. أي أربع سنوات قبل وفاته.

وقد اعتمدنا هذه النسخة وجعلناها الأصل واتخذناها أساساً للتحقيق في الدرجة الأولى، لأنها شبه تامة بالمقارنة مع النسخ الأخرى. رغم الهفوات التي سقط فيها الناسخ والتي سيتم الإشارة إليها في مكانها، ورمزنا لها بحرف «ك».

الثانية نسخة قسم الوثائق والمخطوطات بالمكتبة الوطنية الرباط، في مجموع من الورق، من الورقة 55 إلى الورقة 86، عدد صفحاتها 62 صفحة. مكتوبة بخط مغربي جميل ليس علي هوامشه تعليقات ولا شروحات ولا تصحيحات. تحمل نفس تاريخ المخطوطة الأولى، حجمها من القطع المتوسط، مسطرتها 21، كل سطر يتكون في المتوسط من 15 الكلمة، رقمها 1736/د7.

في صفحته الأولى كتب في الأعلى : «اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه».

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليماً

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد...».

وفي آخر صفحته : «... وأن يبلغ كل من كتبه أو طالعه كل قصد مأمول بجاه سيد الأولين والآخرين والحمد لله رب العالمين.

انتهى بحمد الله وتوفيقه».

ورمزنا لها بحرف «ر».

الثالثة مخطوطة الأستاذ الخالدي، نقلها عن أصل غير معروف في مجموع من الصفحة 129 إلى الصفحة 189، عددها 60 صفحة من القطع الكبير بخط مغربي جبلي لا بأس به. تكثر فيها الأخطاء وسقطت منها كلمات وجمل كثيرة. أخذنا بها لاختلافها جزئياً عن «ك» و«ر».

في أول هذه النسخة كتب : «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

الشرح السابع : شرح نونية الإمام الششتري للعارف الكبير سيدي أحمد بن محمد بنعجبة الحسنى رضي الله عنه...».

وفي آخرها : « وقد نقله العبد الفقير العمراني الخالدي عبد السلام هنا، وكان الفراغ منه صبيحة يوم الأربعاء 25 ذو القعدة عام 1399هـ/موافق 17 أكتوبر سنة 1977م».

وقد أعطيناها حرف «خ» كرمز لها.

ثانياً : منهج التحقيق

كان أول طريقنا في مقارنة هذا النص من أجل دراسته وتحقيقه، هي قراءتنا المتأنية المتفحصة للنسخ المخطوطة التي توفرت لدينا. وبعد أن اتضح لنا الفرق بينها، اتخذنا أكثرها وضوحاً من حيث كتابتها، أصلاً لعملنا، مراعين أن تكون أقل النسخ أخطاءً ونقصاً وتحريفاً. وجعلنا من الآخرين سنداً وعونا لنا لسد ما في الأولى من نقص وتصحيح أخطائها المختلفة.

بعد ذلك قمنا بتخريج الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة. ووقفنا على الأسماء الأعلام الواردة في المتن وعرفنا بأغلبهم. كما قمنا بشرح المصطلحات الصوفية والفلسفية والصوفية الفلسفية، اعتماداً على المعاجم والقواميس المختصة.

وقد ذيلنا تحقيقنا هذا بالفهارس التالية :

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس المصطلحات
- فهرس الأعلام
- فهرس المذاهب
- فهرس الكتب
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

وفي الختام نتقدم بتشكراتنا الحارة إلى كل الذين ساعدونا من قريب أو بعيد على إخراج هذا الشرح. سائلين العزيز القدير أن يتقبل عملنا هذا، ويعيننا على إنجاز ما تبقى في مقررانا من أعمال.

والله ولي التوفيق.

الدار البيضاء في 1 يناير 2012

أ. د. محمد العدلوني الإدريسي

أستاذ الفلسفة

أستاذ تصوف الغرب الإسلامي

القسم الثاني

أولا : النص المحقق
شرح نونية الششتري
لابن عجيبة الحسني

ثانيا : صور المخطوطات المعتمدة

ثالثا : ملحق
القصيدة النونية كما حققناها
في ديوان الششتري

أولاً : النص المحقق

**شرح نونية الششتري
لابن عجيبة الحسني**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الْفَرْدِ الصَّمَدِ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. قَدْ تَنَزَّهَتْ أَحَدِيَّتُهُ⁽¹⁾ عَنْ مُزَا حَمَةِ الشُّرَكَاءِ وَالتَّنْظَرِ وَالْأُنْدَادِ، وَتَقَدَّسَتْ عَظَمَةُ ذَاتِهِ عَنِ وَصْفِ الْحُلُولِ⁽²⁾ وَالْإِتِّحَادِ⁽³⁾. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى قُطْبِ دَائِرَةِ الْأَكْوَانِ وَسَيِّدِ الْأَسْيَادِ، الَّذِي مِنْ نُورِ فِيضِهِ الْأَوَّلِ، ظَهَرَتْ نِعْمَةُ الْإِبْجَادِ وَالْإِمْدَادِ، سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدُ الْمَبْعُوثُ بِالْعِزِّ الدَّائِمِ وَالشَّرَفِ الْفَاخِرِ رَحْمَةً لِلْعِبَادِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَوْضَحَ اللَّهُ بِهِمْ طَرِيقَ الرِّشَادِ، وَمَحَى بِهِمْ ظِلْمَةَ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ⁽⁴⁾.

وَبَعْدُ : فَهَذَا شَرْحٌ عَجِيبٌ لِنَوْنِيَةِ الْإِمَامِ الْمُحَقِّقِ بَحْرِ الْمَعْرِفَةِ فِي⁽⁵⁾ زَمَانِهِ، وَفَرِيدِ عَصْرِهِ وَأَوَانِهِ، إِمَامِ أَهْلِ الْأَذْوَاقِ وَالْوُجْدَانِ، وَقُطْبِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ

(1) الأحدية : وهي مرتبة الذات المطلقة أو العماء، ولا نعرف عن الذات الإلهية من حيث هي شيئاً، ولا نستطيع أن نصفها بشيء سوى الوجود : «لأنها من هذه الحيثية مجردة من كل اسم ووصف وإضافة [فصوص الحكم، ج 1 ص 90، تقديم وتعليق أبو العلا عفيفي، ط 2، 1982].

(2) الحلول : الحلول لغة : هو أن يكون الشيء حاصلًا في الشيء ومختصاً به، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر تحقيقاً وتقديراً. والمعنى الصوفي، هو : أن «الحق» اصطفى أجساماً حل فيها بمعاني الربوبية وأزال عنها معاني البشرية. ونظرية الحلول قريبة من الفكرة المسيحية القائمة على اتحاد اللاهوت والانسوت في شخص المسيح.

(3) الاتحاد : هو تَصْيِيرُ ذاتين واحدة، وهو حال الصوفي الواصل، وقيل هو شهود وجود واحد مطلق من حيث أن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد، معدومة في نفسها. [الكاشاني أو القاشاني الاصطلاحات ق 1 ص 49، تحقيق وتقديم عبد العال شاهين ط 1 1992 القاهرة].

(4) في «ر» و «خ» : الحملة من : «صلى الله إلى : الكفر والعناد» ناقصة.

(5) في «ر» و «خ» : ناقصة.

والعرفان «أبي الحسن علي بن عبد الله الششتري»⁽¹⁾. وقد سبقَ إلى شرحها الشيخ⁽²⁾ العلامة «الصوفي سيدي أحمد زروق» رضي الله عنه. اقتصر فيه على حلّ ألفاظها، وبيان ما تعلق ببعض⁽³⁾ معانيها. غيرَ أنه لم يخضَ في تيّارِ بحرِ أسرارِ التوحيد منها على غواميضِ أنوارها. ولا فضَّ خاتمِ أسرارها، ولا دخلَ بعرائسِ أبكارها. ولعلَّه شرَّحها قبلَ أن يُفتحَ عليه في أسرار الحقيقة. فقد كان شيخ شيوخنا سيدي «علي العمراني»⁽⁴⁾، رضي الله عنه يقول : ما فتح على «الشيخ زروق»⁽⁵⁾ إلا في آخرِ عمره، أي بحيث لم يولف شيئاً بعدَ الفتح، والله أعلم. وكتبه شاهدة بذلك، إذ الكلامُ وصف المتكلم، ومن تكلم عُرفَ من ساعته، فهو في علوم الطريقة إمام. وأما في علوم الحقيقة وأسرار الأذواق فلم ينلَ فيها شيئاً إلا في آخرِ عمره، كاد أن يخرج منها صفر اليدين، ولذلك كثر اغتراضه على أهل النسبة⁽⁶⁾، وظهَرَ في كلامه التشديد والتصديق عليهم.

وقد رأته في نوم كالقطة، فقلت له : قد شددت على أهل النسبة⁽⁷⁾ في «عدة مُريد» حقيقته⁽⁸⁾، فقال : وما قلتَ فيهم ؟ فقلتُ له : قلت كذا وكذا، وذكرْتُ له بعض ما انتقد عليهم وما شدد فيه. فقال : ذلك الذي يناسبُ مذهب مالك، فقلتُ له : الصوفي الحقيقي لا يُقلد مالِكاً ولا غيره بل يأخذ الشريعة من أصلها، والحقيقة من معدنها. فقال : من بلغَ هذا أو صحبَ من بلغه لا يتكلم معه. فقلتُ له⁽⁹⁾ : والله لقد بلغناه وصحبنا من بلغه فغاب عني.

(1) أبو الحسن الششتري : هو علي بن عبد الله النميري الششتري (610هـ/668م) عن فلسفته الصوفية، أنظر كتابنا «أبو الحسن الششتري وفلسفته الصوفية ط 1 دا الثقافة الدار البيضاء 2005.

(2) ناقصة : في خ.

(3) في «ر» و«خ» : ما انغلق من بعض.

(4) علي العمراني : هو علي بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن إبراهيم بن عمران الشريف الحسني الإدريسي العمراني، الملقب بالجمال توفي بفاس 1193هـ. انظر ترجمته بسلة الأنفاس، فهرسة الكوهن.

(5) الشيخ زروق : وهو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد، صاحب كتاب القواعد في التصوف.

(6) و(7) في «ر» و«خ» : أهل الله، والمقصود بأهل النسبة. أي المتسبون إلى التصوف.

(8) في ك : عدة مريد.

(9) في «ر» و«خ» : «له» ناقصة.

وَكَانَ بَعْضُ مُشَايخِنَا مِنَ الْفُقَهَاءِ⁽¹⁾ يَقُولُ : الشَّيْخُ زُرُوقُ مُحْتَسِبٌ الصُّوفِيَّةُ. قُلْتُ : إِنَّمَا يَكُونُ مُحْتَسِبٌ صُوفِيَّةَ الظَّاهِرِ، أَهْلُ الْعِبَادَةِ الظَّاهِرَةِ وَالتَّنَسُّكِ⁽²⁾ الظَّاهِرِ. وَأَمَّا أَهْلُ التَّرْبِيَةِ وَالسِّرِّ الْبَاطِنِ فَلَا حِسْبَةَ لَهُ⁽³⁾ عَلَيْهِمْ. إِذْ لَمْ يُحِطْ عِلْمًا بِمَا عِنْدَهُمْ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَ مُشَايِخِ التَّرْبِيَةِ فِي زَمَانِنَا : «مَوْلَايَ الْعَرَبِيَّ الدَّرَقَاوِيَّ الْحَسَنِيَّ»⁽⁴⁾ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : «الشَّيْخُ زُرُوقُ عِنْدَ أَهْلِ الظَّاهِرِ شَيْءٌ كَبِيرٌ. وَعِنْدَ أَهْلِ الْبَاطِنِ شَيْءٌ صَغِيرٌ. [وَأَهْلُ مَكَّةَ أَعْرَفَ بِشُعَابِهَا]⁽⁵⁾»⁽⁶⁾.

لَا يَعْرِفُ الشُّوقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا وَمَرَاتِبُ الْأَوْلِيَاءِ كَطَبَقَاتِ الْجِنَانِ الْأَعْلَى⁽⁷⁾، يَعْرِفُ الْأَسْفَلَ دُونَ الْعَكْسِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. قَالَ فِي أَوَّلِ شَرْحِهِ لِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي التَّعْرِيفِ بِالشَّيْخِ : وَأَمَّا الشَّيْخُ فَهُوَ الْأَسَازُ الْفَقِيهِ الْمُقَرَّرُ : الْمُحَدِّثُ الصُّوفِي الْعَالِمُ الْعَامِلُ الْكَامِلُ الْمُحَقِّقُ الْمَدْقُقُ، «أَبُو الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيِّ»⁽⁸⁾، ثُمَّ الشُّشْتَرِيُّ بِمَجْمَعَتَيْنِ أُولَاهُمَا مَضْمُومَةٌ وَبَعْدَهَا تَاءٌ فَوْقِيَّةٌ. وَذَلِكَ نِسْبَةٌ إِلَى شُّشْتَرٍ⁽⁹⁾ قَرْيَةٍ⁽¹⁰⁾ بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى مَقَرَّبَةٍ مِنْ⁽¹¹⁾ لَوْشَةٍ. وَبِالْعِرَاقِ أَيْضًا قَرْيَةٌ تَسْمَى بِذَلِكَ.

(1) فِي «ر» وَ«خ» : مُشَايخِنَا مِنْ، نَاقِصَةٌ.

(2) فِي «ر» وَ«خ» : التَّنَسُّكُ.

(3) فِي «ر» : اِحْتِسَابٌ.

(4) مَوْلَايَ الْعَرَبِيَّ الدَّرَقَاوِيَّ الْحَسَنِيَّ : طَرِيقَةُ الصُّوفِيَّةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى اتِّبَاعِ السَّنَةِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْعِبَادَاتِ وَمِجَانِيَّةِ الْبَدَعِ (1150هـ/1239م). انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ بِسُلُوكِ الْأَنْفَاسِ ج 1 ص 191 - 192 التَّرْجُمَةُ : 112.

(5) فِي «ر» : نَاقِصَةٌ.

(6) فِي «خ» وَ«ك» نَاقِصَةٌ.

(7) فِي خ : الْعَلِيِّ.

(8) فِي ر : «الضَّمِيرِي» وَهُوَ تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ.

(9) فِي ر : شُشْتُورٌ.

(10) فِي ر : فِي قَرْيَةٍ.

(11) فِي «ك» : حَوْلَ.

قال «ابن ليون⁽¹⁾» : «كان من أبناء الملوك والأمراء، فصار من سادة الفقهاء»⁽²⁾ وكان يُقرأ عليه القرآن بالرواية⁽³⁾. وكان عارفاً بالأصول الستة. وأنواع الرواية⁽⁴⁾ وقال «الطواح»⁽⁵⁾ : كان من التجار السفار⁽⁶⁾، ثم صار من الشيوخ الأبرار. قرأ الرأي، أي الفقه. ثم تصوّف والتزم طريقته⁽⁷⁾ فما تشوف⁽⁸⁾، وكان ذا عزيمة وهمة، مع مشاركته في علوم جمّة. نزل طرابلس فأخذ عنه أهلها علوماً ثم عرّضوا عليه قضاءها فلم يوافق عليه ولا حام حوله فاستحقوه فقال في ذلك⁽⁹⁾ :

رَضِيَ الْمُتَيَّمُ فِي الْهَوَى بِجُنُونِهِ	خَلُّوهُ يُفْنِي عُمُرَهُ فِي فُنُونِهِ
لَا تَعْدِلُوهُ فَلَيْسَ يَنْفَعُ عَذْلُكُمْ	لَيْسَ السَّلُو عَنْ الْهَوَى مِنْ دِينِهِ
قَسَمًا بِمَنْ ذَكَرَ الْعَقِيقُ مِنْ أَجْلِهِ	قَسَمَ الْمُحِبُّ بِحُبِّهِ وَيَمِينِهِ
مَالِي سِوَاكُمْ غَيْرَ أَنِّي تَائِبٌ	عَنْ فترات ⁽¹⁰⁾ الْحُبِّ أَوْ تَلْوِينِهِ
مَالِي إِذَا هَتَفَ الْحَمَامُ بِأَيْكَةِ	أَبْدًا أَحْنُ لِشَجْوِهِ وَشُجُونِهِ
وَإِذَا الْبُكَاءُ بِغَيْرِ دَمْعٍ دَابُّهُ	فَالصَّبُّ يَجْرِي دَمْعُهُ بِغُيُونِهِ

وإنما أنشد القصيدة إعتذاراً⁽¹¹⁾ عَنْ إغراضِهِ عَنِ الْقَضَاءِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ :
لَمْ أَتْرُكْهُ زُهْداً فِيهِ وَلَا رَغْبَةً عَنِ الشَّرِيعَةِ إِلَّا أَنَّهُ يُوْجِبُ التَّشْتِيتَ وَالتَّلْوِينَ.

(1) هو ابن ليون التّجيبّي (أبو عثمان).

(2) أنظر الرسالة العلمية (أو الرسالة الشّشّرية) تقديم دراسة تحقيق وتعليق، د. محمد العدلوني الإدريسي، ط 1، 2004.

(3) في ر : الروايات.

(4) في ر : الرواة.

(5) في ر : الطّواح، وفي خ : الطّوام.

(6) في ر : الصّفار.

(7) في ر : طريقه.

(8) في «ك» : ناقصة.

(9) أنظر عنوان الدراية : الغبريني ص 240، تحقيق عادل نويهض، بيروت 1979م.
وعن القصيدة، انظر «ديوان أبي الحسن الشّشّري أمير شعراء الصّوفية بالمغرب والأندلس» تحقيق : د. محمد العدلوني الإدريسي وذ. سعيد أبو الفيّوض. دار الثقافة 2008. ص 77.

(10) في خ : مِنْ فِتْرَةٍ فِي.

(11) في خ : إعتزاراً وهو تحريف من طرف النّاسخ.

هذا ظاهرٌ كلامِهِ. قال الطواح⁽¹⁾ : كان يجيز في المستصفى⁽²⁾ والمجمل⁽³⁾ وله طريقةٌ حسنةٌ في المقامات، ولكلامِهِ عذوبةٌ، ولم تزل معه مصحوبة.

ثم قال : وكان يُرمي بمذهب شيخه [الإمام الولي الكامل المحقق سيدي عبد الحق] بن سبعين⁽⁴⁾. ثم حُمل على الرجوع عنه في حكاية وقعت له ببجاية. والذي كان يرمي به «ابن سبعين»⁽⁵⁾، هو القول بالحلول والاتحاد والميل إلى الزيغ والإلحاد⁽⁶⁾ ومعاذ الله أن يكون من أهل ذلك وهو من أهل العلم والتمسك بالأحكام الشرعية⁽⁷⁾. وهو إن كانت له ظواهر تقتضي ذلك، فالواجب أن يوكل علمُها إليهم⁽⁸⁾، وتناول⁽⁹⁾ بالوجه الصحيح عليهم، والتسليم أنجى وأسلم. فقد قال الشيخ «أبو عبد الله المقرئ» الفقيه القاضي رحمه الله وغفر له : الاعتقاد ولاية والانتقاد جناية فإن عرفت فاتبع وإن جهلت فسلم.

(1) في ر : الطواح، وفي خ : الطواح.

(2) في خ : المصفى.

(3) في خ : المجمل.

(4) ابن سبعين : هو «عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن فتح بن سبعين» (614هـ/1217م) من أبرز أقطاب التصوف المتفلسف في ق 7هـ بالغرب الإسلامي، وهو يمثل حلقة وسطى في نضج التصوف الغرب إسلامي، إذ أن «ابن عربي» يمثل الحلقة الأولى و«الششتري» الحلقة الأخيرة. من أهم مؤلفاته :

– بُدُّ العارف

– الرسائل

– المسائل الصقلية (الكلام على المسائل الصقلية موضوع مراسلته مع الاميراطور فريدريك II (1194م – 1250م).

وفي «ك» الجملة بين معقوفتين ناقصة، وردت في «ر» و«خ».

(5) وفي «ر» و«خ» : الجملة من : ثم حُمل... إلى : ابن سبعين، ناقصة.

(6) في ر : الاتحاد.

(7) في «ر» و«ك» ناقصة.

(8) في ر : لهم.

(9) وفي «خ» : وتناول.

وسُئِلَ «الشيخ القوري» رحمه الله عن «ابن عربي الحاتمي»⁽¹⁾ فقال : هو
أَعْرَفُ بِكُلِّ فَنٍ مِنْ أَهْلِ كُلِّ فَنٍ. قيل : ما سَأَلْنَاكَ عَنْ هَذَا. فَقَالَ : اختلف فيه
مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْقُطْبَانِيَةِ. قيل لَهُ مَاذَا تُرَجِّحُ ؟ قال : التَّسْلِيمُ، وَأَخَذَ يَسْتَدِلُّ لَهُ.

وسُئِلَ «النووي»⁽²⁾ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ ابْنِ عَرَبِي الْحَاتِمِيِّ فَقَالَ : الْكَلَامُ كَلَامُ
صُوفِيٍّ وَ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾⁽³⁾ وَقَالَ «الغزالي»⁽⁴⁾ فِي أَجْوِبَتِهِ بَعْدَ نَقْلِ كَلَامِ النَّاسِ فِيهِ : الْأَوَّلَى أَنْ
يُحْكَمَ عَلَى الْكَلَامِ فَيَقَالُ : هَذَا الْكَلَامُ يَقْضِي كُذَاءً، وَيَدُلُّ عَلَى كُذَاءٍ، وَيُنْكَرُ
مِنْ كُذَاءٍ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لَتَكْفِيرِ صَاحِبِهِ لِاحْتِمَالِ رَجُوعِهِ عَنْهُ. لَا سِيَّمَا وَقَدْ كَانَ
عَالِمًا بِالسُّنَنِ. وَالْآثَرِ⁽⁵⁾ وَفِي كَلَامِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْاِقْتِدَاءِ كَثِيرًا⁽⁶⁾. هَذَا مَعْنَى
كَلَامِهِ. وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ «أَبُو بَكْرٍ بَنُ فُورِكَ» رَحِمَهُ اللهُ : «الْغَلَطُ فِي إِدْخَالِ أَلْفٍ
كَافِرٍ بِشُبْهَةٍ فِي الْإِسْلَامِ»⁽⁷⁾. وَلَا الْغَلَطُ فِي إِخْرَاجِ مُسْلِمٍ وَاحِدٍ بِشُبْهَةٍ كُفْرٍ⁽⁸⁾
نَقْلَهُ عَنْهُ عِيَاضُ فِي الشِّفَاءِ. انْتَهَى كَلَامُ زُرُوقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قُلْتُ : وَسَبَبُ انْتِقَادِ أَهْلِ الظَّاهِرِ⁽⁹⁾ عَلَى أَهْلِ الْبَاطِنِ⁽¹⁰⁾، أَنْ
أَهْلَ الْبَاطِنِ لَمَّا اسْتَشْرَفُوا عَلَى بِحَارِ زَوَاجِرٍ مِنَ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ،

(1) ابن عربي الحاتمي : هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله الطائفي ابن العربي الحاتمي
(560هـ/1168م - 638هـ/1240م) أنظر ترجمته بالفتوحات الملكية، نهاية ج 4.
(2) النووي. وهو الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (631هـ/676م) وهو
صاحب كتاب : «رياض الصالحين».

(3) البقرة : 134.

(4) في خ : الفرافي ؟ وهو تحريف لإسم : «الغزالي»، والغزالي هو : أبو حامد المولود في مدينة
طوس من مدن خراسان سنة (450هـ/1057م) وتوفي بها سنة (505هـ/1111م).

(5) في ر : الآثار.

(6) في خ : إقتداء كثير.

(7) في خ : «في الاسلام» ناقصة.

(8) في خ : بألف شبهة كفر.

(9) أهل الظاهر : وهم الفقهاء المتشبهين بحرفية النصر من قضاة أو أهل الفتيا الذين ينكرون
وقوع التجلي.

(10) أهل الباطن : وهو يقصد هنا : المتصوفة العارفون بالله، الذين لا يعتبرون الظاهر دون
الباطن ولا الباطن دون الظاهر، لأن حقيقة الوجود هو الوجود الواحد ليس سواء وجود،
إنه الظاهر والباطن، العلة والمعلول، الواجب والممكن،...

رام⁽¹⁾ بَعْضُهُم التَّعْبِيرُ⁽²⁾ عَنْ تِلْكَ الْأَسْرَارِ فَضَاقَتْ عِبَارَتُهُمْ عَنْ ذَلِكَ، فَفَهِمُوا مِنْهَا غَيْرَ مَا أَرَادُوهُ فَرَمُوا بِالْحُلُولِ وَالْإِتِّحَادِ مَعَ تَنْزَهُهِمْ عَنْهُ. وَذَلِكَ كـ«ابن العربي»⁽³⁾. و«الششتري» و«ابن الفارض»⁽⁴⁾ وَأَضْرَابُهُمْ.

وهذه الأسرار لا تدرك بالعبرة وإنما تُدرك بالحبّة والسراية⁽⁵⁾ ومنهم من عَبَّرَ عَنْهَا بِإِشَارَةٍ رَقِيقَةٍ وَعِبْرَةٍ دَقِيقَةٍ غَطَّاهَا بَنُوعٌ مِنَ التَّشْرِيعِ فَقَبِلَتْ مِنْهُ⁽⁶⁾. وأقرت في محلها⁽⁷⁾، كـ«ابن عطاء الله»⁽⁸⁾ [رضي الله عنه]، وأشياخه : «المُرْسِي»⁽⁹⁾ و«الشاذلي»⁽¹⁰⁾ و«ابن مشيش»⁽¹¹⁾. فَسَلِمُوا مِنَ الْإِتِّقَادِ عَلَيْهِمْ، وَكُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

(1) في خ : راج.

(2) في ح : للتعبير.

(3) في خ : ابن عربي، وتجدر الإشارة إلى أن هناك فرقاً شاسعاً بين الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، ذلك أن الحلول شعور باطني يطفى على النفس فينطق الصوفي بعبرة أنا الحق... دون حجة أو دليل. وأن الاتحاد وجدٌ عنيف يغمر النفس عندما تكون بحضرة الألوهية فلا يقدر الصوفي على الكتمان. بينما نظرية وحدة الوجود نظرية واعية صادرة عن عقيدة فلسفية - صوفية تدعمها أدلة.

(4) هو : «عمر بن الفارض» الشاعر الصوفي، ناظم التائية الكبرى، (ت. 632هـ) الذي أذعن لسلطان العاطفة، فقضى حياته يتغنى بالحب الإلهي. (أنظر حياته وفلسفته الصوفية : كتاب «ابن الفارض والحب الإلهي» د. مصطفى حلمي، دار المعارف).

(5) في ر : «تنال «بل» بمحبة وعناية، وفي خ : تنال بالصحة والسراية.

(6) في خ : ناقصة.

(7) في «ر» و«خ» : وأقر في محله.

(8) ابن عطاء الله : هو أحمد بن محمد عبد الكريم بن عطاء الله السكندري، توفي 709هـ.

(9) المرسي : هو أبو العباس المرسي، قيل : لم يرث علم الشاذلي عنه غيره، ولم يضع كتاباً، وكان يقول كتبني أصحابي، مات سنة 686هـ. من أقواله : علوم هذه الطائفة علوم تحقيق، وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الناس.

(10) الشاذلي : أبو الحسن ولد سنة 593 في إحدى قبائل غمارة القرية من مدينة سبتة. وقد لعب في التصوف الإسلامي دوراً هاماً يشبه الدور الذي لعبه من قبل «أبو حامد الغزالي» توفي سنة 656 بمصر. (أنظر كتاب «أبو الحسن الشاذلي»، عن حياته وتصوفه، علي سالم عمار، دار التأليف، مصر 1951).

(11) ابن مشيش : هو عبد السلام بن مشيش ولد حوالي 563هـ تصوفه سني معتدل أثمر مدرسة عظيمة وهي الشاذلية التي أسسها بالشرق تلميذه المباشر وحافظ سره والمنظر لآرائه وأقواله أبو الحسن الشاذلي.

أنظر ترجمته ودراسته عن : هسبريس Hesperis II 1961/141.

ولنرجع لِمَا كُنَّا فيه من التعريف بالشيخ وذلك أن الششتري أَلَفَ كتاب : «العروة الوثقى»⁽¹⁾، وكتاب «المقاليـد الوجودية»⁽²⁾، وكتاب «الرسالة العلمية»⁽³⁾ وهي التي اختصرها ابن ليون التجيبي في : «الإنبابة في الانتصار للطائفة الصوفية». وله مقطعات وأزجال في الخمرة الأزلية. قال ابن ليون : دُفِنَ «الششتري» رضي الله عنه بالطينة من مضرب⁽⁴⁾ دُمياط، وقد مات دونها بِثَمَانِيَةِ عَشَرَ مِثْلًا، فحمله الفقراء على أَغْنَاقِهِمْ حتَّى أَوْصَلُوهُ إِلَيْهَا.

وقد سُئِلَ قَرَبَ ذَلِكَ : مَنَ الْفَقِير ؟ فقال . الَّذِي يَمْنُشِي بعد مَوْتِهِ ثمانية عشر مِثْلًا، فكان كما ذَكَرَ، وَذَلِكَ سَنَةُ ثمانية وستين وستمائة (668هـ) كذا ذكره الطواح⁽⁵⁾. قُلْتُ : فكان في عَصْرِ الشاذلي⁽⁶⁾ وتأخر مَوْتُهُ عنه بِنَحْوِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً.

(1) العروة الوثقى : (العروة الوثقى في بيان السُنَنِ والعلوم) وهي مفقودة مثلها مثل عناوين أخرى للششتري، مثل : «ما يجب على المسلم أن يعلمه إلى وفاته» و«المراتب اليمانية والإسلامية والاحسانية».

(2) المقاليـد الوجودية : كتاب لابن الحسن الششتري قمنا بتحقيقه ونشره عن دار الثقافة الدار البيضاء ط 1، 2008.

يدور موضوع المقاليـد الوجودية حول تصوف وحدة الوجود، على الطريقة اليسية، التي اعتنق الششتري مبادئها الأساسية، التي يقوم على الفكرة البسيطة التالية : لا وجود إلا لله الواحد المطلق الوجود، وأن سرُّ هذا الوجود المطلق من الممكن أن تدركه فيك لا خارجاً عنك، إذا ما اتبعت طريقاً خاصاً يدعي بالسفر، والسفر : «يطلق على مراتب النفس وهي تسعة وتسعون سفرة وبعدها المنوعات والطريق» (المقاليـد الوجودية).

(3) الرسالة العلمية : وهي كذلك «لابن الحسن الششتري» قمنا بتحقيقها ونشرها في طبعة أولى 2004 دار الثقافة، البيضاء.

ويتعلق موضوع الرسالة العلمية، بالطريقة الششترية، طريقة الفقراء المتجربين : التعريف بها ومناهجها الذوقية وبزيتها الذي تتميز به، مع إظهار مدى تشبهم بالسنة أو بعدهم عنها، وبسط علومهم النظرية والعملية، والوقوف على مواجهتهم الروحية التي يصطلحون بها على أفكارهم الذوقية.

(4) في ر : «في الطيبة وصفر به في» (جملة غير واضحة، كلماتها مشوهة). وفي «خ» : عن مقربة من.

(5) في ر : كما ذكره الطواح، وفي خ : كما ذكره الطوام.

(6) يمكن اعتبار عصر الشاذلي، العصر الذي نضج فيه التصوف الفلسفي مع ابن عربي، وابن سبعين، والششتري، إلا أنه لم يتبع آراءه واتخذ منه موقفاً منتقداً، وفي المقابل كان داعياً إلى الرجوع إلى الأخلاق الإسلامية المستندة إلى العقيدة الأشعرية ومذهب مالك، وتصوف الجنيد.

قال الشيخ «زروق» رضي الله عنه : فأما هذه القصيدة فقد اختوت على مقاصد طريق العارفين وتعريف أحوال الرجال، وقد جزأها ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول في تعيين المطلوب وما يطلب به وما يقوم فيه، ووجه المعاملة في ذلك نفيًا وإثباتًا. وهذا من أولها إلى قوله : «أمامك هول فاستمع لو صيبي».

الجزء الثاني من هنا إلى قوله : «فكم واقف أردي» الخ⁽¹⁾. وقد ذكر فيه آيات⁽²⁾ العقل وتصوره⁽³⁾ بالمحاسن والقبايح وما يعرض منه⁽⁴⁾.

الجزء الثالث : في ذكر⁽⁵⁾ الأمور التي اكتسبها العقل لدويته⁽⁶⁾ من نقص أو كمال وتضمن ذلك تعريف جماعة من الرجال. وسيذكر كلاً في محله إن شاء الله تعالى⁽⁷⁾ :

وهذا أول القصيدة، قال رضي الله عنه :

أَرَى طَالِباً مِنَّا الزِّيَادَةَ لَا الْحُسْنَى بِفِكْرِ رَمَى سَهْمًا فَعَدَى بِهِ عَدْنَا
يقول رضي الله عنه : أَرَى طَالِباً مِنَّا مَعَاشِرَ الصُّوفِيَةِ بِسِيرِهِ وَمَجَاهِدَتِهِ، وَإِحْسَانِهِ فِي مَعَامِلَتِهِ، إِنَّمَا هُوَ الزِّيَادَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾⁽⁸⁾ لَا الْحُسْنَى الَّتِي هِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي فَسَّرَتْ بِهَا الْحُسْنَى. وَالزِّيَادَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْآيَةِ هِيَ النَّظَرُ لَوَجْهِهِ⁽⁹⁾ الْكَرِيمِ وَدَوَامُ شَهْوَدِهِ. أَوْ الْمَعْرِفَةُ وَزِيَادَةُ التَّرْقِي فِيهَا أَبَدًا سَرْمَدًا، وَإِنَّمَا كَانَ مَطْلَبُهُمْ ذَلِكَ

(1) في «خ» و«ك» : ناقصة.

(2) في ر : آفات.

(3) في «ر» و«ك» : وتطويره.

(4) في «ر» و«خ» : فيه.

(5) في «ر» و«خ» : ناقصة.

(6) في ر : لزيه، وهو «تحريف» لـ : «ذويه».

(7) في «ر» و«خ» : ناقصة.

(8) الآية : يونس : 26.

(9) في خ : في وجهه.

لِسُمُو⁽¹⁾ هِمَمِهِمْ وَرَفَعِهَا عَنِ الْأَكْوَانِ بِأَسْرِهَا. فَالْجَنَّةُ كَوْنٌ مِنَ الْأَكْوَانِ، فَمَنْ رَحَلَ⁽²⁾ بقلبه عن الدنيا وطلب الجنة [وزخارفها]⁽³⁾، فقد رَحَلَ مِنْ كَوْنٍ إِلَى كَوْنٍ، فَيَكُونُ كَحِمَارِ الرَّحَى مَا انْتَقَلَ عَنْهُ هُوَ الَّذِي انْتَقَلَ إِلَيْهِ⁽⁴⁾. والمطلوب إنما هو الرَّحِيلُ مِنَ الْكَوْنِ إِلَى الْمَكُونِ. ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾⁽⁵⁾. قال الشيخ «أبو مدين»⁽⁶⁾ رضي الله عنه :

«شَتَّانَ بَيْنَ مَنْ هِمَّتُهُ الْحَوْرُ وَالْقُصُورُ، وَبَيْنَ مَنْ هِمَّتُهُ رَفْعُ السُّتُورِ وَدَوَامُ الْحُضُورِ». وقد مَدَحَ الحق تعالى أهل الصِّفَةِ⁽⁷⁾ بقوله : ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾⁽⁸⁾ أي ذاته. فَكَانَتْ عِبَادَتُهُمْ لِإِرَادَةِ مَعْرِفَةِ ذَاتِهِ لَا لِمَعْرِفَةِ أُخْرَى⁽⁹⁾، وكذلك الصوفية برفع هِمَّتِهِمْ لَا يَقْصِدُونَ⁽¹⁰⁾ إِلَّا مَعْرِفَةَ الذَّاتِ الْأَقْدَسِ⁽¹¹⁾ وكشف الحُجُبِ عَنْهَا⁽¹²⁾. وإنما طَلَبُوا الزِّيَادَةَ الْمَذْكُورَةَ بِفِكْرِ دَلَّهِمْ عَلَيْهَا، وَلِأَنَّهَا⁽¹³⁾ أَرْفَعُ الْمَطَالِبِ، فَكَانَتْ بِمِثَابَةِ قَوْسٍ رَمَى سَهْمًا وَهُوَ نَظَرُهُ السَّيِّدِ

(1) في «ر» : لمسك، وفي «خ» : لانفكاك

(2) في «ر» : و«ك» : ناقصة.

(3) في ر : ناقصة.

(4) في «ر» و«خ» : صار.

(5) الآية : النجم : 42.

(6) أبو مدين : وهو : «أبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري» الملقب «بالغوث» (توفي 594هـ)، يعتبر ذو أهمية خاصة بين متصوفة القرن 6هـ بالغرب الإسلامي. أخذ علومه الذوقية عن مشايخ من أمثال «أبي الحسن بن حرزهم» (ت 559) و«أبي يعزى يلنور» (ت 572هـ)، وقد تميز تصوفه عن شيخاه اللذين كانا تقليديين مباعدين للناس عاملين على نجاة نفسيهما، بأنه كان متجها إلى خدمة الناس وصيانة أمة الإسلام وتحويل جماعة مريديه إلى قوة خادمة للإسلام في كل بلاد الله.

(أنظر كتابنا : «نظرات في التصوف المغربي» ط 1، دار الثقافة 2006).

(7) أهل الصفة : وهم الراتبون بالصفة، عددهم نحو أربعمائة رجل، منهم «أبو هريرة»، و«الأعمى بن أم مكتوم» و«صهيب» و«سلمان» و«خباب» و«بلال»... وهم الذين قال في حقهم رب العزة : ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (التوبة : 92).

(8) الأنعام : 52.

(9) في خ : ناقصة.

(10) في خ : لا يرمون.

(11) في «ر» و«خ» : ناقصة

(12) في ر : الحجب. وفي خ : الحجاب.

(13) في «ر» و«خ» : وأنها.

وأمله المديد، الذي لم يَزَلْ يَجُولُ فيه حتَّى انتهى به لِأَرْفَعِ المطالب وأسنى المآرب وهي معرفة الذات الأقدس⁽¹⁾ وشهودها. فعَدَّى به⁽²⁾ بتشديد الدال، أي جاوز بذلك النظر. عَدْنَا : أي جَنَّةُ عَدْنٍ. فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، وَلَا قَصَرَ نظره عليها، بل جاوزها⁽³⁾ إلى ما هو أعظم منها. لأن⁽⁴⁾ مقصوده شهود الحبيب الذي هو نعيم الأرواح، لا الجنة التي هي نعيم الأشباح. وفي ذلك يقول «ابن الفارض»⁽⁵⁾ :

لَيْسَ سُؤْلِي مِنَ الْجَنَانِ نَعِيمًا غَيْرَ أَنِّي أُرِيدُهَا لِأَرَاكَ
وَلَا يَلْزِمُ مِنْ سُمُوِّ⁽⁶⁾ الْهَمَّةِ عَنِ الشَّيْءِ، احتقار ما سَمَتْ عنه، لأنَّ الله عَظَّمَ شَأْنَ الْجَنَّةِ وَأَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ. وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّ مَعَامِلَتَهُمْ لَيْسَتْ فِي مُقَابَلَةِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا هِيَ عُبودية ومحبَّة، وطلب لما هو أولى وأعظم، والله أَعْلَمُ.
ولمَّا كَانَ مطلبهم رفع الهمة عن الكَوْنَيْنِ وهما من جُمْلَةِ السَّوَى الباطلِ. كما قال الشاعر [«ليد»]⁽⁷⁾ :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ
تَحَقَّقُوا بِالْحَقِّ وَصَارُوا مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ، فَعَبَّرُوا بِالْحَقِّ⁽⁸⁾ عَنْ ذَاتِ الْحَقِّ، فَجَرَى فِي مُحَاطَبَتِهِمْ اسْمُ الْحَقِّ. فيقولون : قال الحق ويقولون الحق⁽⁹⁾، إلى غير ذَلِكَ مما هو معلوم في محاوراتهم⁽¹⁰⁾ رضي الله عنهم.

(1) في «ر» و«خ» : ناقصة

(2) في «ر» و«خ» : ناقصة.

(3) في «ر» و«خ» : جاوز.

(4) في «ر» و«خ» : وإنما

(5) ابن الفارض : وهو عمر بن علي، الحموي الأصل المصري المولد توفي سنة 632 هـ.

(6) في «ر» و«خ» : مسلك.

(7) في «ر» و«خ» : الشاعر ناقصة. وليد : (560 هـ / 661 م) وهو أبو عقيل لبيد بن ربيعة

العامري المصري كان من أشراف قومه وفرسانهم، دخل في الإسلام نحو سنة 629 م له

ديوان شعره وأشهر ما فيه المعلقة التي تقع في 88 بيتا من البحر الكامل.

(8) في «ر» و«خ» : به.

(9) «ويقولون الحق»، ناقصة.

(10) في «ر» و«خ» : مُحَاوَرَهُمْ.

ثم يبين أن المطلوب⁽¹⁾، هو عين الطالب في الحقيقة عند أهل الفناء فقال :
 طَالِبُنَا مَطْلُوبُنَا مِنْ وُجُودِنَا نَغِيبُ بِهِ عَنَّا لَدَى الصَّعْقِ إِذْ عَنَا
 يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وطالِبنا، أي والطالب مِنَّا لتلك⁽²⁾ الزيادة التي هي
 المعرفة. هو عين مَطْلُوبِنَا، إذ لَيْسَ الأمرُ خارجاً عن ذاتنا عند تحقيق الفناء⁽³⁾.
 فالطالب هو المطلوب، والمطلوب هو الطالب في الحقيقة، إذا لا إثنينية ولا غيرية
 عند المحققين من أهل التوحيد الخاص. وهذا كقولهِ في بعض أَرْجَالِهِ⁽⁴⁾ :

لَقَدْ أَنَا شَيْءٌ عَجِيبٌ	لِـمَنْ رَأَى
أَنَا الْمُحِبُّ وَالْحَبِيبُ	لَيْسَ ثُمَّ ثَانِي
يَا قَاصِداً ⁽⁶⁾ عَيْنَ الْخَبَرِ	غِطَاهُ أَيْنُكَ
ارْجِعْ بِذَاتِكَ وَاعْتَبِرْ	مَائِمٌ غَيْرُكَ
الْخَيْرُ مِنْكَ وَالْخَبَرُ	وَالسَّرْعُ عِنْدَكَ
ارْجِعْ بِذَاتِكَ وَاعْتَبِرْ	مَائِمٌ غَيْرُكَ ⁽⁷⁾

وقال آخر

لَا تَطْنُ الْأَمْرَ عَنْكَ خَارِجاً هُوَ ذَوْقٌ ثُمَّ شُرْبٌ ثُمَّ رَيٌّ
 وقال آخر⁽⁸⁾ :
 أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا نَحْنُ رُوحَانُ حَلَلْنَا بَدَنًا

(1) في «ر» و«خ» : كون المطلوب.

(2) في خ : تلك

(3) الفناء : تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذات، فكلمة ارتفعت صفة قامت
 صفة مقامها، فيكون الحق سمعه وبصره. (التهانوي، ص 1158).

(4) الديوان : عنوان الزجل «جمالي شاهد في كل إنسان» لهجته أقرب إلى الفصحى ص 313.

(5) في «ر» و«خ» : يا طالبا.

(6) في الديوان : يا قاصداً، بينما في «ر» و«خ» : يا طالبا.

(7) في الديوان : ترتيب الأبيات مختلف : البيت (5) محل البيت (7) وكذلك في «ر» و«خ».

(8) القسم الخامس من كتاب : «هكذا تكلم الخلاج» (النصوص الصوفية الكاملة)، دراسة وتحقيق

«قاسم محمد عباس»، ص 1، 2009، دار المدى للثقافة والنشر، سورية- دمشق، ص 241. =

فليس⁽¹⁾ هنا حلولٌ ولا اتحاد، إذ لا وجود لِلغَيْرِية⁽²⁾ والإثنية، حتَّى يَتَّحِدَ أحدهما بِالآخر. كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ. فَيَا عَجَباً كَيْفَ يَظْهَرُ الوجود فِي الْعَدَمِ؟! أَمْ كَيْفَ يَثْبُتُ الْحَادِثُ مَعَ مَنْ لَهُ وصف⁽³⁾ الْقِدَمِ!؟

وقول الشاعر : «نَحْنُ رَوْحَانُ» الخ،⁽⁴⁾ أشار به إِلَى الرُّوحِ وَرُوحِ الرُّوحِ⁽⁵⁾ التي هي الْمَعْنَى الْقَائِمَةُ بِالأشْيَاءِ، فَهي قَائِمَةٌ بِالرُّوحِ. وَالرُّوحُ قَائِمَةٌ بِالْجِسْمِ، وَالجِسْمُ تَجَلٍّ⁽⁶⁾ مِنْ تَجَلِيَّاتِ الْحَقِّ تَجَلَّى بِهِ وَبَطْنٌ بَعْدَ تَجَلِّيهِ⁽⁷⁾. بِمَا ظَهَرَ فِيهِ مِنْ أَوْصَافِ الْعُبُودِيَّةِ لِيَتَحَقَّقَ فِيهِ اسْمُهُ الظَّاهِرُ وَاسْمُهُ الْبَاطِنُ.

وَفِي الْحَقِيقَةِ لَا وَجُودَ لِلْعَبْدِ أَصْلاً، وَإِنَّمَا تُثَبَّتِ الْعَبْدَ فِي عَالَمِ الْفَرْقِ حِكْمَةً، وَتَفِيهِ فِي عَالَمِ الْجَمْعِ قُدْرَةً. فَإِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الْعَبْدِ الْجَذْبُ وَالْفَنَاءُ أَصْلاً غَابَ عَنْ مَقَامِ الْفَرْقِ، فَلَا عَبْدَ أَصْلاً. وَصَارَ الطَّالِبُ عَيْنَ الْمَطْلُوبِ وَالْمَطْلُوبُ عَيْنَ الطَّالِبِ، وَالذَّاكِرُ عَيْنَ الْمَذْكُورِ وَالْمَذْكُورُ عَيْنَ الذَّاكِرِ، وَلِهَذَا أَشَارَ⁽⁸⁾ الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ : «وَطَالَيْنَا مَطْلُوبُنَا مِنْ وَجُودِنَا»، أَيِ هُوَ مِنْ عَيْنِ

= وَالْقَصِيدَةُ مِنَ [الرمل].
وَتَمْتَنُّهَا كَمَا يَلِي :

نَحْنُ مَذْكُونَا عَلَى عَهْدِ الْهَوَى	تُضْرَبُ الْأَمْثَالُ لِلنَّاسِ بِنَا
فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ	وَإِنْ أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنَا
أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ قِصَّتِنَا	لَوْ تَرَانَا لَمْ تُفَرِّقْ
رُوحَهُ رُوحِي وَرُوحِي رُوحَهُ	مَنْ رَأَى رُوحَيْنِ حَلَّتْ بَدَنًا!؟

(1) فِي «ر» وَ«خ» : لَيْسَ.

(2) فِي «خ» : لِنَفْيِ الْغَيْرِيَّةِ.

(3) فِي «ر» وَ«خ» : نَاقِصَةٌ.

(4) فِي «ر» وَ«خ» : نَاقِصَةٌ.

(5) فِي «ر» وَ«خ» : نَاقِصَةٌ.

(6) فِي «ر» وَ«خ» : نَاقِصَةٌ.

(7) فِي ر : تَجَلِّيَاتِهِ.

(8) فِي «ر» وَ«خ» : وَهَذَا الَّذِي لَاحِظٌ.

وَجُودِنَا لَا خَارِجاً عَنَّا نَغِيبُ بِهِ، أَي بِشُهُودِ مَطْلُوبِنَا عَنَّا، أَي⁽¹⁾ عَن وُجُودِنَا. لَدَى الصَّعْقِ⁽²⁾ (أَي عِنْد الصَّعْقِ)، وَهُوَ زَوَالُ الْعَبْدِ وَفَنَائِهِ وَاضْمِحْلَالُهُ عِنْدَ اسْتِيلَاءِ⁽³⁾ أَنْوَارِ شَمْسِ الْحَقِيقَةِ عَلَيْهِ. [فِيْفَنِي مَا لَمْ يَكُنْ. وَيَقِي مَا لَمْ يَزَلْ. وَقَوْلُهُ : «إِذَا عَنَّا» أَي حِينَ عَرَضَ هَذَا الصَّعْقُ لَوْجُودِ الْعَبْدِ الْوَهْمِيِّ، نَغِيبُ عَنْ وُجُودِنَا وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ]⁽⁴⁾.

وَفِي الْحِكْمِ : «الْعَارِفُ مَن إِذَا أَشَارَ وَجَدَ الْحَقَّ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ إِشَارَتِهِ لَهُ لِفَنَائِهِ فِي وَجُودِهِ، وَأَنْطَوَانِهِ فِي شُهُودِهِ»⁽⁵⁾. وَقَالَ أَيْضاً : «كَيْفَ يَحْتَجِبُ الْحَقُّ بِشَيْءٍ وَالَّذِي يَحْتَجِبُ بِهِ هُوَ بِهِ»⁽⁶⁾ ظَاهِرٌ وَمَوْجُودٌ حَاضِرٌ»⁽⁷⁾ وَقَالَ فِي

(1) فِي خ : نَاقِصَةٌ.

(2) فِي خ : الطَّعْنُ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(3) فِي «ر» وَ«خ» : سَطُوعٌ.

(4) فِي ك : مَا جَاءَ بَيْنَ مَعْقُوفَتَيْنِ : نَاقِصٌ.

(5) ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ الْإِسْكَانْدَرِيُّ : «الْحِكْمُ»...

هُوَ تَلْمِيزُ يَأْقُوتُ الْعَرْشِ وَأَبِي الْعَبَّاسِ الْمُرْسِيِّ. لَهُ مِنَ الْمَوْلُفَاتِ : كِتَابُ «التَّنْوِيرِ فِي إِسْقَاطِ التَّذْكِيرِ» وَكِتَابُ الْحِكْمِ وَكِتَابُ لَطَائِفِ الْمَتْنِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، تُوُفِيَ سَنَةَ 707، مِنْ أَقْوَالِهِ : الْأَوْلِيَاءُ آيَاتُ اللَّهِ، يَتْلُوهَا عَلَى عِبَادِهِ بِإِظْهَارِ إِيَّاهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ. وَعَبْدُ الْكَرِيمِ الْخَلِيلِي هُوَ أَحَدُ أَهْمِ مَرْبِدِي الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ، عَمِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِي تُوُفِيَ سَنَةَ 805 هـ - 1403 م، وَهُوَ صَاحِبُ نَظَرِيَةٍ فِي «الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ» وَصَاحِبُ الْعَيْنِيَةِ الْمَشْهُورَةِ، وَالتِّي مِنْهَا قَوْلُهُ :

هُوَ الْمَوْجِدُ الْأَشْيَاءَ وَهُوَ وَجُودُهُ	وَهُوَ ذَوَاتُ الْكُلِّ، وَهُوَ الْجَوَابِعُ
بَدَتْ فِي نُجُومِ الْخَلْقِ أَنْوَارُ شَمْسِيَّةِ	فَلَمْ يَبْقَ حُكْمُ النُّجُومِ، وَالشَّمْسُ طَالِعُ
حَقَائِقِ ذَاتٍ فِي مَرَاتِبِ حَقِّهِ	تُسَمَّى بِاسْمِ الْخَلْقِ، وَالْحَقُّ وَاسِعُ
وَفِي فِيهِ مِنْ رُوحِي نَفَخْتُ كِفَايَةَ	هَلِ الرُّوحُ إِلَّا عَيْنُهُ، يَا مُنَازِعُ
فَيَا أَحَدِي الذَّاتِ فِي عَيْنِ كَثْرَةٍ	وَيَا وَاحِدَ الْأَشْيَاءِ، ذَانِكَ شَائِعُ
تَجَلَّيْتُ فِي الْأَشْيَاءِ حِينَ خَلَقْتُهَا	فَهَا هِيَ مَبْطُتٌ عَنْكَ فِيهَا الْبَرَاقِعُ
قَطَعْتَ الْوَرَى مِنْ ذَاتِ حُسْنِكَ قِطْعَةً	وَلَمْ تَكْ مَوْضُولاً وَلَا فَضْلَ قَاطِعُ

أَنْظِرِ الْبَابَ الثَّلَاثَ وَالْعِشْرِينَ «فِي الْجَمَالِ»، كِتَابُ «الْإِنْسَانِ الْكَامِلِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِلِ»، ط 1، دَارُ الرِّشَادِ، الْبَيْضَاءِ، الْمَغْرِبِ 1998، ص 89.

(6) فِي «ر» وَ«خ» : فِيهِ.

(7)

التنوير : «أَبَى الْمُحَقِّقُونَ أَنْ يَشْهَدُوا غَيْرَ اللَّهِ، لِمَا حَقَّقَهُمْ بِهِ مِنْ شُهُودِ الْقِيُومَةِ، وَإِحَاطَةِ الدِّيْمُومَةِ»⁽¹⁾. وقال الشيخ الجليلي⁽²⁾ في عَيْنِيته :

هُوَ مُوجِدُ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ وَجُودُهَا وَعَيْنُ ذَوَاتِ الْكُلِّ وَهُوَ جَوَامِعُ

لَا تَطْمَعُ أَنْ تَفْهَمَ هَذِهِ الْأَسْرَارَ إِلَّا بِصُحْبَةِ الرِّجَالِ أَهْلِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ، وَإِلَّا بَقِيَتْ مَعَ نَفْسِكَ تَائِهَاتٌ⁽³⁾ مَعَ أَهْلِ الْإِنْكَارِ⁽⁴⁾ وَالْإِنْتِقَادِ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَلَى الدَّوَامِ. فَتَبَوَّءَ بِالْخَبِيَةِ وَالْخُسْرَانِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ. ثُمَّ هَذَا الْمَطْلُوبُ إِنَّمَا يَنَالُ وَيَعْرِفُ أَيْضاً⁽⁵⁾ بِتَرْكِ الْحُظُوظِ⁽⁶⁾ وَاللَّحُوظِ⁽⁷⁾. كَمَا أَبَانَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

تَرَكْنَا حُظُوظاً مِنْ حَضِيضٍ لِحُوظِنَا

مَعَ الْمَقْصِدِ الْأَقْصَى إِلَى الْمَطْلَبِ الْأَسْنَى

قُلْتُ الْحُظُوظُ : مَا تَمِيلُ النَّفْسُ إِلَيْهِ وَتَهْوَاهُ. وَاللَّحُوظُ : الْإِلْتِفَاتُ إِلَى الشَّيْءِ، وَقَصْدُهُ بِالنَّظَرِ⁽⁸⁾. وَالْحَضِيضُ : الْمَكَانُ الْمُنْخَفِضُ. يَقُولُ [فِيمَا مَعْنَاهُ] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : تَرَكْنَا حُظُوظاً مِنْ حُظُوظِ أَنْفُسِنَا، الَّتِي تَهْوِي بِنَا⁽⁹⁾ إِلَى الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ بِسَبَبِ لِحُوظِنَا لَغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى⁽¹⁰⁾. وَالتَّفَاتُنَا إِلَيْهِ. فَعَبَّرَ عَنْ حُظُوظِ النَّفْسِ بِالْحَضِيضِ، وَهُوَ التَّسَاقُطُ إِلَى الْمَرْكَزِ الْأَسْفَلِ لِأَنَّهَا سَبَبُهُ. لِأَنَّ

(1) في «ر» و«خ» مع الله غيره، انظر التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندري وبهامشه تاج العروس، مطبعة ابن شقرون، القاهرة.

(2) في «ر» و«خ». الشيخ الجليلي وهو خطأ وخلط سقط تحت وطأته ناسخاً مخطوطاً، الرباط ومخطوط الخالدي. والبيت «لعبد الكريم الجليلي» تلميذ ابن عربي وصاحب كتاب «الإنسان الكامل».

(3) في «خ» : «مع نفسك تائها» ناقصة.

(4) في «ر» و«خ» : التنكير.

(5) في «خ» : ويدرك، وأيضاً، ناقصة.

(6) الحظوظ : هي حظوظ النفس، وهي لا تجتمع مع الحقوق لأنهما ضدان لا يجتمعان [اللمع، ص 413].

(7) اللحوظ : ج لحظ : إشارة إلى ملاحظة أبصار القلوب لما يلوح لها من زوائد اليقين بما آمنت به من الغيوب.

(8) في «خ» : ترك النظر.

(9) في «خ» : بصاحبها

(10) في خ : ناقصة.

مَنْ أَنْهَمَكَ فِي اللَّحُوظِ⁽¹⁾ قَطْعاً يَسْقُطُ إِلَى الْحُضِيضِ الْأَسْفَلِ وَأُضَافَهُ إِلَى
اللَّحُوظِ ؛ لِأَنَّ الْإِشْتَغَالَ بِاللَّحُوظِ مُسَبَّبٌ عَنْ لِحُوظِ الْغَيْرِ وَالْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهِ،
وَأَمَّا لَوْ اشْتَغَلَ بِاللَّهِ لَنَسِيَ حُظُوظَهُ وَلِحُوظَهُ. وَحَاصِلُ مَعْنَى الْبَيْتِ : تَرَكْنَا
حُظُوظاً مِنْ حُظُوظِ⁽²⁾ النَّفْسِ الَّتِي تَهْوِي بِنَا إِلَى الْحُضِيضِ الْأَسْفَلِ بِسَبَبِ
لُحُوظِنَا إِيَّاهَا وَالتَّفَاتِنَا إِلَيْهَا. الَّتِي لَا يَرْضَى بِهَا ذُو هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، وَلَا يَتِمَكَّنُ
مَعَهَا فَتَوْحَ رَبَّانِيَةٍ.

وَالْحُظُوظُ ثَلَاثَةٌ : حُظُوظُ جِسْمَانِيَّةٍ، وَحُظُوظُ قَلْبِيَّةٍ، وَحُظُوظُ رُوحِيَّةٍ.
وَكُلُّهَا تَحْجُبُ عَنِ اللَّهِ لِمَنْ وَقَفَ مَعَهَا.

فَالْجِسْمَانِيَّةُ : كَتَمَتِ النَّفْسُ بِلَذَّةِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ⁽³⁾
وَالْمَنَاقِيحِ وَالْمَرَائِبِ⁽⁴⁾ وَمَا يُرْجَعُ إِلَى ذَلِكَ، مِمَّا تَتَمَتَّعُ بِهِ الْبَشَرِيَّةُ وَيَزِيدُ فِي
حِسِّهَا، إِذَا سَكَنَ شَيْءٌ مِنْهَا فِي الْقَلْبِ⁽⁵⁾ لَمْ يَرْحَلْ إِلَى اللَّهِ أَبَداً مَا دَامَ سَاكِنَهَا⁽⁶⁾
فِيهَا.

وَالْقَلْبِيَّةُ : كَحُبِّ الْمَالِ وَالرِّيَاسَةِ وَالْجَاهِ وَالتَّقَدُّمِ وَحُبِّ الْمَذْحِ وَالشَّنَاءِ
وَالْتَعْظِيمِ وَإِقْبَالِ النَّاسِ، وَكَاتِّصَافِهِ بِالْكِبَرِ وَالْحَسَدِ وَغَيْرِهَا مِنْ مِصَائِبِ
الْقَلْبِ. وَهَذِهِ أَقْبَحُ مِنَ الْأُولَى وَأَصْعَبُ مِنْهَا⁽⁷⁾ عِلَاجاً.

وَاعْتَبِرْ بِقِصَّةِ آدَمَ مَعَ إِبْلِيسَ فَكَانَتْ شَهْوَةُ آدَمَ فِي بَطْنِهِ، فَتَدَارَكَهُ
بِالتَّوْبَةِ، وَكَانَتْ شَهْوَةُ إِبْلِيسَ فِي قَلْبِهِ، فَطُرِدَ وَأُبْعِدَ.

(1) فِي ر : لِحُوظِ.

(2) فِي ر : مِنْ حُظُوظِ : نَاقِصَةٌ.

(3) فِي خ : نَاقِصَةٌ.

(4) فِي ر : نَاقِصَةٌ.

(5) فِي خ : قَلْبِ.

(6) فِي ر : سَاكِنِ.

(7) فِي ر : «مِنْهَا» نَاقِصَةٌ.

والحظوظ الروحية⁽¹⁾ كطلب الكرامات⁽²⁾ والوقوف مع المقامات وحلاوة الطاعات، وغير ذلك من الخوارق. فكلها في العبودية التي هي سبب في شهود الربوبية. ولذلك قال في الحكم : «الحق ليس بمحجوب عنك⁽³⁾، وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه»⁽⁴⁾. ثم قال : متصلاً بهذه الحكمة : «أخرج من أوصاف بشرتك عن كل مناقض لعبوديتك، لتكون لنداء الحق مجيباً، ومن حضرتيه قريباً»⁽⁵⁾. فكأنه قال : إنما حجبتك عن النظر إليه أوصاف بشرتك، أخرج عنها يحصل لك النظر إليه. وعلى هذا المسلك سلك الناظم حيث قال : «وطالبنا هو مطلوبنا» أقرب إلينا منا من وجودنا. ثم قال : «تركنا حظوظا» إلخ. فكأنه يقول : مطلوبنا أقرب إلينا منا، وإنما حجب الناس عنه الاشتغال بحظوظهم ولحوظهم التي أهوت بهم إلى الحضيض الأسفل⁽⁶⁾. فقد تركنا ذلك فوجدنا الطالب منا عين المطلوب.

وقوله : «مع المقصد الأقصى». أي مع ترك المقصد الأبعد : وهو نعيم الجنان من القصود والخور التي هي الحسنى، فهو⁽⁷⁾ وإن كان ليس من الحظ العاجل، فهو لحظ الالتفات إلى الغير. وسماه المقصد الأقصى لأنه بعيد من حظوظ هذه الدار، وعمامة الناس يقصدونه بمعاملتهم.

(1) في خ : الروحانية.

(2) الكرامات : ج كرامة : وهي للأولياء، والمعجزات للأنبياء، وظهور الكرامات على الأولياء جازز، والدليل على جوازه أنه أمر موهوب في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول. [معجم حقي ص 223].

(3) في ر : ناقصة.

(4) أنظر شرح الحكم «لابن عباد الرندي»، ج 1، ص 31، وج 2، ص 128، دار الفكر، ط 1، 2004. ويقول كذلك «إنما حجب الحق عنك شدة قربه منك»، بيروت لبنان.

(5) شرح الحكم : ج 1، ص 31. يقول كذلك : «مطلب العارفين من الله تعالى الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية» نفس المصدر، ج 1، ص 68.

(6) في خ : «الأسفل» ناقصة.

(7) في ر : فإنه.

وقوله: «إِلَى الْمَطْلَبِ الْأَسْنَى» أي تركنا ذلك كله قاصدين إلى المطلب الأسنى⁽¹⁾، وهو الزيادة التي هي المشاهدة والترقي في أنوارها أبداً سرّمدًا. جعلنا الله من هذا القبيل آمين. فتحصل أن العبد لا يدخل حضرة الشهود حتى يترك الحظوظ كلها، ويتقى بقلبٍ مُفردٍ لله تعالى. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى﴾⁽²⁾.

وقيل للجنيّد: كيف الوصول إلى الانقطاع إلى الله عزّ وجلّ؟ فقال: «بتوبةٍ تزيل الإصرار، وخوفٍ يقطع التسويف، ورجاءٍ يبعث على مسالكٍ سائر»⁽³⁾ العمل، وإهانة النفس بقربها من الأجل وبُعدها من الأمل⁽⁴⁾. قيل له: بماذا يصل العبد إلى هذا؟ قال: «بقلبٍ مُفردٍ فيه توحيد مجرد»⁽⁵⁾ وقال الناظم بعض أبياته ثم ذكر نتيجة ترك الحظوظ واللمحوظ وهو كشف حجاب الكائنات فقال⁽⁶⁾:

وَلَمْ نُلْقِ كُنْهَ الْكُونِ إِلَّا تَوْهُمَا وَلَيْسَ بِشَيْءٍ ثَابِتٍ هَكَذَا أَلْفِينَا⁽⁷⁾
لي حبيب إنما هو غيور يظل في القلب كطير حذور
وإذا رأى شيئاً امتنع أن يزور

يقول رضي الله عنه: وَلَمْ نُلْقِ (بضمّ النون)، أي نجدُ كُنْهَ الْكُونِ أي حقيقته عند انكشاف ظلمة الحسنِ إِلَّا تَوْهُمَا، أي عَدَمًا مُحَضًّا. تَوْهُمَ النَّاسِ أَنَّهُ شَيْءٌ ثَابِتٌ مَعَ اللَّهِ وليس شيئاً ثابتاً معه إنما هو كَالْهَبَاءِ⁽⁸⁾ في الْهَوَاءِ⁽⁹⁾.

(1) في خ: هذه الجملة ناقصة [أي تركنا ذلك كلية قاصدين إلى المطلق الأسنى].

(2) الآية: الأنبياء: 94.

(3) في خ: «سائر» ناقصة.

(4) الجنيّد: عن أخباره انظر الرسالة القشرية، ص 18-19، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ.

(5) الجنيّد في ح: «بقلب مفرد يزور» والجملة التي تلت، ناقصة وكذلك الزجل.

(6) الديوان: قسم الأزجال. وإيقاظ الهمم ص 282 دار المعرفة بيروت، دون تاريخ.

(7) في خ: «ألفينا»، والصحيح: «ألفينا» انظر الديوان ص 71، البيت (4).

(8) الهباء: كلمة تدل على غبرة ورقة فيها... والهباء: دقاق التراب... والشئ المنبث الذي تراه في ضوء الشمس. (معجم مقاييس اللغة) والهباء عند المتصوفة، عند ابن عربي بالذات: هو المادة المحدثّة التي خلق الله فيها صور العالم، فهي الجوهر المظلم الذي قيل صور أجسام العالم. وهي ما أطلق عليها الفلاسفة الهيولى. (أنظر الفتوحات ج 2 ص 130).

(9) في «ر»: نقص في هذه الفقرة عوضناه بالرجوع إلى «خ» من: «توهم الناس» إلى: «كان الله ولا شيء معه».

إِنْ فَتَشْتَهُ لَمْ تَجِدْ شَيْئاً خَارِجاً عَنْ أَنْوَارِ الْإِلَهِيَّةِ. وَإِنَّمَا الْوُجُودُ لِلَّهِ وَحْدَهُ. كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ. وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ. عَلَى هَذَا دَرَجَ أَهْلُ الْأَذْوَاقِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ قَاطِبَةً. وَبِذَلِكَ غَتُّوا فِي أَشْعَارِهِمْ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ (1) :

مُذْ عَرَفْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرْ غَيْراً وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعُ
مُذْ تَجَمَّعْتُ مَا خَشِيتُ افْتِرَاقاً فَأَنَا الْيَوْمَ وَاصِلٌ مَجْمُوعُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ لَمْ يَبْقَ كَائِنٌ فَمَا نَمَّ مَوْصُولٌ وَلَا نَمَّ بَائِنُ
بِذَا جَاءَ بُرْهَانُ الْبَيَانِ فَمَا أَرَى بَعَيْنِي إِلَّا عَيْنَهُ إِذْ أُعَايِنُ

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَوَاجِيدِهِمْ (2) وَأَذْوَاقِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ فِي الْحُكْمِ : «مَا حَجَبَكَ عَنِ الْحَقِّ وَجُودٌ مَوْجُودٌ مَعَهُ إِذْ لَا شَيْءَ مَعَهُ. وَإِنَّمَا حَجَبَكَ تَوَهُّمٌ مَوْجُودٌ مَعَهُ» (3). وَقَالَ فِي التَّنْوِيرِ : «فَمَا سَوَى اللَّهِ تَعَالَى لَا يوصفُ بِفَقْدٍ وَلَا بِوُجُودٍ، لِأَنَّهُ يَوْجِدُ مَعَهُ غَيْرَهُ لثُبُوتِ أَحَدِيَّتِهِ. وَلَا فَقْدَ لغيرِهِ، لِأَنَّهُ لَا يُفْقَدُ إِلَّا مَا كَانَ مَوْجُوداً. وَلَوْ انْهَتَكَ حِجَابُ الْوُجُودِ، لَوَقَعَ الْبَيَانُ عَلَى فَقْدِ الْأَعْيَانِ، وَلَا شَرَقَتْ نُورُ الْإِيمَانِ، فَغَطَّى وَجُودُ الْأَكْوَانِ» (4).

وَقَالَ فِي لَطَائِفِ الْمَنَنِ : «وَأَشْبَهَ شَيْءٌ بِالْكَائِنَاتِ وَجُودُ الظَّلَالِ، فَالظَّلْ لَا مَوْجُودَ بِاعْتِبَارِ مَرَاتِبِ الْوُجُودِ، وَلَا مَعْدُومَ بِاعْتِبَارِ مَرَاتِبِ الْعَدَمِ» (5). وَاعْتِبَارَ الْعَدَمِ فِي الظَّاهِرِ أَقْرَبُ لِأَنَّهُ خِيَالٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ (6)، وَتَشَبَّهُ الْكَائِنَاتِ

(1) فِي نَفْسِ الْمَعْنَى أَنْشَدَ الشُّشْتَرِي :

مُذْ عَرَفْتُ رَبِّي زَالَتْ عَنِّي الْأَغْيَارُ
وَأَنْشَرَحَ قَلْبِي وَبَدَتْ لِي الْأَسْرَارُ
وَأَنَا طَوَّلَ حَيَاتِي فِي نُورٍ وَأَنْوَارٍ (الديوان ص 279)

(2) فِي ر : وَظَانِهِمْ.

(3) ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ : «الْحُكْمُ». أَنْظَرَ شَرْحَ الْحُكْمِ ج 2 ص 161.

(4) ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ : «التَّنْوِيرُ» : التَّنْوِيرُ فِي اسْقَاطِ التَّدْبِيرِ وَبِهَامِشِهِ «تَاجُ الْعُرُوسِ الْخَاوِي لِتَهْذِيبِ النُّفُوسِ»، مَكْتَبَةُ ابْنِ شَقْرُونِ الْقَاهِرَةِ دُونَ تَارِيخٍ. أَنْظَرَ فِصْلَ : «بَيَانُ أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَصِلُ إِلَى الرِّضَا وَلَا يَبْلُغُ إِلَى صَرِيحِ الْعِبَادَةِ إِلَّا بِالِاسْتِسْلَامِ إِلَى الْقَضَاءِ. ص 10.

(5) ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ : «لَطَائِفُ الْمَنَنِ»، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بِيْرُوتَ لُبْنَانَ دُونَ تَارِيخٍ

(6) فِي ر : «لَهُ» نَاقِصَةٌ.

بالظِّلَ لِأَن يَنْسَجُ وَيُعْدَمُ عِنْدَ وَصُولِ الشَّمْسِ إِلَى مَحَلِّهِ. فَكَذَلِكَ حِسَّ الْأَوَانِي يُعْدَمُ وَيُفْقَدُ عِنْدَ طُلُوعِ شَمْسِ الْعِرْفَانِ عَلَيْهِ. فَإِذَا أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْمَعَانِي، ارْتَفَعَ حِسَّ الْأَوَانِي. وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى عَلَى طَرِيقِ أَهْلِ الْإِشَارَةِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ (1). أَيِ ظِلِّ الْكَائِنَاتِ: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ (2) أَيِ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَ ذَلِكَ الظِّلَّ سَاكِنًا. مَا ارْتَفَعَتْ ظِلْمَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ﴾ (3) أَيِ شَمْسِ الْعِرْفَانِ ﴿عَلَيْهِ﴾ (4) أَيِ عَلَى ذَلِكَ الظِّلِّ ﴿ذَلِيلًا﴾ (5) حَتَّى صَارَ ذَلِكَ الْعَارِفُ يَسْتَدِلُّ بِاللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ ﴿ثُمَّ قَبَضْتُهُ﴾ (6) عَلَى قُلُوبِ الْمُتَوَجِّهِينَ ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ (7) شَيْئًا فَشَيْئًا عَلَى حَسَبِ التَّصْفِيَةِ (8) وَالتَّرْقِيَةِ (9) حَتَّى يَنْقَطِعَ بِالْكَلِيَةِ. وَقَدْ أَشَارَ النَّازِمُ فِي بَعْضِ أَرْجَائِهِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ:

تَجَلَّتِ الْمَعَانِي وَغَابَتِ الظُّلَالُ
كُسِّرَتِ الْأَوَانِي وَمُسِّرَقِ الْمِثَالِ (10)

وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ فِي الْحِكْمِ: «الْأَكْوَانُ ثَابِتَةٌ بِإِثْبَاتِهِ، مَمْحُوءَةٌ بِأَحْدِيَةِ ذَاتِهِ (11)، لَا يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِهَا اسْتِقْلَالُ (12). وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّهُ أَظْهَرَ حِسَّهَا لِيُعْرَفَ بِهَا، ثُمَّ مَحَاهَا بِأَحْدِيَةِ أَسْرَارِ ذَاتِهِ، وَهِيَ الْمَعَانِي الْقَائِمَةُ بِهَا قِيَامُ الثَّلْجَةِ بِالْمَاءِ (13)، فَإِذَا أَظْهَرَ الْمَاءُ بَدُونَ (14) الثَّلْجَةِ فَلَا ثُلْجَةَ، كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِيَّةِ (15).

(1)، (2)، (3)، (4)، (5)، (6)، (7) الفرقان : 45.

(8) التصفية : من الصفاء : ما خلص من مازجة الفعل من الحقائق في الحين. قال ابن عطاء الله :

لا تغتروا بصفاء العبودية فإن فيها نسيان الربوبية، لأنها مازجة بالطبع وروية الفعل.

(9) الترقية من الترقى، وترقى في العلم أي رقى فيه درجة درجة، والترقية في السلوك الصوفي،

هو أن تتم تصفية القلب من الأكذار والأغيار وصقل مرآة النفس من الصدأ، يبدأ ترقى

قلب السالك من درجة من الكشف إلى درجة أعلى منها إلى أن يتحقق العرفان.

(10) ديوان أبي الحسن الششتري، البيت من قصيدة زجلية عنوانها : «ليس إلا الله» ص 357،

تحقيق الدكتور محمد العدلوني الإدريسي والأستاذ أبو الفيوض ط 1 دار الثقافة 2008.

(11) أحديّة الذات : وهي مرتبة الذات المطلقة، وقد تم تحليل هذا المصطلح فيما تقدم.

(12) في خ : الاستقلال.

(13) في ر : «الماء» ناقصة.

(14) في ر : تُدَوِّبَان.

(15) العينية : وفي جهة أخرى يقول :

وما الْكَوْنُ فِي التَّمْنَالِ إِلَّا كَتَلْجَةٍ وَأَنْتَ لَهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ نَابِعٌ
وما⁽¹⁾ التَّلْجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَائِهِ وَغَيْرِهِ⁽²⁾ فِي حُكْمِ دَعْتِهِ الشَّرَائِعُ

وَقَوْلُهُ : هَكَذَا الْفَنَاءُ، أَيُّ هَكَذَا حَقِيقَةُ الْفَنَاءِ : مَحْوُ الْأَشْيَاءِ وَاضْمَحْلَا
لِهَا كَمَا قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْمَوَاهِبِ : حَقِيقَةُ الْفَنَاءِ مَحْوٌ وَاضْمَحْلَالٌ، وَذَهَابُ
عَنْكَ وَزَوَالٌ. وَمِنْ الْأَشْيَاءِ وَجُودُ النَّفْسِ، فَلَا يَحْقُقُ الْعَبْدُ الْفَنَاءَ حَتَّى يَغِيبَ
عَنْ وَجُودِهِ، وَوُجُودُ الْكَوْنِ بِأَسْرِهِ فِي شُهُودِ وَجُودِ مُحْبُوِيهِ.

وَفِي نَسْخَةِ الشَّيْخِ زُرُوقَ : «وَلَيْسَ بِشَيْءٍ ثَابِتٍ هَكَذَا الْفَنَاءُ»⁽³⁾. قَالَ :
يَعْنِي هَكَذَا وَجَدْنَا، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ مَعْرِفَتَهُمْ مِنْ طَرِيقِ الذَّوْقِ وَالْمُنَازَلَةِ لَا مِنْ
طَرِيقِ الْعِلْمِ وَالْمُحَاوَلَةِ. قُلْتُ : وَهُوَ غَيْرُ جَيِّدٍ. لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى نَوْعِ تِكْرَارٍ مَعَ
أَوَّلِ الْبَيْتِ لِأَنَّ قَوْلَهُ : وَلَمْ نَلْقَ، أَيُّ نَجِدُ صَرِيحاً فِي الذَّوْقِ وَالْوُجْدَانِ فَلَا
مَعْنَى لِإِعَادَتِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

ثُمَّ ذَكَرَ مَا أَنْتَجَ هَذَا الْوُجُودَ فَقَالَ :
فَرَفُضُ السَّوَى فَرَضٌ عَلَيْنَا لِأَنَّا بِمِلَّةٍ مَحْوِ الشَّرِكِ وَالشَّكِّ قَدْ دِنْنَا⁽⁴⁾
يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَرَفُضُ السَّوَى أَيُّ طَرَحُهُ وَالْغَيْبَةُ عَنْهُ فَرَضٌ
وَاجِبٌ عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْمُوحِدِينَ. وَهَذَا الْبَيْتُ مُرْتَبٌّ عَلَى مَا قَبْلَهُ، لِأَنَّ مَنْ وَجَدَ
الْكَوْنَ تَوْهُمًا لَا حَقِيقَةً لُجُودِهِ، وَالْكَوْنَ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ، تَعَيَّنَ عَلَيْهِ رَفُضُهُ
وَعَدَمُ اعْتِبَارِهِ، نَظَرًا وَاعْتِبَارًا وَحُبَّةً وَاسْتِنَادًا. فَلَا يُرَى فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا
يَعْتَمَدُ فِي أُمُورِهِ إِلَّا عَلَيْهِ. كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

= فَقَدْ خَلَقَ الْأَرْضَيْنِ بِالْحَقِّ وَالسَّمَا كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ، إِنْ أَنْتَ سَامِعٌ
وَمَا أَلْحَقُ إِلَّا اللَّهَ ؛ لِأَشْيَاءٍ غَيْرُهُ فَشَمُّ شَدَاهُ، فَهُوَ فِي الْخَلْقِ ضَانِعٌ

(1) فِي ر : فَمَا.

(2) فِي خ : وَغَيْرَانِ.

(3) قَوْلُهُ الشَّيْخِ زُرُوقَ : شَرْحُ النُّونَةِ.

(4) فِي الدِّيَوَانِ : دِنَا، الدِّيَوَانُ ص 71. وَفِي «ر» وَ«خ» : دِنْنَا.

حَرَامٌ عَلَى مَنْ وَحَدَ اللَّهُ رَبَّهُ وَأَفْرَدَهُ أَنْ يَحْتَدِيَ أَحَدًا رِفْدًا
فِيَا صَاحِبِي قِفْ بِي عَلَى الْحَقِّ وَقِفْهُ أَمُوتُ بِهَا وَجُدًا وَأَحْيَا بِهَا وَجُدًا
وَقِيلَ لِمَلُوكِ الْأَرْضِ تَجْهَدُ جُهْدَهَا فَذَا الْمَلِكُ مُلْكٌ لَا يُبَاعُ وَلَا يُهْدَى

وكذلك لا يميل لمحبتِهِ شَيْءٌ⁽¹⁾ من حُسن الكائنات، وإنما يتعشَّق إلى أسرار المعاني التي هي الحضرة الربانية⁽²⁾، التي هي وَجْهُ الرَّحْمَنِ، فافْهَمُ. لأن مَنْ سَابَقَتْهُ المعاني لا يَلْتَفِتُ إلى جَمَالِ صُورِ الْأَوَانِي، وَغَابَ عَنْهَا فِي جَمَالِ الْمُتَجَلِّي بِهَا فيغيب بِخِلَافَةِ لَذَّةِ الشَّهْوَةِ عَنْ جَمَالِ كُلِّ مَشْهُودٍ.

ثم عَلَّلَ رَفْضَهُمُ السُّوَى⁽³⁾ بقوله: «لأننا بِمِلَّةٍ مَحْوِ الشَّرِكِ والشَّكِّ قَدْ دِنَّا». أي لأننا مَمْسُكُنَا بِمِلَّةِ الْحَقِيقَةِ الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ، التي جاء بها رسولنا عليه الصَّلَاة والسلام، وهي مُؤَسَّسَةٌ عَلَى مَحْوِ الشَّرِكِ وَرُؤْيَا الْغَيْرِ عَنْ عَيْنِ الْقَلْبِ. لأن إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاة والسلام حِينَ زَجَّ بِهِ فِي الْمُنْجَنِقِ وَرُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ، تَعَرَّضَ لَهُ جَبْرِيلُ فِي الْهَوَاءِ فَقَالَ لَهُ: أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا، وَأَمَّا إِلَى اللَّهِ فَبَلَى. فقال جَبْرِيلُ: سَلْهُ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «عِلْمُهُ بِحَالِي يُغْنِي عَن سُؤَالِي»⁽⁴⁾. فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الْوَاسِطَةِ قِطْعًا، وَلَمْ يَشْرِكْ فِي مِلْقَاهُ أَحَدًا سِوَى مَوْلَاهُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ⁽⁵⁾. وكذلك مَحْوِ الشَّكِّ وَالرَّيْبَةِ. فإنه عليه السلام طَلَبَ الْإِنْتِقَالَ مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ، الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يُزَاحِمَهُ خَاطِرُ تَوْهَمِهِ⁽⁶⁾، إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ الَّذِي لَا يَبْقَى مَعَهُ وَهْمٌ وَلَا رَيْبَةٌ أَصْلًا. إِذْ لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْعِيَانِ، وَذَلِكَ حِينَ قَالَ: «رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى»⁽⁷⁾ الْآيَةَ.

(1) فِي ر: بِمَحَبَّةِ الشَّيْءِ.

(2) فِي خ: «الَّتِي هِيَ الْحَضْرَةُ الرَّبَّانِيَّةُ» نَاقِصَةٌ وَلَعَلَّهَا زِيَادَةٌ مِنْ طَرَفِ نَاسِخِ الْمَخْطُوطِ «ر».

(3) السُّوَى: سِوَى اللَّهِ. لَقَدْ دَرَجَتِ الصُّوفِيَّةُ عَلَى تَسْمِيَةِ كُلِّ مَا عَدَا اللَّهَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ بِالسُّوَى، وَكُلُّ مَرْبُوبٍ هُوَ «سُوءٌ» وَ«غَيْرٌ» فِي مِقَابِلِ اللَّهِ الرَّبِّ. وَفِي هَذَا الصَّدَدِ قَالَ ابْنُ عَرَبِي: «فَإِنْ كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ لَا يُمْكِنُهُ الْخُرُوجُ عَنْ قَبْضَةِ الْحَقِّ، فَهُوَ مُوجِبُهُمُ» (الْفَتْوَحَاتُ الْمَكِّيَّةُ ج 3 ف 133).

(4) الْحَدِيثُ: كِتَابُ مَرْقَاةِ الْمِفْتَاحِ شَرْحُ مَشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ: الْقَارِي ج 8 ص 20. وَنَصُ الْحَدِيثِ: «وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي».

(5) فِي خ: نَاقِصَةٌ.

(6) فِي ر: تَعْلَمُهُ. وَخ تَهْمَةٌ.

(7) الْبَقَرَةُ: 260.

فأسعفه الحق تعالى في ذلك حتى انتقل من علم اليقين إلى عين اليقين، وهذا معنى قوله : «لَأَنَّا بِمِلَّةٍ مَّخَوِّ الشَّرْكِ وَالشَّكِّ قَدْ دَنَّا». أي اتَّخَذْنَاهُ دِيناً نَمَسُّكَ بِهِ ظَاهِراً وَبَاطِئاً. وعلى هذا يدور فلك قُطْبِ التَّصَوُّف، بِحَيْثُ لَا يَنَقَى فِي الْقَلْبِ رِيَّةٌ وَلَا تَهْمَةٌ فِي ظُهُورِ الْحَقِّ وَانْفِرَادِهِ بِالْوُجُودِ، لِأَنَّهُمْ بَلَّغُوا رُتَبَةَ الْعِيَانِ وَارْتَقَعُوا عَنْ مَقَامِ غَيْبِ الْإِيمَانِ. وكذلك الأمور الغيبية⁽¹⁾ الموعود بها صارت عندهم كأنها حاضرة لَدَيْهِمْ، حَتَّى صَارُوا بِحَيْثُ لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ عَنْهَا وَظَهَرَتْ مَا ازْدَادُوا يَقِيناً، كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا «عَلِيٌّ» كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ. وكما قال «حارثة» في قضيته المشهورة حين سُئِلَ عَنْ حَقِيقَةِ إِيْمَانِهِ. وكذلك «مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ثُمَّ التَفَتَ إِلَى مَا قَدَّمَاهُ مِنْ مُشَاهَدَةٍ نَفْيِ الْكُوفِ⁽²⁾ مع وجود رفضه ورأى ذلك كالتناقض فقال :

وَلَكِنَّهُ كَيْفَ السَّبِيلُ لِرَفْضِهِ وَرَافِضُهُ الْمَرْفُوضُ نَحْنُ وَمَا كُنَّا

قلت : رَافِضُهُ مُبْتَدَأٌ، وَالمَرْفُوضُ خَبَرٌ. وَنَحْنُ خَبَرٌ عَنْ مُضْمَرٍ يَعُودُ عَلَى الرَّافِضِ، وَهُوَ : وَنَحْنُ وَمَا كُنَّا حَالٌ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ رَفْضَ السَّوَى فَرَضٌ عَلَيْنَا وَلَكِنَّهُ إِشْكَالٌ، وَهُوَ أَنَّ نَقُولَ : كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى رَفْضِهِ. وَالرَّافِضُ هُوَ الْمَرْفُوضُ، وَالمَرْفُوضُ عَيْنُ الرَّافِضِ لِأَنَّ الْجَمِيعَ سَوَى. وَهُوَ مُصَدَّرٌ مُحْضَرٌ فَالرَّافِضُ هُوَ نَحْنُ. وَمَا كُنَّا شَيْئاً. بَلْ عَدَمًا مُحْضًا لَا كُنَّا مِنْ جَمَلَةِ السَّوَى فَتَحْصُلُ أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى هُوَ الَّذِي فَعَلَ جَمِيعَ ذَلِكَ حَتَّى عَرَفَ نَفْسَهُ وَأَزَالَ الْمَوَانِعَ عَنْ ذَاتِهِ بِذَاتِهِ. وَيُجَابُ بِأَنَّ الْحَقَّ جَلَّ جَلَالُهُ، لَمَّا تَجَلَّى بِاسْمِهِ الظَّاهِرِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَى عَالَمِ الشَّهَادَةِ، تَجَلَّى أَيْضًا بِاسْمِهِ الْبَاطِنِ، فَبَطْنٌ فِي ظُهُورِهِ وَاخْتَفَى فِي حَالِ تَجَلِّيهِ، وَذَلِكَ بِمَا أُسْدَلَ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ رِداءٍ كَبِيرِيائِهِ، وَهِيَ رِداءُ الْحُسْنِ. وَيُسَمَّى هَذَا الرِّدَاءُ عَالَمَ الْحِكْمَةِ وَعَالَمَ

(1) فِي خ : نَاقِصَةٌ.

(2) فِي خ : الْمَكُونُ.

الأشباح وعالم الفرق، وإنما تردى بذلك الرداء⁽¹⁾ لِيَتَقَى الكثرُ مدفوناً والسرُّ مصوناً. فسُبْحَانَ المُدَبِّرِ الحَكِيمِ العَلِيمِ⁽²⁾.

فَلَمَّا بَرَزَتْ الروح من عالمِ اللَّطَافَةِ والصفاء إلى العالم الحِسِّي، انسَدَلْ عليها الحجاب من جُمْلَةٍ من انسَدَلْ عليهم، فما فَتَحَتْ عينيها الحسية⁽³⁾ إلا في هذا العالم الحِسِّي، فعشقتَه ومالَتْ إليه وتاهَتْ في فروقهِ⁽⁴⁾ ونَسِيَتْ أصلها وجهلت رَبَّها فَبَعَثَ اللهُ تعالى مَنْ يُعَالِجُها من الأنبياء والرُّسُلِ وخُلَفَائِهِم من الأولياء الفحول، فأَمَرُوها بالأدب مَعَ الربوبية في الظَّاهِرِ. فَعَلَّمُوها ثُمَّ أَمَرُوها بالأدبِ في الباطن مَعَهُ، وهو تَرْكُ الحِظُوظِ واللحوظِ ورفضُ كُلِّ ما يشغل عن الله، وَهُوَ المُعَبِّرُ عنه بالسَّوِي. فإذا فَعَلْتَ ذَلِكَ رَجَعْتَ إلى أصلِها، وشاهدت أسرارَ رَبِّها، وَتَنَزَّهْتَ في جَمالِ ذاتِهِ حين ارتَفَعَ عَنْها رِداءُ الحِسِّ. فَظَهَرَ حينئِذٍ بهذا الاعتبارِ الرافضِ والمرفُوضِ، وانحل الإشكال الذي توهموه. وأما لو تركنا هذا الاعتبارَ لبطلتِ الأحكام والحِكْمَةُ، وهذا كفر وزندقة.

فالواجبُ على العارفِ أَنْ تكون لَهُ عَيْنان : عَيْنٌ تَنْظُرُ لعالمِ الجَمْعِ، وهو مقامُ الفناء فلا يَرى إلا الحقَّ متجَلِّياً باسمه الظَّاهر، وهذا هو الحق في عينِ الحقيقة. وَعَيْنٌ تَنْظُرُ لعالمِ الفرق وهو نتيجة سعيه الباطن فيثبت الفرق في عين الجمع والشرعية في عين الحقيقة⁽⁵⁾، فَيُثَبِّتُ الحِكْمَةَ والأحكامَ وَيُسَمِّي هذا المقام مقام البقاء. فيكون كاملاً مجموعاً في فَرْقِهِ مفروقاً في جَمْعِهِ، يُعْطِي كل ذي حق حَقَّهُ وَيُوفِّي كلَّ ذي قسطٍ قِسْطَهُ. وبهذا الاعتبار عَنِ الشاعِرِ شاكياً. لِمَا أَشْكَيلُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ :

(1) في خ : «الرداء» ناقصة.

(2) ويمكن أن نلخص معنى البيت (6) من النونية في أنه : يوضح الإشكال الذي يضعه البيت السابق وهو أن : «رفض السوى فرض علينا» إذ كيف يرفض السوى من هو في ذاته سوى، وكل سوى عدم محض، فالرافض هو المرفوض نفسه.

(3) في خ : ناقصة.

(4) في ر : فروقه.

(5) في خ : الفقرة من «وعين تنظر...» إلى «... في عين الحقيقة» ناقصة.

الْعَبْدُ حَقَّ وَالرَّبُّ حَقٌّ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنِ الْمَكْلَفُ
إِنْ قِيلَ عَبْدٌ فَالْعَبْدُ مَيِّتٌ أَوْ قِيلَ رَبٌّ أَنْتَى يُكْلَفُ

فأجاب شيخ شيو خنا سيدي عبد الرحمن الفاسي فقال :

نَعَمْ بِحَقِّ إِبْنَاتِ عَبْدٍ بِنَعْتِ فَرْقٍ بِهِ يُكْلَفُ
وَالْعَبْدُ مَيِّتٌ بِكُلِّ حَالٍ لِسِرِّ عَوْنٍ بِهِ مُكْلَفُ

فالعبدُ في الحقيقة لا وجودَ له من ذاته أصلاً، لكن لما تجلَّى سبحانه بمظهر الربوبية في قوالب العبودية، سُمِّيَ ذلك المظهر باعتبار القلب عبداً، وهو محذوف باعتبار المظهر. فإن نظرت إلى مطلق التجلّي رأيت عظمة قديمة أزلية ولا عبد. وإن نظرت إلى تطوير ذلك التجلّي في شكل (1) العبد وصورته، رأيت عبداً فقيراً، وإلى ذلك أشار في الحكم بقوله :

«سُبْحَانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الْخُصُوصِيَّةِ. بظهور البشريّة، وظاهر بعظمة الربوبية في إظهار العبوديّة» (2) وأما قول الشاعر :

أَرْبٌ وَعَبْدٌ وَنَفْيُ ضِدٍّ قُلْتُ لَهُ لَيْسَ ذَاكَ عِنْدِي
فَقَالَ مَا عِنْدَكُمْ فَقُلْنَا وَجُودٌ فَقَدْ وَفَقْدٌ وَجُدِ
تَوْحِيدٌ بِحَقِّ تَرْكٍ (3) حَقٌّ وَلَيْسَ حَقٌّ (4) سِوَايَ وَحْدِي

فإنما أنكر وجود العبد مستقلاً مفروقاً (5) كما هو اعتقاد عامة أهل الدليل والبرهان من أصحاب اليقين (6)، وهو مُحالٌ عند العارفين المُقرّين. وإنما أطلت الكلام هنا لأن هذه المسألة خفيت عن كثير ممن ينتسب للوجدان والعرفان، فضلاً عن غيرهم، وبالله التوفيق.

(1) في خ : بشكل.

(2) أنظر شرح الحكم، ح 1 ص 86.

(3) في خ : حق يترك.

(4) في خ : من.

(5) في ر : مصروفاً.

(6) في خ : اليقين.

ثُمَّ نَهَى الْمُرِيدَ عَنْ نِسْبَةِ الْفِعْلِ إِلَى نَفْسِهِ مَعَ كَوْنِهِ لَا وَجُودَ لَهُ مَعَ رَبِّهِ بِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ لَهُ. فَقَالَ :

فَيَا قَائِلًا بِالْوَصْلِ وَالْوَقْفَةِ الَّتِي
حُجِبَتْ بِهَا ارْجِعْ وَارْغَوْي ⁽¹⁾ مِثْلَ مَا أَبْنَا

قلت ارعوي ⁽²⁾ أمرٌ من ارعوى، بِمَعْنَى انزجر. ومنه قول الشاعر :

أَلَا ارْعُوا الْمَنَ وَلَّتْ شَيْبَتُهُ ⁽³⁾ وَأَذِنْتُ بِمَشْيِبِ بَعْدِهِ هَرَمَ

وإثبات الياء في الأمرِ للوزن، ومثل صفة لمَصْدَرٍ محذوفٍ «وَمَا»
مَصْدَرِيَّةٌ «وَأَبْنَا» ⁽⁴⁾ بَضَمَ الْهَمْزِ مِنْ آبٍ، أَي رَجَعَ كَقُلْنَا مِنْ قَالَ، أَي انزجر
وارجع عن ذلك رجوعاً مثل رجوعنا.

يقول رضي الله عنه مُنْكَرًا عَلَى مَنْ يَدَّعِي الْوَصُولَ إِلَى اللَّهِ بِنَفْسِهِ، أَي
بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ أَوْ بِمَجَاهِدَتِهِ وَرِيَاضَتِهِ، وَعَلَى مَنْ يَشْتَكِي الْوَقْفَةَ مِنْ نَفْسِهِ، إِذ
كِلَاهُمَا عِلَّةٌ فِي الطَّرِيقِ وَشِرْكٌ كَاذٌ أَنْ يَكُونَ جَلِيًّا عِنْدَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ. فَقَالَ :
يَا قَائِلًا بِالْوَصُولِ إِلَى اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَجَاهِدَتِهِ، وَيَا قَائِلًا بِالْوَقْفَةِ وَالْفَتْرَةِ عَنِ السَّيْرِ
الَّتِي حُجِبَتْ بِهَا عَنِ الْوَصُولِ، اسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ فِي نَصِيحَتِي وَارْغَوْي، أَي
انزجر عن هذه المقالة وارجع إلى الله بالتوبة والاستغفار، رجوعاً مثل
رجوعنا. فَقَدْ كُنَّا فِي هَذَا الْمَحَلِّ ثُمَّ تَبْنَا وَرَجَعْنَا إِلَى اللَّهِ عَنَّا، فَإِنَّ ادِّعَاءَ الْوَصُولِ
إِلَى اللَّهِ مَعَ وَجُودِ النَّفْسِ، دَعْوَى وَكَذِبٌ، وَاعْتِقَادُ الْوَصُولِ بِالْعَمَلِ عِلَّةٌ
وَشِرْكٌ. فَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ التَّوْبَةُ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ، فَالْوَاجِبُ حِينَئِذٍ الدَّخُولُ
عَلَى اللَّهِ مِنْ بَابِ الْكَرَمِ لَا مِنْ بَابِ الْعَمَلِ. فَمَنْ دَخَلَ مِنْ بَابِ الْكَرَمِ وَجَدَ
الْبَابَ مَفْتُوحًا، [وَمَنْ دَخَلَ مِنْ بَابِ الْعَمَلِ وَجَدَ الْبَابَ مَغْلُوقًا] ⁽⁵⁾. وَفِي

(1) في الديوان : وَارْعَوْي، ص 72.

(2) في خ : ارْعَوْ

(3) في خ : شَيْبَتُهُ.

(4) في ر : أَبْنَاء.

(5) في ر : الْجُمْلَةُ مَا بَيْنَ مَعْقُودَتَيْنِ نَاقِصَةٌ.

الحِكْمَ : «لَوْ كُنْتَ لَا تَصِلُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بَعْدَ فَنَاءٍ مَسَاوِيكَ لَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَصِّلَكَ إِلَيْهِ غَطَّى وَصَفَكَ بِوَصْفِهِ وَنَعَتَكَ بِنَعْتِهِ، فَوَصَلَكَ إِلَيْهِ بِمَا مِنْهُ إِلَيْكَ لَا بِمَا مِنْكَ إِلَيْهِ»⁽¹⁾.

وَكَذَلِكَ الْقَائِلُ بِالْوَقْفَةِ وَهِيَ الْفَتْرَةُ الَّتِي تَعْتَرِي الْمُرِيدَ فِي السَّيْرِ، بِحَيْثُ تَبْرُدُ قَرِيحَتُهُ وَتَنْحَلُّ عَزِيمَتُهُ، أَنْ⁽²⁾ لَا يُظْهِرَهَا إِلَّا لِشَيْخِهِ، وَلَا يَشْتَكِي بِهَا لِغَيْرِهِ، إِذْ كُلُّ ذَلِكَ امْتِحَانٌ مِنَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ. فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَثْبُتَ⁽³⁾ فِي الطَّرِيقِ وَيُلَازِمَ صُحْبَةَ أَهْلِ الْقُوَّةِ وَالتَّحْقِيقِ، حَتَّى يَمُنَّ الْكَرِيمُ الْوَهَّابُ عَلَيْهِ بِالْقُوَّةِ. فَيَلْتَحِقَ بَيْنَ الْأَقْوِيَاءِ مِنْ ذَوِي التَّحْقِيقِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَقْفَةِ وَالْفَتْرَةِ أَنَّ الْوَقْفَةَ تَرَدَّدُ فِي صِحَّةِ الطَّرِيقِ وَشُكِّ، وَالْفَتْرَةُ ضَعْفُ الْقَرِيحَةِ، وَالْعَزْمُ⁽⁴⁾ مَعَ الْجَزْمِ بِصِحَّةِ الطَّرِيقِ. فَالْوَقْفَةُ أَقْبَحُ مِنَ الْفَتْرَةِ، فَإِذَا جَزَمَ بَعْدَمِ صِحَّةِ الطَّرِيقِ فَهُوَ رَجُوعٌ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَحَاصِلُ كَلَامِ النَّازِمِ هُوَ التَّحَقُّقُ بِالْفَنَاءِ عَنِ النَّفْسِ وَالْغَيْبَةِ عَنْهَا بِالْكَلِيَّةِ، بِحَيْثُ لَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا وَصْلٌ وَلَا فَصْلٌ وَلَا وَقُوفٌ وَلَا قُوَّةٌ وَلَا ضَعْفٌ، إِذْ الْكُلُّ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَلِذَلِكَ قَالَ «مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ»⁽⁵⁾ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

«مَنْ شَاهِدَ أَنَّ الْخَلْقَ لَا فِعْلَ لَهُمْ فَقَدْ جَازَ، وَمَنْ شَاهِدَهُمْ لَا حَيَاةَ لَهُمْ فَقَدْ فَازَ، وَمَنْ شَاهِدَهُمْ بَعْضَ الْعَدَمِ فَقَدْ وَصَلَ». وَأَنْشَدُوا فِي ذَلِكَ :

(1) الحكم : وأنظر شرح الحكم ج 1 ص 31-32 قوله : «أخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك، لتكون لنداء الحق مجيباً ومن حضرته قريباً».

(2) في خ : ولا. و«ر» : فلا

(3) في «خ» : فليثبت

(4) في ر : الحزم.

(5) محي الدين بن عربي : هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائفي ابن العربي الحاملي، أطلق عليه أتباعه «الشيخ الأكبر» وكان يعرف في الأندلس باسم «ابن سراقه» أما في المشرق فكان يعرف بابن عربي من غير أداة التعريف تمييزاً له عن القاضي «أبي بكر بن العربي المتكلم والفقيه. ولد سنة 560هـ/1165م بمصرية وتوفي بدمشق سنة 638هـ/1240م.

مَنْ أَبْصَرَ الْخَلْقَ كَالسَّرَابِ فَقَدْ تَرَقَّى عَنِ الْحِجَابِ
إِلَى وَجُودِ يَرَاهُ رَتْقاً بِلا ابْتِعَادٍ وَلَا اقْتِرَابِ
وَلَمْ يُشَاهِدْ بِهِ سِوَاهُ هُنَاكَ يُهْدَى إِلَى الصَّوَابِ
بِلا خِطَابٍ مِنْهُ إِلَيْهِ وَلَا مُشِيرٍ إِلَى الْخِطَابِ

فَقَوْلُهُ : بِلا خِطَابٍ مِنْهُ إِلَيْهِ، يشير إلى قَوْلِهِمْ : مَنْ عَرَفَ اللَّهَ كُلَّ لِسَانُهُ،
فَالضَّمِيرُ فِي مِنْهُ يَعُودُ عَلَى مَنْ أَبْصَرَ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَغْلَمُ.

ثُمَّ بَيَّنَّ أَصْلَ الْعِلَلِ فَقَالَ :

تَقَيَّدَتْ بِالْأَوْهَامِ لَمَّا تَدَاخَلَتْ عَلَيْكَ وَنُورُ الْعَقْلِ أَوْرَثَكَ السَّجْنَ
يقول رضي الله عنه لِمَنْ وَقَفَ مَعَ الْإِسْتِدْلَالِ، وَقَنَعَ بِمَقَامِ الْإِيمَانِ لَمَّا
تَدَاخَلَتْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ وَالشُّكُوكُ وَالْخَوَاطِرُ : تَقَيَّدَتْ بِهَا وَحُجِبَتْ عَنْ مَقَامِ
الْعِيَانِ⁽¹⁾. وَالْمُرَادُ بِالْأَوْهَامِ : وَهْمٌ وَجُودِ الْكَوْنِ وَاسْتِقْلَالُهُ وَشَفَعِيَّةُ الْآثَارِ⁽²⁾،
إِذْ مِنْ وَقَفَ مَعَ ظِلْمَةِ الْكَوْنِ⁽³⁾ وَلَمْ يَشْهَدْ الْحَقَّ مَعَهُ أَوْ عِنْدَهُ وَلَا قَبْلَهُ⁽⁴⁾ أَوْ
بَعْدَهُ، فَقَدْ أَعْوَزَهُ وَجُودُ الْأَنْوَارِ وَحُجِبَتْ عَنْهُ شُمُوسُ الْمَعَارِفِ بِالْوُقُوفِ مَعَ
سَحَبِ الْآثَارِ وَوَهْمِ تَخَلُّفِ الرِّزْقِ مَعَ أَنَّهُ مَضمُون. فَاشْتَغَلَ بِتَحْصِيلِ أَسْبَابِهِ
وَجَمْعِهِ بِاجْتِهَادِهِ وَاحْتِكَارِهِ، فَأَعْوَزَتْهُ أَنْوَارُ التَّوَكُّلِ، وَتَظَلَّمَ بِاطْنُهُ بِهِمَّ الرِّزْقِ
وَخَوْفِ الْفَقْرِ وَوَهْمِ ضَرَرِ الْخَلْقِ أَوْ نَفْعِهِمْ، فَاشْتَغَلَ بِاطْنُهُ بِتَحْصِيلِ أَغْرَاضِهِمْ
وَتَظَلَّمَ بِالْخَوْفِ مِنْهُمْ.

فهذه [هي]⁽⁵⁾ الْأَوْهَامُ الَّتِي تَدَاخَلَتْ قُلُوبَ أَهْلِ الْحِجَابِ، فَبَقُوا مِنْ وِرَاءِ
الْبَابِ. وَتَدَاخَلُ [الْأَوْهَامُ] هُوَ تَرَاكُمُهَا وَتَرَادُفُهَا عَلَى الْقَلْبِ حَتَّى انْحَصَرَتْ
فِكْرَتُهُ فِيهَا، وَتَقَيَّدَ قَلْبُهُ مَعَهَا. وَالْوُقُوفُ أَيْضاً مَعَ نُورِ الْعَقْلِ يُوْرِثُ السَّجْنَ،

(1) خ : الإيمَان.

(2) فِي خ : وَمَشَاهِدَةُ الْأَثَرِ.

(3) فِي ر : وَحِسِّهِ. وَ «خ» حَسَهُ.

(4) فِي خ : «مَعَهُ وَلَا» نَاقِصَةٌ.

(5) فِي «ر» وَ«ك» : «هِيَ» نَاقِصَةٌ.

وهو البقاء مع دائرة الأكوان، لأن غاية ما يدرك العقل : أن الصنعة تحتاج إلى صانع، ولا ينفذ نوره إلى ما وراء حس الكائنات بحيث يفضي إلى أسرار المعاني وشهود المكوّن، لأن ذلك من مدارك الروح والسرّ. فإذا صفت الروح وغلب عليها ذكر الله، فُتحت لها ميادين الغيوب وخرّجت فكرتها عن دائرة الأكوان إلى فضاء شهود المكوّن. وإلى ما ذكره الناظم، أشار في الحكم بقوله : «الكائن في الكون ولم يفتح له ميادين الغيوب، مسجون بمحيطاته، محصور في هيكل ذاته»⁽¹⁾. وهذا الأمر لا يفهمه إلا أهل الأذواق وإلا فحسبك الإيمان بالله والتصديق بوجوه عند أربابه وذلك ولاية. وقد تحجب القلوب بالأنوار، كما تحجب بالأغيار. وإلى ذلك أشار الناظم⁽²⁾ بقوله :

وَهِمْتُ بِالْأَنْوَارِ فَهَمُّنَا أَصُولَهَا وَمَتَّبَعَهَا مِنْ أَيْنَ كَانَ فَمَا هِمُّنَا
وَقَدْ تَحَجَّبَ الْأَنْوَارُ لِلْعَبْدِ مِثْلَ مَا تَقَيَّدَ مِنْ إِظْلَامِ نَفْسٍ حَوَتْ ضِغْنًا

يقول رضي الله عنه : وَهَمْتُ أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمُحْجُوبُ عَنْ اللَّهِ، أَي تَهْتِ وَتَلَفْتِ عَنِ السَّيْرِ إِلَى حَضْرَةِ الْحَقِّ وَشُهُودِهِ بِأَنْوَارٍ قَدْ فَهَمْنَا نَحْنُ أَصُولَهَا، وَمِنْ أَيْنَ تَفَرَّعَتْ وَمَتَّبَعَهَا وَمِنْ أَيْنَ نَبَعَتْ وَظَهَرَتْ [وَمِنْ أَيْنَ] كَانَتْ. «فَمَا هِمُّنَا»، أَي فَمَا تَهْنَأُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ بِالْوُقُوفِ مَعَهَا وَالرُّكُونِ إِلَيْهَا. وَذَلِكَ كَأَنْوَارٍ حَلَاوَةِ الطَّاعَاتِ وَلَذَّةِ الْمُنَاجَاةِ، وَظُهُورِ الْكَرَامَاتِ وَالتَّنَزُّهِ فِي الْمَقَامَاتِ وَهَذَا شَأْنُ الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ وَالصَّالِحِينَ. مِنْ وَقُوفِهِمْ مَعَ مَا ذَكَرَ، وَاعْتِمَادِهِمْ عَلَيْهِ، وَرُؤْيَاهُمْ ذَلِكَ⁽³⁾ غَايَةَ الْوُصُولِ وَهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ حِجَابًا عَنْ اللَّهِ تَعَالَى. وَلَا يَخْرِجُهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا صُحْبَةُ شَيْخٍ كَامِلٍ مَعَ انْقِيَادِهِ لَهُ شَامِلٍ. وَكِتْحَاقِ الْمَسَائِلِ وَتَحْرِيرِ النَّوَازِلِ، وَالتَّفَقُّنِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ. وَهَذِهِ أَيْضًا حِجْبٌ كَبِيرٌ وَعِلَلٌ خَطِيرَةٌ لِأَنَّ أَصْحَابَهَا يَرُونَ أَنَّهُمْ حَازُوا قَصَبَ السَّبْقِ بِذَلِكَ فِي الْكِمَالَاتِ وَهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْفَحُولِ مِنَ الرِّجَالِ فِي بَدَايَةِ الْبَدَايَاتِ، وَلَا يَخْرِجُهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا حِطُّ رُؤُوسِهِمْ لِلْعَارِفِينَ مَشَايِخِ التَّرْبِيَةِ. وَكِتْحَاقِ

(1) أنظر شرح الحكم ج 2، ص 191.

(2) في خ : «الناظم» ناقصة.

(3) في : خ : فقد وقفوا معها واعتمدوا عليها ورأوا...

الأدلة العقلية والنقلية في معرفة الحقّ من طريق الاستدلال، وهو من أعظم الحجب وأفضلها⁽¹⁾ لعلماء الكلام⁽²⁾ وقسّ على هذا سائر العلوم والأحوال والواردات. فَمَنْ وقف مع شيءٍ من هذه الأنوار وَلَمْ تنفُذ بصيرته إلى شهود ذات الحقّ سبحانه، فهو محجوب عن رؤية النور الأصلي يقول رضي الله عنه : فنحن قد فهمنا هذه الأنوار، وَعَلِمْنَا أصلها ومنبعها فَرَحَلْنَا عَنْهَا وما هِمْنَا بالوقوف مَعَهَا وتهنأ، بل تجاوزناها وعبرناها.

(1) في خ : الحجاب.

(2) نقد المتكلمين والعقل الكلامي والمنهج الكلامي في البحث عن الحقيقة ومعرفتها عن طريق الاستدلال، كان من أهم المهام الفكرية لدى المتصوفة خاصة المتأخرين منهم بالغرب الإسلامي، رغم أن منهم من جعل من الكلام مدخلاً للتصوف. وذلك لاعتداد المتكلمين، وخاصة منهم المعتزلة، بالعقل وإعطائه الأولوية والأسبقية في فهم العقيدة وشرحها، أسبقية على النص الديني، وأولويته على الوجدان الباطني والكشف الرباني. ومن أهم من انتقد الاستدلال الكلامي في المعرفة الإلهية نجد :

– ابن عربي الحاملي : (560هـ – 632م) الذي يرى أن علم الكلام جدلي نتائجه ضنية في مقابل علم الأذواق الذي يتصف باليقين، وكلما كان الناس بعيدين عن هذا العلم ومجاذلاته كلما كانت لطيفتهم قابلة لتلقي التجلي الإلهي وفي هذا يقول : «ثم نرجع إلى السبب الذي لأجله منعنا المتأهب لتجلي الحق إلى قلبه من النظر في صحة العقائد من جهة علم الكلام... فالعامة بحمد الله سليمة عقائدهم... ما لم يطالعوا شيئاً من علم الكلام... [أما] أهل النظر والتأويل... فإما مصيب أو مخطئ بالنظر إلى ما يناقض الظاهر ما جاء به الشرع». الفتوحات ج 1 ص 34.

– ابن سبعين الغافقي : (614هـ – 668م) الذي وجه انتقادات ذريعة للمذهب الكلامي خاصة منه الأشعري. والذي جعله يحمل على الأشاعرة كما يرى هو : ادعائهم أنهم هم الحماة الحقيقيون للشرعية الشارحون لها والمدافعون عنها، بينما الشرعية في نظره واضحة راسخة في المعمور : «إن الحق أظهر وأجل وأقهر وأعلى وشاهد لنفسه ومنصور على خصمه ومعظم بذاته». (كتاب بُدُّ العارف : ص 111).

ومن ثمة فهو يحكم على منهج المتكلمين (الأشاعرة) بأنه : «غير صحيح وعلى غير الوجه الصناعي» (بُدُّ العارف، ص 99).

وبأن : «علم الأشعرية فاسد الأصل قبيح الفرع لا نتيجة له من حيث هو علم» (بُدُّ العارف، ص 101).

– أبو الحسن الششتري (610هـ – 668م) : الذي يوجه انتقادات شديدة لمفكري الإسلام من فلاسفة ومتكلمين وفقهاء الذين اعتمدوا العقل بالأساس من أجل معرفة الحقيقة المطلقة، لأن علمهم القائم على العقل حجاب لهم لأن الله وراء تلك العلوم. لأن معرفة الحق ليست من اختصاص العقل لأن الحق مطلق والعقل محدود : «يعجز العقل في تركيبه ويقف في تحليله» (الششتري، المقاليد الوجودية).

وفي بعض الإشارات عن الله عز وجل : «عَبْدِي لَا تَرَكَنَّ إِلَى شَيْءٍ دُونَنا، فَإِنَّكَ إِنْ رَكَنتَ إِلَى الْعِلْمِ جَهَلْنَاكَ فِيهِ، وَإِنْ رَكَنتَ إِلَى عَمَلٍ رَدَدْنَاهُ عَلَيْكَ، وَإِنْ رَكَنتَ إِلَى حَالٍ وَقَفْنَاكَ مَعَهُ، وَإِنْ رَكَنتَ إِلَى مَعْرِفَةٍ نَكَّرْنَاها عَلَيْكَ فَأَيُّ حِيلَةٍ لَكَ ؟ فكن لنا عَبْدًا حَتَّى نَكُونَ لَكَ رَبًّا»⁽¹⁾ أو كما قال تعالى .

وقال في الْحِكْمِ : «لَا تَطْلُبْ بَقَاءَ الْوَارِدَاتِ بَعْدَ أَنْ بَسَطْتَ أَنْوَارَهَا، وَأَوْدَعْتَ أَسْرَارَهَا، فَلَكَ فِي اللَّهِ غِنًى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ يُغْنِيكَ عَنْهُ شَيْءٌ»⁽²⁾.

ومن هذا المعنى أيضا. قَوْلُ الشَّيْخِ مَوْلَانَا⁽³⁾ «عبد السلام بن مشيش» رضي الله عنه في شأن مقام الرضى والتسليم لتلميذه «أبي الحسن» : «أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله عز وجل»⁽⁴⁾. وحاصل هذا كله : من لَمْ يَتَّصِلْ بشيخ التربية ويعطيه الانقياد من نفسه الانقياد الكلي لا يطمع في الرّحيل عن هذه الأمور أبداً، ولو عمل ما عمل.

وقوله : «وَقَدْ تُحْجَبُ الْأَنْوَارُ» الخ، هو تقرير لما قَبْلَهُ. والمراد بالأَنْوَارِ ما تَقَدَّمَ مِنْ حَلَاوَةِ الطَّاعَاتِ وَتَحْقِيقِ الْمَقَامَاتِ، وَتَتَابِعِ الْأَحْوَالِ وَالسَّكْرَاتِ، وَفَيْضِ الْعُلُومِ الرَّسْمِيَّاتِ وَاللَّدُنِّيَّاتِ. إذكل هذه الأنوار تحجب العبد إذا استحلها وَوَقَفَ مَعَهَا، وَتُسَمَّى أَنْوَارَ التَّوَجُّهِ.

قال في الْحِكْمِ : «اهْتَدَى الرَّاحِلُونَ إِلَيْهِ بِأَنْوَارِ التَّوَجُّهِ، وَالْوَاصلُونَ لَهُمْ أَنْوَارُ الْمُؤَاجَهَةِ، فَالْأَوَّلُونَ لِلْأَنْوَارِ وَهُوَ لَاءُ الْأَنْوَارِ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لِلَّهِ لَا لِشَيْءٍ دُونَهُ»⁽⁵⁾ : ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾⁽⁶⁾.

(1) والنص كما ورد في تفسير ابن عجيبة يخالف بعضه النص الذي بين أيدينا. أنظر التفسير الكبير لابن عجيبة في قوله تعالى : الآية 97 من سورة طه.

(2) أنظر شرح الحكم ج 2 ص 101.

(3) في ر : «مولانا» ناقصة.

(4) في «خ» و«ر» : عز وجل ناقصة.

(5) أنظر شرح الحكم ج 1 ص 30. وفي الحكم : التوجه.

(6) الأنعام : 91.

وأنوار المواجهة هي أنوار الشهود، لأنها تواجه العبد فيغرق فيها وتستولي عليه فيغيب عن رؤية الأغيار، التي هي كل ما سوى الله.

وقوله : «مثل ما تقيّد من إظلام نفس حوت ضيغنا». أي قد تحجب الأنوار العبد وتقيده عن النهوض إلى الله تعالى⁽¹⁾، مثل ما تحجبه وتقيده⁽²⁾ من أجل ظلام⁽³⁾، نفس، غشي القلب بظلمة الهوى والحظوظ حين حوت ضيغنا، أي خبثاً في الباطن، وهي سائر الأدواء والأمراض : من الحسد والكبر والحقد وغيرها مما هو مقرر في محلّه. وحوى الشيء : ضمّه وصار في حوزة. ثم نهى عن دغوى الاتصال والوصال والأمن من السلب والانفصال فقال :

وَأَيُّ وَصَالٍ فِي الْقَضِيَةِ⁽⁴⁾ يُدْعَى وَأَكْمَلُ مَنْ فِي النَّاسِ لَمْ يَدْعِ الْأَمْنُ

يقول رضي الله عنه : قَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي قَضِيَةِ الْوَصَالِ وَالْإِتِّصَالِ، فَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ بَلَغَ مِنْ ذَلِكَ النِّهَايَةَ فَهُوَ فِي ذَلِكَ تَائِهٌ⁽⁵⁾ وَمُخْطِئٌ غَايَةً. كَيْفَ يَدْعَى عَبْدُ الْوَصُولِ فِي الْوَلَايَةِ وَالنِّهَايَةِ [فِي الْعِلْمِ] وَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِسَيِّدِ الْعَارِفِينَ : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁽⁶⁾. فَلَوْ عَاشَ الْعَبْدُ الْمُجْتَبَى عُمَرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ يَتَرَقَّى فِي الْعِلْمِ وَالْمَعَارِفِ مَا بَلَغَ مَعِشَارَ عُمْرِهَا. إِذْ لَيْسَتْ هُنَاكَ غَايَةٌ يَنْتَهِي إِلَيْهَا : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذْتُ...﴾⁽⁷⁾. الْآيَةُ⁽⁸⁾. وَكَذَا مَنْ ادَّعَى التَّمَكُّنَ فِي الْوَصُولِ إِلَى الْحَقِّ وَالْأَمْنِ مِنَ الرَّجُوعِ⁽⁸⁾ إِلَى الْخَلْقِ، فَهُوَ فِي مَهَامِهِ نَفْسُهُ وَتِيهِ جَهْلُهُ مُسْتَهْلِكٌ وَمُسْتَفْرَقٌ. كَيْفَ يَدْعَى فِي الْمَسْأَلَةِ الْإِتِّصَالِ وَالْوَصُولِ وَالْأَمْنِ مِنَ السَّلْبِ وَالْحَصُولِ. وَالْحَالُ أَنَّ أَكْمَلَ مَنْ فِي النَّاسِ وَهُوَ سَيِّدُ الْوُجُودِ لَمْ

(1) في خ : «تعالى» ناقصة.

(2) في خ : تقيده.

(3) في خ : ظلم.

(4) في الديوان : في القضية. أنظر البيت (11). أما في «خ» و«ر» : الحقيقة.

(5) في «ر» و«خ» : وادعى كل واحد أنه بلغ في ذلك الغاية النهاية وهو في ذلك تألف مخطئ.

(6) طه : 114.

(7) الكهف : 109.

(8) في «خ» و«ر» : من الرجوع إلى ومستغرق، ناقصة.

يَدْعُ الْأَمْنَ؟! حَتَّى قَالَ : ﴿وَمَا أَذِرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بَكُمْ﴾⁽¹⁾. وهذا منه ﷺ مَعَ اتِّسَاعٍ فِي الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، لِأَنَّ صَاحِبَ الْإِتِّسَاعِ لَا يَقِفُ مَعَ وَعْدٍ وَلَا وَعِيدٍ. إِنَّمَا يَنْظُرُ مَا سَيَبْرُزُ⁽²⁾ مِنْ عُنْصُرِ الْقُدْرَةِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ [لِغَيْبِ الْمَشِيئَةِ]⁽³⁾.

ولذلك كان كل عارف لا يزول اضطرابه، ولا يكون مَعَ غَيْرِ اللَّهِ قَرَارُهُ، وَاعْتَبَرِ ذَلِكَ فِي الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. كَقَوْلِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾⁽⁴⁾. فَاسْتَنْتَى مَعَ جَزْمِهِ بِعَدَمِ خَوْفِهِ مِنْ أَصْنَامِهِمْ، ثُمَّ بَيَّنَّ وَجْهَ الْإِسْتِثْنَاءِ فَقَالَ : ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾⁽⁵⁾. وَكَذَلِكَ سَيَدُنَا «شُعَيْبٌ» عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَيْثُ قَالَ : ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾⁽⁶⁾. وَكَذَلِكَ اعْتَبَرِ بِقَضِيَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ مَعَ «الْصَدِيقِ» يَوْمَ بَدْرٍ، حَيْثُ بَاتَ ﷺ يَتَضَرَّعُ وَيَدْعُو مَعَ وَعْدِ اللَّهِ لَهُ بِالنَّصْرِ حَتَّى قَالَ لَهُ «الْصَدِيقُ»⁽⁷⁾ : «أَمْسِكْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ

(1) الأحقاف : 9.

(2) فِي ك : جَاءَتْ الْجُمْلَةُ كَمَا يَلِي «لَأَنَّ الْأَمْرَ فِي نَفْسِهِ وَحَقِيقَتُهُ اقْتَضَى ذَلِكَ الْإِتِّسَاعَ وَعَدَمَ الْوُقُوفِ مَعَ وَعْدٍ وَوَعِيدٍ، فَهُوَ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى مَا يَبْرُزُ..

(3) الْمَشِيئَةُ : فِي اللَّفْظَةِ الْإِرَادَةِ، وَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ (39 : 4).

وَقَدْ تَنَادَخَلَ «الْمَشِيئَةُ» مَعَ غَيْرِهَا مِنَ الْمَفَاهِيمِ مِمَّا يَجْعَلُ قَابِلِيَّةً تَمَيِّزُهَا عَنْ غَيْرِهَا صَعْبًا، فَهِيَ تَنَادَخَلَ مَعَ «الْإِرَادَةِ» وَ«الْأَمْرِ» وَ«الْعِلْمِ» وَغَيْرِهَا.

- ارْتِبَاطُ الْمَشِيئَةِ مَعَ الْإِرَادَةِ يَكُونُ خَاصَّةً فِي التَّكْوِينِ، وَمَا الْوُجُودَ بِأَمْرِهِ إِلَّا مَظْهَرُ لِهَمَا وَجَمْلَى.

- ارْتِبَاطُ الْمَشِيئَةِ بِالْأَمْرِ : يَكُونُ فِيهِ أَمْرُ الْمَشِيئَةِ إِنَّمَا يَتَوَجَّهُ عَلَى إِيجَادِ عَيْنِ الْفِعْلِ، لَا عَلَى مَنْ ظَهَرَ عَلَى يَدَيْهِ فَيَسْتَحِيلُ أَلَّا يَكُونَ.

- ارْتِبَاطُ الْمَشِيئَةِ وَالْعِلْمِ : إِنَّ الْمَشِيئَةَ فِي شُمُولِهَا لِلْوُجُودِ تَغَايِرُ الْإِرَادَةَ وَتَلَامَسُ بِذَلِكَ الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ، لِأَنَّ الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ يَشْمَلُ كُلَّ الْمَوْجُودَاتِ، وَيَسِطُ سُلْطَتُهُ عَلَى كُلِّ الْمُمَكِّنَاتِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا لَمْ يَظْهَرِ شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ الْمَشِيئَةِ. (حَوْلَ الْمَشِيئَةِ وَتَنَادَخَلَاتِهَا أَنْظَرِ :

الْفَتْوَحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، ج 3، ص 397، وَص 356، وَالْفُصُوصُ ج 1 ص 165، ص 82 - 83.

(4)، (5) الْأَنْعَامُ : 80.

(6) الْأَعْرَافُ : 80.

(7) فِي ر : نَقَصَ مِنْ : «يَوْمَ بَدْرٍ...» إِلَى : «حَتَّى قَالَ الصَّدِيقُ».

اللَّهُ مُنْجِزٌ لِّكَ مَا وَعَدَكَ بِهِ»⁽¹⁾. فَوَقَفَ الصَّدِيقُ يَوْمَ ظَاهِرِ الْوَعْدِ وَنَفَذَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ إِلَى بَاطِنِ الْعِلْمِ وَغَيْبِ الْمَشِيئَةِ لِاتِّسَاعِ عِلْمِهِ بِاللَّهِ، فَلَمْ يَزَلْ اضْطِرَارُهُ لَشَهْوِهِ - الْقَبْضَتَيْنِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَ غَيْرِ اللَّهِ قَرَارُهُ لِرَجْوَعِهِ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُ فِي الْحَالَتَيْنِ، أَغْنَى الْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ، لِأَنَّهُ غَرِقَ فِي بَحَارِ التَّجْرِيدِ وَالتَّفْرِيدِ، لَيْسَ لَهُ عَنِ نَفْسِهِ اخْبَارٌ وَلَا لَهُ مَعَ غَيْرِ اللَّهِ قَرَارٌ⁽²⁾.

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَأْمُونٌ⁽³⁾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بِوَعْدِ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ حَيْثُ قَالَ لَهُ : ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾. هَذَا بِاِغْتِيَارِ الدُّنْيَا وَقَدْ بُلِغَهُ. وَقَالَ [تَعَالَى] : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾⁽⁵⁾. وَهَذَا بِاِغْتِيَارِ الْآخِرَةِ وَسَيَبْلُغُهُ إِيَّاهُ، فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مَخْلَفٌ وَعَدَهُ رَسَلُهُ، فَلِهَذَا السِّرِّ الْعَظِيمِ وَالْخَطَرِ الْجَسِيمِ أَظْهَرَ الْعُبُودِيَّةَ وَلَمْ يَقِفْ مَعَ شَيْءٍ عِندَ اللَّهِ. وَكَذَلِكَ خُلَفَاؤُهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ لَا يَقِفُونَ مَعَ وَعْدٍ وَلَا وَعِيدٍ. وَلِنَفُوذِ بَصِيرَتِهِمْ إِلَى بَاطِنِ الْعِلْمِ وَغَيْبَةِ الْمَشِيئَةِ، وَشَرَفِ وَعَظَمِ، لِفَنَائِهِمْ عَنْ وَجُودِهِ وَانْطَوَائِهِمْ فِي شَهْوِهِ جَلَّ شَأْنُهُ.

وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

«عَبْدِي لَا تَأْمَنْ مَكْرِي وَإِنْ أَمْنُتْكَ فَإِنَّ عِلْمِي لَا يَحِيطُ بِهِ مُحِيطٌ»⁽⁶⁾. هَذَا وَقَدْ يَبْلُغُونَ مِنَ التَّمَكِينِ مَعَ الْحَقِّ تَعَالَى مَقَامًا يَتَرَجَّحُ مَعَهُ الْأَمْنُ، لِقَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ

(1) كِتَابُ النِّهَايَةِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِابْنِ الْأَثِيرِ، بَابُ ك، د.

(2) فِي «خ» وَ«ر» : الْفَقْرَةُ مِنْ : «لَا لَشَهْوِهِ... إِلَى قَرَارٍ» نَاقِصَةٌ.

(3) فِي ر : مَأْمُونٌ وَفِي خ : مَوْمُونٌ : هُوَ تَحْرِيفٌ مِنْ طَرَفِ النَّاسِخِ.

(4) الْفَتْحُ : 3.

(5) الضَّحَى : 5.

(6) وَذَلِكَ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾. (الْأَعْرَافُ : 99). وَالْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ مَوْجُودٌ فِي تَقْسِيرِ الْبَحْرِ الْمَدِيدِ لِابْنِ عَجِيَّةِ الْحَسَنِيِّ. وَنَصَّهُ : «فَلَا تَأْمَنْ مَكْرِي وَإِنْ أَمْنُتْكَ، وَلَا تَيَاسَ مِنْ حَلْمِي وَإِنْ أَبْعَدْتَكَ، فَعِلْمِي لَا يَحِيطُ بِهِ مُحِيطٌ إِلَّا مَنْ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ».

مُهْتَدُونَ»⁽¹⁾. فَمَنْ تَحَقَّقَ بِغَايَةِ الْإِيْمَانِ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ مَقَامَ الْعِيَانِ، وَانْتَقَى عَنْهُ الشُّرَكَ الْجَلِيَّ وَالْخَفِيَّ، فَقَدْ حَصَلَ لَهُ الْأَمْنُ وَالْأَمَانُ وَقَفَدَ الْأَعْيَانُ لَا تَنْتَهَاكُ الْوَهْمَ.

قال الشيخ «أبو الحسن» رضي الله عنه : «يَبْلُغُ الْوَلِيُّ مَقَاماً يُقَالُ لَهُ : أَفْعَلٌ مَا شِئْتَ فَقَدْ أَصْحَبْنَاكَ السَّلَامَةَ وَأَسْقَطْنَا عَنْكَ الْمَلَامَةَ»⁽²⁾. وقال في شَأْنِ تَلْمِيْذِهِ «الْمُرْسِي» : «قَدْ تَمَكَّنَ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ مَعَ اللَّهِ تَمَكُّناً لَوْ طَلَبَ الْحِجَابَ لَمْ يُحْجَبِ»⁽³⁾⁽⁴⁾. وَيُسَمَّى هَذَا الْمَقَامَ مَقَامَ الْمَحْبُوبِيَّةِ. وَيُعْضَدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي حَقِّ «سُلَيْمَانَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽⁵⁾.

هَذَا وَإِنْ كَانَ فِي مَقَامِ النُّبُوَّةِ، فَلَأَهْلُ الْوِلَايَةِ قِسْطٌ مِنْهُ بِحَسَبِ الْوِرَاثَةِ. وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَالْأَصْلُ مَا أَصْلَنَاهُ مِنْ أَنْهُمْ لَا يَزَالُهُمْ خَوْفُهُمْ، فَلَا يَزُولُ اضْطِرَارُهُمْ، وَلَا يَكُونُ مَعَ غَيْرِ اللَّهِ فِرَارُهُمْ لِاتِّسَاعِ دَائِرَةِ عِلْمِهِمْ كَمَا قَدَمْنَاهُ⁽⁶⁾. وَقَدْ حَقَّقْنَا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فِي التَّفْسِيرِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَالْأَحْقَافِ فَانْظُرْهُ إِنْ شِئْتَ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

وقد تكلَّم النَّاسُ فِي حَقِيقَةِ الْوُصُولِ، قَالَ [ابن عطاء] فِي الْحِكْمِ : «وُصُولُكَ إِلَى اللَّهِ وَوُصُولُكَ إِلَى الْعِلْمِ بِهِ، وَإِلَّا فَجَلَّ رَبُّنَا أَنْ يَتَّصَلَ بِهِ شَيْءٌ، أَوْ يَتَّصَلَ بِهِ شَيْءٌ. وَأَحْسَنُ مَا يُقَالُ فِي حَقِيقَةِ الْوُصُولِ : أَنَّهُ فَنَاءُ الرُّسُومِ وَالْأَشْكَالِ، بظُهُورِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، فَيَفْنَى مَا لَمْ يَكُنْ وَهُوَ الْوَهْمُ وَالْجَهْلُ،

(1) الأنعام : 82.

(2) وقال ابن عطاء الله السكندري : «وسمعتُ الشَّيْخَ أَبَا الْعَبَّاسِ (رض) يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ : وَاللَّهِ مَا سَارَ الْأَوْلِيَاءُ مِنْ (ق) إِلَى (ق) حَتَّى يَلْقَوْا وَاحِداً مِثْلَنَا...» لَطَائِفُ الْمَنْزَنِ ص 66.

(3) في خ : لم يجده.

(4) وقد قال الشَّيْخُ الشَّاذِلِيُّ فِي حَقِّ تَلْمِيْذِهِ أَبِي الْعَبَّاسِ كَذَلِكَ : «... لَنْ تَهْلِكَ أُمَّةٌ فِيهَا أَرْبَعَةٌ : إِمَامٌ، وَوَلِيٌّ، وَصَدِيقٌ، وَسَخِيٌّ... الإِمَامُ هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ» لَطَائِفُ الْمَنْزَنِ ص 66.

(5) ص : 39.

(6) في «خ» و«ر» : «كما قدمناه» ناقصة. وفي الأصل «وقد بقي» بدل «ولا زال».

وَيَبْقَى مَا لَمْ يَزُلْ وَهُوَ الْحَقُّ وَخَذَهُ، فَقَدْ كَانَ وَخَذَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ وَلَا زَالَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ⁽¹⁾. فالوصول إلى الله عبارة عن تحقق العلم بوجوده، وَغَيْبَةُ الْعَبْدِ عَنْ وجوده في وجودٍ مَعْبُودِهِ حَتَّى لَا يُشَاهِدَ إِلَّا عَظَمَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، مرتدية⁽²⁾ بَرْدَاءِ الْكِبْرِيَاءِ لِيَبْقَى السِّرُّ مَصُونًا وَالْكَتْمُ مَذْفُونًا. ثُمَّ بَرَهَنَ عَنْ كَوْنِ الوصول لا يكون بِمُجَرَّدِ الدَّعْوَى فَقَالَ :

وَلَوْ كَانَ سِرُّ اللَّهِ يُدْرِكُ هَكَذَا لَقَالَ لَنَا الْجُمْهُورُ هَا نَحْنُ مَا خَبَيْنَا

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَوْ كَانَ سِرُّ اللَّهِ وَهُوَ الْوَلَايَةُ⁽³⁾ وَالْمَعْرِفَةُ عَلَى سَبِيلِ الْإِيمَانِ، وَهُوَ مَعْنَى الوصول إلى اللَّهِ يُدْرِكُ هَكَذَا. أَيْ بِمُجَرَّدِ الدَّعْوَى، وَمَعَ وجود النَّفْسِ وَرَاحَةِ الْجِسْمِ وَرُقُودِ الْقَلْبِ⁽⁴⁾ تَحْتَ ظِلِّ الْجَاهِ⁽⁵⁾. لَقَالَ جَمْهُورُ النَّاسِ أَيْ عَامَّتُهُمْ : هَا نَحْنُ مَا خَبَيْنَا فِي الْمَعْرِفَةِ، بَلْ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا سَوَاءٌ. أَيْ لَوْ كَانَتْ تُنَالُ بِلَا مُجَاهَدَةٍ وَلَا تَرْبِيَةٍ لَادَّعَاها كُلُّ النَّاسِ، لَكِنِّهَا لَا تُنَالُ إِلَّا بِذَبْحِ النَّفْسِ⁽⁶⁾ وَحَطِّ الرَّؤْسِ لِأَرْبَابِهَا. وَيَذُلُّ الْفُلُوسُ زُهْدًا فِيهَا، وَارْتِكَابِ الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ، وَتَتَابَعِ الْوَارِدَاتِ وَالْأَحْوَالِ، وَمُفَارَقَةِ الْأَوْطَانِ وَالْأَحْبَابِ، وَالْغَيْبَةِ عَنِ الْعَشَائِرِ وَالْأَصْحَابِ.

(1) أنظر شرح الحكم ج 2 ص 129.

(2) في خ : مرتديا.

(3) الولاية : هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وقيل تولي الحق سبحانه عبده بظهور أسمائه وصفاته علما وعينا وحالا وأثر لذة وتصرفا. (الكاشاني، ص 79).

(4) في خ : «القلب» ناقصة.

(5) في خ : الجمود.

(6) ذبح النفس : هو رمز وتلويح إستفاه من سورة البقرة التي قال فيها رب العزة : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ (البقرة : 67). وبقرة كل إنسان هي نفسه، والله أمر بذبحها وقتل شهواتها فيها أو كما قال الأنصاري : «ذبح النفس بسيوف المخالفة، وهو أول الطريق...» (الرسالة القشيرية، هامش ص 71 شرح زكريا الأنصاري أو كما أنشد الششتري :

وعند ذبح نفسي انقشع لي عمائي

قال في الحكم : «لَوْلَا مَيَادِنُ النَّفُوسِ مَا تَحَقَّقَ سَيْرُ السَّائِرِينَ»⁽¹⁾. وقال أيضا : «كَيْفَ تُخْرَقُ لَكَ الْعَوَائِدُ وَأَنْتَ لَمْ تَخْرُقْ مِنْ نَفْسِكَ الْعَوَائِدُ»⁽²⁾. وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ :

فَكَمْ دُونَهُ مِنْ فِتْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ وَكَمْ مَهْمَةٍ⁽³⁾ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ قَدْ جُنُبْنَا يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَكَمْ دُونَ الْوُصُولِ مِنْ فِتْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ، أَيِ كَمْ مِنْ امْتِحَانٍ وَابْتِحَارٍ لِلْمُرِيدِ⁽⁴⁾ ؟ هَلْ هُوَ صَادِقٌ فِي الطَّلَبِ أَوْ هُوَ كَاذِبٌ فِيهِ ؟ فَإِنْ ثَبَتَ وَصَبَرَ وَصَلَّ وَإِلَّا رَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ. فَأَوَّلُ ذَلِكَ تَسْلِيْطُ النَّاسِ عَلَيْهِ بِالْإِذَايَةِ الْإِهَانَةِ وَالتَّصْغِيرِ وَالْهَجْرَانِ، وَرُبَّمَا أَدَاهُمْ ذَلِكَ ضَرْبُهُ وَسِجْنُهُ⁽⁵⁾ وَتَطْوِيفُهُ وَقَتْلُهُ، فَإِنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ تَعَرَّضَ لَهُ إِبْلِيسُ بِالتَّخْوِيفِ وَالتَّسْوِيفِ وَتَبْعِيدِ الْفَتْحِ وَتَبْطِئِ السَّيْرِ. فَإِنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ تَعَرَّضَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِتَرْزِيْنِ زَخَارِفِهَا وَحُظُوظِهَا وَزَهْرَتِهَا، فَإِنْ أَعْرَضَ عَنْهَا تَعَرَّضَتْ لَهُ الْآخِرَةُ بِحُورِهَا وَقُصُورِهَا وَسَائِرِ نَعِيمِهَا، فَإِنْ أَعْرَضَ عَنْهَا، تَعَرَّضَتْ⁽⁶⁾ لَهُ الْكَرَامَاتُ وَصَوْلَةُ الْأُخْوَالِ⁽⁷⁾ وَحَلَاوَةُ الْمَقَامَاتِ⁽⁸⁾. فَإِنْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا كُلِّهِ قَالَ لَهُ الْحَقُّ جَلًّا

(1) الحكم : ولهذا قال كذلك في النفس : «حظ النفس في المعصية ظاهر جلي، وحظها في الطاعات باطن خفي، ومداداة ما خفي صعب علاجه» شرح الحكم ج 2 ص 123.

(2) الحكم : ويقول كذلك : «متى وردت الواردات الإلهية عليك هدمت العوائد عليك، إن الملوك إذا دخوا قرية أفسدوها». شرح الحكم، ج 2 ص 160.

(3) مهمته : المفازة البعيدة، البلد المقفر. القفاز.

(4) المرید : هو من انقطع إلى الله عن نظر واستبصار وتجرد عن إرادته، أو هو سالك الطريق بالمجاهدة الشاقة والمكابدة والصبر على البلاء رجاء الحصول على النعماء، إذ علم أنه ما يقع في الوجود إلا ما يريد الله تعالى، لا ما يريد غيره، فيمحو إرادته فلا يريد إلا ما يريد الله الحق. (حفني، ص 242).

(5) في ر : ومنحة.

(6) في ر : تعرض.

(7) الأحوال : الغيبة والحضور، والصحو والسكر، والوجد والهجوم، والفناء والبقاء، كلها من أحوال القلوب المتحركة بالذكر والتعظيم لله. (السراج الطوسي، اللمع، تحقيق طه سرور، القاهرة 1960 ص 490).

(8) المقامات : صاحب كتاب قوت القلوب جعل المقامات تسعة وهي : التوبة، الصبر، الشكر، الرجاء، الخوف، الزهد، التوكل، الرضا، والمحبة. (أبو طالب المكي، ج 2 =

جَلَالُهُ : مَرَحَبًا وَأَهْلًا هَذِهِ حَضْرَةُ قُدْسِيَا تَنْعَمُ فِيهَا بِمَا شِئْتَ وَتَنْزَهُ [بِفِكْرِكَ] حَيْثُ شِئْتَ. [وَيُقَالُ لَهُ حَيْثُئِد] :

لَكَ الدَّهْرُ طَوَّعٌ وَالْأَنَامُ عَبِيدُ فَعِشْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكَ عَيْدُ

وإن وَقَفَ مَعَ شَيْءٍ مِنْ هَذَا رَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ، وَأَمَّا مَنْ وَصَلَ فَلَا رُجُوعَ لَهُ. [أَيُّ بَفَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ]. وَالْوَصُولُ عبارة عن تحقيق الفناء والتَّمَكُّنُ فِي الْبَقَاءِ. وَقَوْلُهُ : «وَكَمْ مَهْمَهُ الْخُ». وَهِيَ الْمَفَازَةُ الْبَعِيدَةُ. وَيُجْمَعُ عَلَى مَهَامِهِ. وَمَعْنَى «جُبْنَا» : قَطَعْنَا. وَالْجُوبُ : هُوَ الْقَطْعُ، أَيْ كَمْ مِنْ مَفَازَةٍ لِلنَّفْسِ قَدْ قَطَعْنَاهَا بِالْمُجَاهِدَةِ وَالْمُكَابِدَةِ وَالرِّيَاضَةِ ؛ كَمَشَاقِ الْأَسْفَارِ إِلَى زِيَارَةِ الْمَشَايخِ وَالْإِخْوَانِ وَكَقَطْعِ عَوَائِدِ النَّفْسِ وَمَا رَكَنْتُ إِلَيْهِ مِنَ الْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ وَإِقْبَالِ الْخَلْقِ وَتَحْمِلِ أَدَاهِمِ وَإِظْهَارِ الذِّلِّ لَدَيْهِمْ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ بِالْكَلِيَّةِ. وَهَذَا هُوَ خَرَقُ الْعَوَائِدِ الَّذِي هُوَ شَرْطٌ فِي عِمَارَةِ الْبَاطِنِ.

قَالَ بَعْضُهُمْ : لَا يَنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِنُضْجِ الْجُلُودِ وَصَلْقِ الْكِبُودِ. وَقَالَ الشَّيْخُ «زُرُوقُ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «إِنَّ الْمُرِيدَ لَا يَصِلُ لِعَيْنِ الْحَقِيقَةِ حَتَّى يَرَى مِنَ الْمِخْنِ وَالْفِتَنِ وَالْبَلَايَا مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ. وَيَجُوبُ مَعَ ذَلِكَ مَهَامُهُ تَحَارُّ فِيهَا الْقَطَأُ⁽¹⁾ وَتَقْصُرُ فِيهَا الْخُطَى. فَمَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ نَفَذَ، وَمَنْ أَهَانَهُ رَجَعَ فَتَقَابَلَهُ الدُّنْيَا وَالْخَلْقُ بِالْإِذْبَارِ، وَالنَّفْسُ بِالتَّعَصُّبِ، وَإِبْلِيسُ بِالتَّسْلَاطِ. فَإِنْ صَبَرَ وَجَاهَدَ وَجَدَ وَالتَّزَمَ، [فَازَ وَوَصَلَ]⁽²⁾. وَإِلَّا هَلَكَ فِي أَوْدِيَةِ الْهَوَى، ثُمَّ يُقَابَلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْإِقْبَالِ وَالتَّبَشِيرِ⁽³⁾، فَإِنْ جَدَّ نَجَى⁽⁴⁾ وَإِلَّا ذَهَبَ فِي الْإِغْتِرَارِ

= القاهرة 1321، ص 95). ورغم كثرة الاشتباه والتداخل بين الحال والمقام إلا أنه يمكن الوقوف علي الفرق بينهما، كما يرى السهرودي أبو النجيب : فالحال سمي حالا لتحوله والمقام مقاما لاستقراره، وقد يكون الشيء بعينه حالا ثم يصير مقاما. (عوارف المعارف الباب 60 ص 231 إلى 237).

(1) في خ : «تَحَارُّ فِيهَا الْقَطَأُ» ناقصة.

(2) في «ر» و«ك» : «فَازَ وَوَصَلَ» ناقصة.

(3) في «خ» : التَّخِيرُ. وفي «ر» : التَّسْخِيرُ

(4) في «خ» و«ر» : فَإِنْ سَكَرَ وَجَدَ رَبُّنَا.

والاسترسال ونحوهما. ثم يقابله الجميع بالحكمين، فإن حفظ ثبت وإلا
انقلب على وجهه في اتباع الهوى رداً وقولاً⁽¹⁾.

وقاتل الشيخ «عبد القادر» في عينيته في هذه المعنى⁽²⁾ :

وإياك فاضبر لا تمل فإنما بصبر الفتى جاءت إليه المطامع
وهون على النفس ارتكاباً لهولها فغير محب من ردته⁽³⁾ الفجائع

قلت : من اتصل بشيخ التربية سهل عليه ذلك كله إن التزم نفسه
الانقياد وتأدب، وإن لم يتصل بشيخ التربية، اتعب نفسه بلا طائل، كما
جرئنا ذلك وذقناه. وجرّب ففي التجريب علم الحقائق، وبالله التوفيق. وتمام
ذلك كله إدامة السير وعدم الالتفات إلى الغير كما أبان ذلك بقوله

فلا تلتفت في السير غيراً وكلّ ما سوى الله غير فاتخذ ذكره حصناً
وكلّ مقام لا تقم فيه إنّه حجاب فجذّ السير واستنجد العونا

يقول رضي الله عنه : فلا تلتفت في حال السير إلى غير، أي غير الله
تعالى أياً ما كان سواء⁽⁴⁾، كان علوماً أو أحوالاً، أو مقامات أو طاعات أو
كرامات، أو إقبال الخلق أو إديارهم أو ظهوراً أو عزاً أو غير ذلك. لأن كل
ما سوى الله غير، والغير حجاب عظيم لمن وقف معه. فالمقصود والمطلوب

(1) قول زروق : شرح النونية.

(2) الشيخ عبد القادر الجيلاني : وهو الإمام «محي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني، نسبه
يرتفع إلى الإمام علي كرم الله وجهه. مولده كان في جيلان سنة 470هـ، وفي بغداد تلقى
علومه ابتداء من سنة 478هـ، إذ درس فقه الحنابلة، ودرس علوم عصره وأتقنها على يد
شيوخ كبار مثل : «أبي الوفاء بن عقيل»، و«محمد بن الحسن الباقلاني»، و«أبي الخير حماد
بن مسلم الدباس»، والقاضي «أبي سعيد المخرمي». طريقته التي أطلق عليها «القادرية»
إستطاعت أن ترجع بالتصوف إلى ما كان عليه في العصر الأول، فكانت طريقته التوحيد
وصفاً وحكماً وحالاً، وتحقيقه الشرع ظاهراً وباطناً. فمذهبه وطريقته سنية معتدلة
تتلخص في قوله كما قال «الشعراني» : اتبعوا ولا تتبدعوا، وأطيعوا ولا تخالفوا.

أنظر فيما يخص هذه الشخصية الصوفية كتاب أبو الحسن الندوي : «رجال الفكر
والدعوة في الإسلام»، دار القلم، الكويت ط 4، 1394هـ/1974م من ص 253 إلى ص 260.

(3) في «ر» و«خ» : دهنه.

(4) في «ر» و«خ» : فلا تلتفت في حال السير إلى غير الله تعالى. أياً ما كان سواء.

هو الوصول إلى شهود [عظمة]⁽¹⁾ ذات الحق عياناً، ومعرفة دواماً واتصلاً. فاتخذ ذكره بقلبك حصناً من تلك القواطع، و﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾⁽²⁾. ولا شك أن ذكر⁽³⁾ الله حصن منيع من الشيطان وسائر القواطع. يكون أولاً باللسان، ثم بالقلب، ثم بالروح، ثم بالسِّر. وهو مقام التمكين من المعرفة، فحينئذ يحصل الأمن من الشيطان ومن سائر القواطع في القلب.

ومن جملة القواطع الوقوف مع المقامات، فلذلك قال: «وكل مقام لا تقم فيه أنه حجاب». ولا مفهوم للمقامات وكذلك الأحوال والواردات فلا ينبغي للمريد استجلاؤها ولا التطلع إليها.

قال [ابن عطاء الله] في الحكم: «لا تطلب بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها، وأودعت أسرارها، فلك في الله غنى عن كل شيء، وليس يغنيك عنه شيء. تطلّعك إلى بقاء غيره⁽⁴⁾. دليل على عدم وجدانك له. واستيحاشك لفقدان ما سواه، دليل على عدم وصلتك به»⁽⁵⁾.

وقال الشيخ «أبو هادي» في صباح يوم لأصحابه: بِمَ يَرْتَفِعُ الْعَبْدُ مِنْ حَالَةٍ لِمَا هُوَ أَزْفَعُ مِنْهَا؟ قالوا: بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، قال: إِنَّمَا سَأَلْتُكُمْ عَنِ السَّبَبِ الْخَاصِّ بِهَذَا الْأَمْرِ. قالوا: من عند الشيخ. قال: يخلق الله له همة⁽⁶⁾

(1) في «ر» و«ك»: ناقصة.

(2) الأنعام: 91.

(3) في ر: «ذكر» ناقصة.

(4) في «خ» و«ر» غيرك.

(5) شرح الحكم نفس المصدر السابق ص 161-162.

(6) الهمة: هو ما يطلق بإزاء تجريد القلب بالمتن، ويطلق بإزاء أول صدق المريد، ويطلق بإزاء جمع الهم لصفاء الإلهام (ابن عربي، المصطلحات).

والهمة كما ذهب إلى ذلك ابن عربي: «... على نوعين، ولها مرتبتان: همة تكون في أصل خلقه العبد وجبلته. وهمة تحصل له بعد أن لم تكن... فإذا علمها [الإنسان] من نفسه، صرفها فيما أراد من الموجودات، كنطق عيسى عليه السلام في المهد بأمر الله، وهمة مريم... إنها [أي الهمة]... كلها أسباب يفعل القى سبحانه وتعالى الأشياء عندها لا بها...» (مواق النجوم ص 84). يقول في «ر» و«خ» الشيخ عبد القادر رضي الله عنه.

أَعْلَى مِنْ هِمَّتِهِ، فيرفعه بها إلى رُتْبَةٍ أَعْلَى مِنْ رَتْبَتِهِ. قُلْتُ : وَأَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي الِارْتِفَاعِ الْانْكَسَارُ وَالِاتِّضَاعُ، فَإِذَا انْكَسَرَ الْمُرِيدُ انْتَضَعَ لِسَيِّدِهِ بِسَبَبٍ أَوْ بِغَيْرِ سَبَبٍ، حَصَلَ لَهُ التَّرَقِّيُّ إِلَى مَقَامٍ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ.

ثم أَمَرَ الشَّيْخَ بِالْجِدِّ فِي السَّيْرِ وَالنَّهْوضِ فَقَالَ : «فَجَدَّ السَّيْرَ»، أَيِ فَجَدَّ الْعَزْمَ وَدَمَّ عَلَى جِهَادِ نَفْسِكَ وَمَخَالَفَتِهَا، فَلَوْلَا مَيَادِينُ النَّفْسِ مَا تَحَقَّقَ سَيْرُ السَّائِرِينَ. وَالزَّمَّ صُحْبَةَ الرِّجَالِ وَالْمَشَايخِ، فَلَا عَوْنَ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ. وَتَأَمَّلْ مَا قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي عَيْنِيهِ⁽¹⁾ :

فَشَمَّرَ وَلُذَّ بِالْأَوْلِيَاءِ فَإِنَّهُمْ لَهُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ تِلْكَ الْوَقَائِعُ
هُمْ الذُّخْرُ لِلْمَلْهُوفِ وَالْكَتْزُ لِلرَّجَا وَمِنْهُمْ يَنَالُ الضُّبُّ مَنْ هُوَ طَامِعُ
بِهِمْ يَهْتَدِي لِلْعَيْنِ مَنْ ضَلَّ فِي الْعَمَا بِهِمْ تَجْدُبُ الْعِشَاقُ وَالرَّبْعُ شَاسِعُ

وَاسْتَنْجِدِ الْعَوْنَ : أَيِ أَطْلُبُهُ مِنَ اللَّهِ بَعْدَ تَحْصِيلِ مَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّهُ يُعِينُكَ عَلَى مَا تَرِيدُ. وَالِاسْتِنْجَادُ : الْإِلْحَاحُ فِي الطَّلَبِ. قَالَهُ فِي الْقَامُوسِ ثُمَّ ذَكَرَ وَجْهَ الْعَمَلِ فِي الْفِرَارِ مِنَ الْوُقُوفِ مَعَ الْغَيْرِ، فَقَالَ :

وَمَهْمَا تَرَى كُلَّ الْمَرَاتِبِ تُجْتَلَى عَلَيْكَ فَحُلْ عَنْهَا فَعَنْ مِثْلِهَا حُلْنَا
وَقُلْ : لَيْسَ فِي غَيْرِ ذَاتِكَ مَطْلَبٌ فَلَا صُورَةَ تُجْلَى وَلَا طُرْفَةَ تُجْنَى

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَمَهْمَا تَرَى كُلَّ الْمَرَاتِبِ، مَرَاتِبِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ وَالتَّقْرِيبِ «تُجْلَى»، أَيِ تَظْهَرُ عَلَيْكَ كَظْهَرِ الْكَرَامَاتِ، وَالْكَشْفِ عَنْ أَسْرَارِ الْمَقَامَاتِ، وَحِلَاوَةِ الطَّاعَاتِ وَإِقْبَالِ الْعِزِّ وَالْغِنَى [الْحَسْبِي]⁽²⁾. «فَحُلْ عَنْهَا»،

(1) فِي «ك» الْجِيلِي وَيَقُولُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ فِي عَيْنِيهِ كَذَلِكَ عَنِ الْمَشَايخِ :

وَإِنْ سَاقَكَ الْمَقْدُورُ أَوْ جَابَكَ الْقَضَا إِلَى شَيْخٍ حَقٍّ فِي الْحَقِيقَةِ بَارِعُ
وَكُنْ عَنْدهُ كَالْمَيِّتِ عِنْدَ مُغْسَلٍ يُقَلِّبُهُ مَا شَاءَ، وَهُوَ مُطَاوِعُ
وَسَلَّمَ لَهُ فَمَا تَرَاهُ، وَلَوْ يَكُنْ عَلَى غَيْرِ مَشْرُوعٍ، فَتَمَّ مُخَادَعُ
وَفِي قِصَّةِ الْخِضْرِ الْكَرِيمِ كِفَايَةٌ بِقَتْلِ غُلَامٍ وَالْكَلِيمِ يُرَافِعُ

(2) فِي «خ» : الْوَرَى وَأَبْنَاءُ الْجَنَسِ. وَفِي «ك» : نَاقِصَةٌ.

أَيَّ تَحَوُّلٍ بِهِمَّتِكَ عَنْ الْإِتْفَاتِ إِلَيْهَا، وَعَدَمِ الْوُقُوفِ مَعَهَا فَقَدْ جُلْنَا عَنْ مِثْلِهَا وَقَصَرْنَا الْوُصُولَ إِلَى مَنْشئِهَا وَمَجْرِيهَا. فَإِنَّ الْوُقُوفَ مَعَ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حِجَابٌ عَنْ شُهُودِ الْحَقِّ. قَالَ [فِي الْحُكْمِ] : «مَا أَرَادَتْ هِمَّةٌ سَالِكٌ أَنْ تَقِفَ عِنْدَمَا كُشِفَ لَهَا إِلَّا وَنَادَتْهُ هَوَاتِفُ الْحَقِيقَةِ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ. وَلَا تَبَرَّجَتْ ظَوَاهِرُ الْمَكُونَاتِ إِلَّا وَنَادَتْهُ حَقِيقَتُهَا : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾»⁽¹⁾⁽²⁾.

وَالْمَرَاتِبُ الَّتِي تُجْتَلَى لِلْسَائِرِ فِي سَيْرِهِ ثَلَاثٌ : مَرْتَبَةُ الْفَنَاءِ فِي الْأَفْعَالِ، وَمَرْتَبَةُ الْفَنَاءِ فِي الصِّفَاتِ، وَمَرْتَبَةُ الْفَنَاءِ فِي الذَّاتِ. فَإِذَا كُشِفَ لِلْسَائِرِ⁽³⁾ عَنْ تَوْحِيدِ الْأَفْعَالِ وَذَاقَ حَلَاوَتَهُ، وَأَرَادَتْ هِمَّتُهُ أَنْ تَقِفَ مَعَ ذَلِكَ الْمَقَامِ، نَادَتْهُ هَوَاتِفُ الْفَنَاءِ فِي الصِّفَاتِ⁽⁴⁾، الَّذِي تَطْلُبُهُ أَمَامَكَ. وَإِذَا تَرَقَّى إِلَى الْفَنَاءِ فِي الصِّفَاتِ وَكُشِفَ لَهُ عَنْ سِرِّ تَوْحِيدِ الصِّفَاتِ، وَاسْتَشْرَفَ عَلَى الْفَنَاءِ فِي الذَّاتِ، وَأَرَادَتْ هِمَّتُهُ أَنْ تَقِفَ مَعَ ذَلِكَ الْمَقَامِ، نَادَتْهُ هَوَاتِفُ حَقِيقَةِ الْفَنَاءِ فِي الذَّاتِ، وَكُشِفَ لَهُ عَنْ سِرِّ تَوْحِيدِ الذَّاتِ، وَأَرَادَتْ هِمَّتُهُ أَنْ تَقِفَ مَعَ ذَلِكَ الْمَقَامِ، نَادَتْهُ هَوَاتِفُ حَقِيقَةِ الْبَقَاءِ وَبَقَاءِ⁽⁵⁾ الْبَقَاءِ. وَهَكَذَا إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنَ التَّرَقِّيِّ.

وَإِذَا تَبَرَّجَتْ، أَيَّ ظَهَرَتْ بِزِينَتِهَا وَزَخَارِفِهَا ظَوَاهِرُ الْمَكُونَاتِ بِخَرْقِ عَوَائِدِهَا وَانْقِيَادِهَا لَهُ، وَتَصَرُّفِهَا فِيهَا بِهِمَّتِهِ، كَالْمَشْيِ عَلَى الْمَاءِ، وَالطَّيْرَانِ فِي الْهَوَاءِ، وَطَيِّ الْمَسَافَةِ الْبَعِيدَةِ فِي الْحِظَّةِ. وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْكَرَامَاتِ الْحَسِيَّةِ وَ[إِذَا] أَرَادَتْ هِمَّةُ السَّالِكِ أَنْ تَقِفَ مَعَهَا نَادَتْهُ هَوَاتِفُ الْحَقِيقَةِ، وَهِيَ أَسْرَارُ الْمَعَانِي الْبَاطِنَةِ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَدْجُرُ جُنُنًا نَخْتَبِرُكَ هَلْ تَقِفُ مَعَ ظَوَاهِرِنَا فَتُحْجَبَ بِهَا، أَوْ تَنْفُذَ إِلَى بَاطِنِهَا فَتَعْرِفَ مَالِكَهَا وَالتَّجَلِّيَ بِهَا.

(1) فِي خ : هَوَاتِفُ الْحَقِيقَةِ.

(2) أَنْظَرَ شَرْحَ الْحُكْمِ ج 1 ص 23، 24. وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ الْآيَةُ 102.

(3) فِي خ : السَّائِرِينَ.

(4) فِي ر : الذَّاتِ.

(5) فِي ر : فِي بَقَاءِ.

قال الشيخ «أبو عثمان بن عاشور» [رضي الله عنه] : «خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ أُرِيدُ الْمَوْصِلَ، فَأَنَا أَسِيرُ وَإِذَا بِالدُّنْيَا عُرِضَتْ عَلَيَّ بِعِزِّهَا وَجَاهِهَا، وَرَفَعَتْهَا وَمَرَكَبَهَا وَمَلَابِسَهَا وَمَزِينَاتِهَا وَمُسْتَهْيَاتِهَا، فَأَعْرَضْتُ عَنْهَا. فَعُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ بِحُورِهَا وَقُصُورِهَا وَأَنْهَارِهَا وَثَمَارِهَا، فَلَمْ أَشْتَغَلْ بِهَا. فَقِيلَ لِي يَا عُثْمَانُ، لَوْ وَقَفْتَ مَعَ الْأَوَّلَى لَحَجَبْنَاكَ عَنِ الثَّانِيَةِ، وَلَوْ وَقَفْتَ مَعَ الثَّانِيَةِ لَحَجَبْنَاكَ عَنَّا، فَهَا نَحْنُ لَكَ وَقَسْطُكَ مِنَ الدَّارَيْنِ يَا تَيْكَ».

وقال بَعْضُهُمْ : مَنْ سَمَتْ هِمَّتُهُ عَنِ الْأَكْوَانِ، وَصَلَ إِلَى مُكُونِهَا. وَمَنْ وَقَفَ بِهِمَّتِهِ مَعَ شَيْءٍ دُونَ الْحَقِّ فَاتَهُ الْحَقُّ وَهُوَ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ مَعَهُ شَيْءٌ. وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَقُلْ لَيْسَ لِي غَيْرَ ذَاتِكَ مَطْلَبٌ وَلَا أَرْبٌ وَإِنَّمَا مَطْلَبِي وَأَرْبِي الْوَصُولُ إِلَى رَوْيَتِكَ وَمَعْرِفَتِكَ. فَلَا يَشْغَلُنَا عَنْهُ أَهْلِ السَّائِرِ صُورَةٌ تُجَلِّي، أَيْ تَظْهَرُ لَكَ مِنْ نَوْعِ الْكَرَامَاتِ. وَلَا طَرَفَةٌ تَجْنِي كَوْجُودَ الثَّمَارِ مِنْ غَيْرِ إِبَانِهَا، أَوْ حِلَاوَةِ الطَّاعَاتِ فَإِنَّهَا سُمُومٌ قَاتِلَةٌ.

قال الشيخ «أبو يزيد» رضي الله عنه⁽¹⁾. «أَوْقَفَنِي الْحَقُّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ : تُرِيدُ الطَّرْفَ⁽²⁾ فَقُلْتُ لَا. فَقَالَ : تُرِيدُ الْقُرْبَ. فَقُلْتُ لَا. فَقَالَ : تُرِيدُ التَّحَفَ. قُلْتُ لَا. فَقَالَ : فَمَا تُرِيدُ ؟ قُلْتُ : أُرِيدُ أَنْ لَا أُرِيدَ لِأَنِّي أَنَا الْمُرَادُ وَأَنْتَ الْمُرِيدُ». وَحَكَى أَنَّهُ قَالَ : كَانَ الْحَقُّ [تَعَالَى] يَرِينِي الْكَرَامَاتِ فَأَعْرَضُ عَنْهَا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنِّي جَعَلَ لِي إِلَى مَعْرِفَتِهِ سَبِيلًا.

وقال بَعْضُهُمْ : كُشِفَ لِي عَنْ أَرْبَعِينَ حُورًا فَرَأَيْتُهُنَّ يَتَشَخَّشْنَ⁽³⁾، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِنَّ فَحَجَبْتُ عَنْ مَقَامِي مَدَّةً، ثُمَّ كُشِفَ لِي عَنْ ثَمَانِينَ، فَسَجَدْتُ وَأَنَا أَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِمَّا سِوَاكَ.

(1) أبو يزيد (طيفور البسطامي)، كان جده مجوسياً وأسلم، وكانوا ثلاثة إخوة : آدم وطيفور وعلي، كلهم كانوا زهاداً، وكان أبو يزيد أرفعهم حالاً، قيل توفي سنة 261 هـ. من أقواله : لو نظرتم إلي رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجذونه عند الأمر والنهي : وحفظ الحدود وأدب الشريعة. عن أقواله وأخباره أنظر الرسالة ص 13، 14.

(2) في «ر» : القرب.

(3) في «خ» و«ر» : يتشخصن.

وقال شيخ شيوخنا «علي العمrani»⁽¹⁾ رضي الله عنه الملقب بالجمال [قال فيما معناه] : (اشتقت يوماً إلى الجنة، فإذا أنا فيها آكل من ثمارها، وأقطف من أزهارها، وأشرب من أنهارها. فشغلني ذلك عن [حلاوة] الشهود فتبت إلى الله فأخرجني من سجنها).

وقال «الجند» رضي الله عنه : «الطف ما يخادع به الأولياء الكرامات والمعونات»⁽²⁾. ويحكى أن «بشراً الحافي»⁽³⁾ رضي الله عنه، رأى «علي بن أبي طالب» في النوم، فقال له : «يا أمير المؤمنين ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء رجاء الثواب، فقال له علي كرم الله وجهه : وأحسن من ذلك، تيه الفقراء على الأغنياء»⁽⁴⁾.

قال بعض المشايخ : وأكبر من ذلك همة العارفين، تتلشى⁽⁵⁾ فيها جميع المقدورات⁽⁶⁾ فضلاً عن المخلوقات.

ولما قدم الشيخ «أبو الحسن» رضي الله عنه على القطب «ابن مشيش» رضي الله عنه، وجدّه في مغارته يدعو، فكره الدخول عليه ليلاً، وكان في نية الشيخ «أبي الحسن»⁽⁷⁾. أن يتنفع الله الناس به، وجلبهم إليه⁽⁸⁾ ليدعوهم إلى

(1) علي العمrani : هو علي بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن إبراهيم بن عمران الحسني الإدريسي، توفي بفاس يوم السبت 19 ربيع الأول سنة 1193 هـ عن 106 أعوام (انظر ترجمته بسلوة الأنفاس، وفهرسة الكوهن).

(2) عن آراء الجند الصوفيّة انظر الرسالة القشيرية في علم التصوف للقضيدي دار الكتاب العربي (د، ت) ص 18 - 19 - 20.

(3) بشر الحافي : أصله من مرو، سكن بغداد ومات بها سنة 227 هـ. سبب توبته : أنه أصاب في الطريق ورقة مكتوباً فيها اسم الله عز وجل قد وطئها الأقدام، فأخذها واشترى بدرهم. بما طيب بها الوقة وجعلها في شق حائط... فرأى في نومه هاتفا يقول : يا بشر طيب اسمي، لأطيق اسمك في الدنيا والآخرة... عن أقواله وأخباره انظر الرسالة القشيرية ص 11.

(4) في خ : ناقصة.

(5) في خ : تتشاكى له.

(6) في ر : المعذورات.

(7) في ر : أبو الحسن.

(8) في ر : عليه.

اللَّهُ. وَكَانَ هَذَا الْحَالُ يَتَرَدَّدُ فِي خَاطِرِهِ، هَلْ يَدْخُلُ الْمَدَنُ (1) أَوْ يَنْقَطِعُ فِي الْجِبَالِ، وَالْقَفَارَ لِلْعِبَادَةِ؟ فَسَمِعَ الشَّيْخَ مِنْ دَاخِلِ الْمَغَارَةِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنْ قَوْمًا طَلَبُوا (2) مِنْكَ أَنْ تُسَخِّرَ لَهُمْ خَلْقَكَ فَسَخِّرْهُمْ لَهُمْ فَرَضُوا مِنْكَ (3) بِذَلِكَ. وَأَنَا أَسْأَلُكَ اعْوَجَاجَهُمْ عَلَيَّ، حَتَّى لَا يَكُونَ مَلْجَأِي إِلَّا إِلَيْكَ.

فَقَالَ الشَّيْخُ «أَبُو الْحَسَنِ» : قُلْتُ يَا نَفْسِي أَنْظِرْ مِنْ أَيِّ بَحْرٍ يَغْتَرِفُ هَذَا الرَّجُلُ؟! فَلَمَّا دَخَلْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَيْهِ، قُلْتَ لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ يَا سَيِّدِي. قَالَ : أَصْبَحْتُ أَشْكُو مِنْ بَرْدِ الرِّضَى (4) وَالتَّسْلِيمِ، كَمَا أَصْبَحْتُ تَشْكُو أَنْتَ مِنْ حَرِّ التَّذْيِيرِ وَالِاخْتِيَارِ. فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي أَمَّا شَكْوَايَ مِنْ حَرِّ التَّذْيِيرِ وَالِاخْتِيَارِ فَقَدْ دُفِّقْتُ وَأَنَا فِيهِ، وَأَمَّا شَكْوَاكَ أَنْتَ مِنْ بَرْدِ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ فَمَا دُفِّقْتُ فَقَالَ (5) : أَخَافُ أَنْ تَشْغَلَنِي حَلَاوَتُهُمَا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي سَمِعْتُكَ الْبَارِحَةَ تَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ اعْوَجَاجَ الْخَلْقِ عَلَيَّ. فَقَالَ [ابْنُ مَشِيشٍ] : يَا أَبَا «الْحَسَنِ» عِوَضَ أَنْ تَقُولَ : يَا رَبِّ سَخَّرْ لِي خَلْقَكَ، قُلْ يَا رَبِّ كُنْ لِي، أَتَرَى إِنْ كَانَ لَكَ أَيْفُوتُكَ شَيْءٌ؟ فَمَا هَذَا الْجَبَانُ (6)؟! انْتَهَى بِمَعْنَاهُ.

فَهَذِهِ الْمَقَامَاتُ وَالْحِكَايَاتُ كُلُّهَا تَرْشِدُ الْمُرِيدَ إِلَى التَّعَلُّقِ بِاللَّهِ وَعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَا سِوَاهُ كَائِنًا مَا كَانَ. وَلَمَّا حَرَّضَ عَلَى الْفَنَاءِ وَالْفِرَارِ مِمَّا سِوَى اللَّهِ، أَمَرَ بِالْتَّمَسْكِ بِالشَّرِيعَةِ، وَهُوَ مَقَامُ الْبَقَاءِ وَكَمَالِ الْكَمَالِ فَقَالَ :

وَسِرْ نَحْوَ أَعْلَامِ الْيَمِينِ (7) فَإِنَّهَا سَبِيلٌ بِهَا يُمْنٌ فَلَا تَتْرُكِ الْيُمْنَا

(1) فِي خ : لِلْمَدَن.

(2) فِي «خ» : قَدْ طَلَبُوا. وَفِي «ر» : يَصْلُونَ.

(3) فِي خ : وَرَضُوا، «مِنْكَ» : نَاقِصَةٌ.

(4) الرِّضَا : الرِّضَا يَرْتَبُطُ بِالْقَضَاءِ مِنْ نَاحِيَةِ وَطَاقَةِ الْفَرْدِ عَلَى الصَّبْرِ عَلَيْهِ وَبِالتَّالِي الرِّضَاءِ بِهِ، وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى يَرْتَبُطُ الرِّضَا بِحَقِيقَةِ وَعَمَقِ الْإِيمَانِ بِالْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ، فَاللَّهُ فِي قَضَائِهِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ. (الْمَعْجَمُ الصُّوفِيُّ ص 729).

(5) فِي «ر» وَ«خ» : فَلَمَّا ذَا قَالَ.

(6) فِي خ : مَا هَذِهِ الْجَبَانَةُ، وَقَوْلُ الشَّاذَلِيِّ جَاءَ هُنَا بِمَعْنَاهُ لَا بِنَصِّهِ.

(7) وَيَقْصِدُ الشَّشْتَرِي بِأَعْلَامِ الْيَمِينِ لَوَاءَ الشَّرِيعَةِ الْحَمْدِيَّةِ، عَمَلًا بِالْقَوْلِ التَّالِي : مَنْ تَصَوَّفَ وَلَمْ يَفْقَهُ فَقَدْ تَرَدَّقَ، وَمَنْ تَفَقَّهُ وَلَمْ يَتَصَوَّفَ فَقَدْ تَفَسَّقَ، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ تَحَقَّقَ.

يقول رضي الله عنه : إذا أفردت قلبك لله ولاحت عليك أنوار الفناء،
فتمسك بالشرعة المحمدية، وسِرْ نحو أعلام⁽¹⁾ أهل اليمين. واستظل معهم
تحت ظلّ لواء الشريعة وأعلامها، فإنها طريق بها يُمْنٌ وبركة ونجاة وغنيمة،
فلا تترك اليمْن والبركة فتقع في الحُسران والندامة. ولذلك قيل :

مَنْ تَصَوَّفَ وَلَمْ يَتَفَقَّهَ فَقَدْ تَزَنَّدَقَ. وَمَنْ تَفَقَّهَ وَلَمْ يَتَصَوَّفَ فَقَدْ تَفَسَّقَ. وَمَنْ
جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ تَحَقَّقَ.

قال «الشيخ زروق» رضي الله عنه :

تَزَنَّدَقَ الْأَوَّلُ لِإِهْمَالِهِ الشَّرِيعَةَ، وَقَدْ جَاءَ بِهَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، فَهِيَ
بَابُ الدَّخُولِ إِلَى اللَّهِ. وَتَفَسَّقَ الثَّانِي لِإِهْمَالِهِ الْحَقِيقَةَ. وَتَحَقَّقَ الثَّالِثُ لِمُجْمَعِهِ
بَيْنَهُمَا. قال : وكان شيخنا «أبو العباس بن عقبة الحَضْرَمِي»⁽²⁾ كثيرا ما يُنشد
هذين البيتين :

وَسَلَّمَ لِسَلَمَى وَسِرَّ حَيْثُ سَارَتْ⁽³⁾ اتَّبَعَ رِيَّاحَ الصَّبَا وَدُرَّ حَيْثُ دَارَتْ

وَمُرَادُهُ بِسَلَمَى [فيما أظنه]⁽⁴⁾ : الشريعة والله أعلم. قُلْتُ : بل الظاهر
أنها الحقيقة إذا هي التي يَكْنِي عنها أَهْلُ الْفَنِّ بِسَلَمَى وَعِزَّةٌ وَلِيْلَى، وأيضاً هي
المتصرف في الأشياء كلها، فيجب الميل معها أين ما ظَهَرَتْ وَالسَّيْرُ بِسَيْرِهَا
حيث سَارَتْ. وأما الشريعة فإنها رِداءٌ لَهَا وَسِتْرٌ عَلَيْهَا، والله أعلم.

(1) في خ : ناقصة.

(2) أبو العباس بن عقبة الحَضْرَمِي : وهو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن محمد
بن عمر بن عقبة الحَضْرَمِي اليمَنِي. ولد بحضرموت عام 824هـ/1421م وتوفي بالقاهرة عام
895هـ/1489م.

أنظر كتاب : «أحمد زروق والزروقية» دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة. تأليف :
«فهمي علي خثيم» ط 3 2003م دار المدار الإسلامي بيروت - لبنان. ص 46.

(3) أنظر شرح الشيخ زروق لنونية الششتري مخطوط الأسكوريال بإسبانيا رقم 168-4. وفي «خ»
جاء البيت كما يلي :

واتبع رياح القضاء ودُرَّ حيث دارت وسلم لسلمى وسر حيث سارت
(4) في «ر» و«خ» : «فيما أظنه» ناقصة.

فالتمسكُ برسومِ الشريعة [لأهل الحقيقة] فرضٌ لازمٌ، وَمَنْ أَخْلَ بِهِ رَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ بَلْ لَا يُرْجَى فَلَاحُهُ. وقال «الساحلي»⁽¹⁾ في «بغيته» لما تَكَلَّمَ على آدابِ مقامِ الإحسانِ بعدَ كَلَامِ : الثالث : إقامة رسومِ الشريعة [أحسن إقامة]، فَهِيَ شعارُ العبودية وهي الوسائلُ إلى دَرْكِ الحقائق الإلهية. وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ مُسْتَعْنَى عَنْهُ عِنْدَ مَوَارِدِ التحقيق، فَهُوَ مَغْبُونٌ فِي حَقِيقَتِهِ مَفْتُونٌ فِي وَجْهَتِهِ، راضٍ بالحرمانِ وَالْهَوَانِ. وَمِنْ عِلَامَاتِ صِدْقِ أَهْلِ الاختصاصِ فِي اسْتِغْرَاقِهِمُ الحِفْظَ عَلَيْهَا فِي إقامة الرُّسُومِ الشرعية. كَمَا أَنَّ مِنْ عِلَامَةِ الخِذْلَانِ حَلَّ اليَدِ مِنْ عُرْوَةِ الشريعة عِنْدَ وُرُودِ الحقائق، رزقنا الله مِنْ حِفْظِهِ وَكَلَاءَتِهِ مَا يَحْمِلُنَا عَلَى مَنَاجِجِ الْعَارِفِينَ. قُلْتُ : ورسومِ الشريعة هو فِعْلُ المأموراتِ وَتَرْكُ المُنْهَيَاتِ، نَهْيٌ تَحْرِيمٌ، أَوْ [نَهْيٌ] كَرَاهِيَةٌ.

وقال أيضا في شروطِ المَعْرِفَةِ الثالث : المحافظة على الرُّسُومِ الشرعية وإقامة الوظائفِ الرِّبَّانِيَّةِ، اقتداءً بِإِمَامِ الْعَارِفِينَ وَسَيِّدِ الْمُقَرَّرِينَ الَّذِي تَفَطَّرَ⁽²⁾ قَدَمَاهُ مِنْ طَوْلِ الْقِيَامِ فِي الصَّلَاةِ وَذَلِكَ مِنْ تَمَكُّنِ مَعْرِفَتِهِ ﷺ. وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ وَزَلَّتْ أَقْدَامُهُمْ حِينَ ادَّعَوْا الْمَعْرِفَةَ وَقَالُوا يَتْرَكَ الشريعة، وَرَأَوْا ذَلِكَ مِنْ بَابِ⁽³⁾ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى. وَلَمْ يَشْعُرُوا بِأَنَّ ذَلِكَ تَعْطِيلٌ وَكُفْرٌ، إِذْ حَاشَ⁽⁴⁾ الْمَعْرِفَةَ مِنْ ذَلِكَ.

(1) الساحلي : قوله في البغية : بغية السالك في أشرف المسالك، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 2224 د. وهو كتاب يحاول فيه صاحبه قطع الطريق على المدعين من الجهلة المتعالمين، كما يهدف إلى تسهيل الطريق للمسافرين بإشارة وتلويح دون إيضاح وتصريح، إشارة تجنب الكشف عن مصون ما ستروه لما حفظوه وكتموه... (البغية ص 119). وأنظر كذلك الدراسة التي خصصها له الدكتور محمد مفتاح ضمن الفصل السادس : الخطاب الصوفي والتوفيق ضمن كتابه : الخطاب الصوفي ط 1 دار الرشد 1998.

(2) في ر : تومرت.

(3) في خ : ناقصة.

(4) في خ : وحاش. وفي ر : وحاشا.

قال إمام هذه الطريقة وسيّد أهل الحقيقة «أبو القاسم الجنيد» [رضي الله عنه] : القَوْلُ بِإِسْقَاطِ الْأَعْمَالِ عِنْدِي عَظِيمٌ، وَالَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي أَحْسَنَ حَالًا عِنْدِي مِنَ الَّذِي يَقُولُ بِإِسْقَاطِ الْأَعْمَالِ⁽¹⁾. أي أعمال الشريعة.

قال «النقشبندي»⁽²⁾ ولقد صدّق رضي الله عنه : فإن السّارق والزّاني عاص بِسِرْقَتِهِ وزناهُ، وَلَا يَصِلُ إِلَى حَدِّ الْكُفْرِ. وأمّا القائل بسقوط الفرائض وتحليل المحرمات، الْمُعْتَقِدُ لِذَلِكَ السَّقُوطَ فَقَدْ أَنْسَلَ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْسَالَ⁽³⁾ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ. ثم قال «الجنيد» : «فإنّ العارفين أَخَذُوا الْأَعْمَالَ مِنَ اللَّهِ وَرَجَعُوا مِنْهَا إِلَى اللَّهِ». ثم قال : «وَلَوْ بَقِيَتْ أَلْفَ عَامٍ لَمْ أَنْقُصْ مِنَ الشَّرِيعَةِ ذَرَّةً»⁽⁴⁾.

[ثمّ] قال «السّاحلي»⁽⁵⁾ في آداب المعرفة الثالث : مُلَازِمَةُ الْهَيْبَةِ وَهُوَ الصُّعُودُ إِلَى غَايَتِهَا، فَإِنَّ الْهَيْبَةَ مِنْ أَمَارَاتِ الْمَعْرِفَةِ، كُلَّمَا زَادَتْ مَعْرِفَتُهُ زَادَتْ هَيْبَتُهُ وَكُلَّمَا زَادَتْ هَيْبَتُهُ زَادَتْ مَعْرِفَتُهُ، وَقَدْ يُعَيَّرُ عَنِ الْهَيْبَةِ بِالْخَشْيَةِ. قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾⁽⁶⁾. وقال ﷺ : «أَنَا أَعْرِفُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ خَشْيَةً»⁽⁷⁾. فإن قلت : كَلَامُكَ يَشِيرُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ، وَالْمَعْرِفَةُ مُحَوِّ مَطْلُوقٌ، وَالْمَحَوِّ الْمَطْلُوقُ فَنَاءٌ عَنِ الرَّسُومِ وَالصِّفَاتِ وَالْهَيْبَةُ مِنَ الرَّسُومِ

(1) قول الجنيد : الرسالة القشيرية نفس المعطيات السابقة ص 19.

(2) النقشبندي : هو العارف بالله «بهاء الدين محمد بن محمد الشريف الحسيني الحسني الأوسي البخاري.

(3) في خ : إسلال.

(4) قول الجنيد : الرسالة القشيرية نفس المعطيات السابقة ص 19.

(5) «الساحلي» : هو محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم الساحلي (679هـ - 754هـ) ابن صاحب طريقة صوفية أندلسية تعرف بالساحلية وخليفته علي رثاها. أنظر بغية الملتبس الباب 6 ص 306 وابن الخطيب، الإحاطة ج : 3 ص 239 - ص 241. وابن فرحون، الديباج المذهب ط مصر 1330هـ ص 334-335.

من أهم كتبه الصوفية «بغية السالك في أشرف المسالك» و«النفحة القدسية في الأخبار الساحلية».

(3) فاطر : 28.

(7) الحديث. ونص الحديث كما ورد في تلبس ابليس لان الجوزي : «أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية».

والصفات. فالجواب أن العارف وإن كان بهذه المثابة من الاستغراق في معرفته⁽¹⁾. والاستهلاك في موجدِه لشهوده. فمن علامات قرْبِه، وإن اختُطِفَ عن إحساسه، أن تَبْقَى رسومُ الأدبِ محفوظة عليه بحفظ الله تعالى إياها عليه، وإقامته فيها مقام الحمد. فيكون سرّه مستغرقاً في شهودِه ورُسْمِه، قائماً بوظائف معبودِه». انتهى مِنَ البُعْيَةِ.

ولله دَرُّ سيدي «عبد الله الهبطي»⁽²⁾ حيث قال في منظومته التي سَمَّها شمس الضحى :

و ثالثُ الفصولِ في الشريعة	لأنها إلى الهدى ذريعة
فكلُّ بابٍ دونها مسدودُ	ومن أتى من غيرها مردودُ
قد اصطفاه ربنا عزَّ وجلَّ	بفضله وجوده على الملل
طريقة العدنان للرحمن ⁽³⁾	محفوظة بالثور والرضوان
طوبى لمن أتى بها للعرض	والويل للذي بها لم يقض

وإنما أطلت الكلام هنا، لأنني رأيت كثيراً من الفقراء حلوا أيديهم من الشرعية فظهر عليهم المسخ والبعد، والعياذ بالله من السلب بعد العطاء. ثم حذّر الشيخ من الوقوف مع مجرد العقل لأنه معقول عن شهود الأسرار فقال: أمامك هول فاستمع لوصيتي عقال من العقل الذي منه قد بُنينا⁽⁴⁾

(1) في خ : معروفه.

(2) عبد الله الهبطي : من أصول طنجة، هاجر جده لبلاد الأخماس بعد احتلال البرتغال لطنجة حوالي سنة 841هـ توفي قرب شفشاون. أنظر عبد الله التلبيدي، كتاب المطرب ط 1، 1980هـ، ص 160.

(3) في «ر» و«خ» : الرحمن للعدنان.

(4) لابد هنا من الإشارة إلى مسألة هامة عند الششتري تتعلق بـ«العقل»، فالعقل باعتباره جزء من الإنسان المخلوق المحدث، فهو مخلوق مثله، إذ المحدث الغائي لا يعرف القديم الأزلي، فالعلم، والقياس العقل والحواس، والتحليل والنقد، تعتبر حواجز تقف دون معرفة الإنسان للحقيقة اليقينية، ولهذا وكما يرى كان من الواجب تجاوزها، لكن هذا لا يعني رفضه للعقل جملة وتفصيلاً، بل يعتبر العقل أساسي وضروري في مرحلة من مراحل اليقين. فهو عندما ينكر الحس والعقل ويرفض العلم، فهو يقوم بذلك من أجل التنبيه والتحسيس بقيمتها ودورها التمهيدي المساعد، إنها حجاب وحاجب، وذلك بالمعنى التالي : =

قُلْتُ عِقَالٌ بَدَلٌ مِنْ هَوْلٍ. يقول رضي الله عنه : قُدَّامَكَ أَيُّهَا السَّائِرُ هَوْلٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ عِقَالٌ فِكْرَتِكَ عَنِ التُّفُودِ إِلَى مَيَادِينِ الْغُيُوبِ وَفُضَاءِ الشُّهُودِ. وَهَذَا الْعِقَالُ هُوَ عَقْلُكَ حَيْثُ وَقَفْتَ مَعَهُ وَلَمْ تُدْرِكْ إِلَّا مَا أَدْرَكَهُ مِنْ صُنْعَةِ الْكَوْنِ وَافْتِقَارِهِ إِلَى صَانِعِهِ، وَلَمْ تَنْفُذْ إِلَى مَا وَرَاءَهُ مِنْ شُهُودِ الْمَكُونِ فِي مَظَاهِيرِ مَكُونَاتِهِ، فَإِنَّ أَسْرَارَ الْمَعَانِي خَارِجَةٌ عَنْ دَائِرَةِ الْعُقُولِ وَإِحَاطَةِ النُّقُولِ، كَمَا قَالَ «ابن الفارض» رضي الله عنه في تَائِيَّتِهِ⁽¹⁾.

وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ طَيَّسَتْهُ دُرُوسُهُ بِحَيْثُ اسْتَحَفَّتْ عَقْلَهُ وَاسْتَفْزَرَتْ
فَثَمَّ وَرَاءَ النُّقْلِ عِلْمٌ يَدِقُّ عَنْ مَدَارِكِ غَايَاتِ⁽²⁾ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ
تَلَقَّقِيَتْهُ مِنِّي وَعَنِّي أَخَذَتْهُ وَنَفْسِي كَانَتْ مِنْ عَطَاءِ مَمْدَّتِي

فَاسْتَمِعْ لَوْصِيَّتِي وَهِيَ⁽³⁾ : أَنْ لَا تَقِفَ⁽⁴⁾ مَعَ تَوَهُّمَاتِ الْعَقْلِ وَتَخَيَّلَاتِهِ الَّتِي قَدْ⁽⁵⁾ تُبْنَى⁽⁶⁾ مِنْهَا، وَرَجَعْنَا إِلَى رَبَّنَا عَنْهَا فَاسْتَغْلَنَّا بِذِكْرِهِ ذِكْرًا مُتَّصِلًا، وَتَرَكْنَا حُظُوظَنَا وَلِحُظُوظَنَا فَأَشْرَقَتْ عَلَيْنَا الْأَنْوَارُ، وَلَا حَتَّ عَلَيْنَا الْأَسْرَارُ. فَخَرَجْنَا عَنْ دَائِرَةِ الْأَكْوَانِ، وَأَفْضَيْنَا إِلَى فُضَاءِ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ، بِسَبَبِ

= بالعقل يمكن معرفة الوجود بمساعدة الحس، ولما كان الوجود بما فيه ومن فيه تجل لله عبر أسمائه : «فالأسماء تنتقل عن الذات، ذات الحق الواحد، ويكون طلوعها بالوهم على الحق فهي غير الحق، لكن تحقق الحق وتبين بها المراتب، وهي آلة موصلة لذلك. فإذا وصلت فلا حاجة بها [كما لا حاجة للعقل]، لكنها ليس لها انفكاك من الوجود، فمثلها بوجه ما إذا وصلت إلى ذات ما، مثل الحاجب مع الملك يدلك عليه ويعلمك كيف يكون الدخول إليه وبين يديه...».

(المقاليـد الوجودية، تقديم تحقيق الدكتور محمد العدلوني الإـدريسي ط 1، 2008 دار الثقافة ص 106.

(1) ابن الفارض : (التائية الكبرى) : الأبيات : 674 و675 و676. وقد ورد خطأ طروسه بدل دروسه (وهو خطأ من الشارح، أنظر كتابه الفتوحات الإلهية على هامش إيقاظ الهمم ص 38). وهو يعني أن النقل أرقى من العلم العقلي الذي يأتي عن طريق التفكير والدرس. أنظر : ابن الفارض والحب الإلهي : ذ. مصطفى حلمي، ص 246.

(2) في «ك» : غاية.

(3) في ر : وهو.

(4) في خ : لا تقف. وفي ك إلا ان تقف.

(5) في خ : ناقصة.

(6) في ر : بُنينا.

صحبة المشايخ [وخذمتهم] مع امتثال أمرهم، ولَوْ أفضت بنا إلى العطب،
وتصديق قولهم ولَوْ كَانَ مُحَالًا. كَمَا قَالَ «الشاذلي» رضي الله عنه : «إذا
جالست إلى الكبراء، فدع ما تعرف لِمَا لَا تعرف، لتفوز بالسِّرِّ المكنون»⁽¹⁾.

ثُمَّ ذَكَرَ وَبَالَ مَنْ وَقَفَ مَعَ عَقْلِهِ فَقَالَ :

أَبَادَ الْوَرَى بِالْمُشْكِلَاتِ وَقَبْلَهُمْ بِأَوْهَامِهِ قَدْ أَهْلَكَ الْجِنَّ وَالْبَنَّا

الْجِنُّ وَالْبَنُّ⁽²⁾ : قَبِيلَتَانِ مِنَ الْجِنِّ عَمَّرَتَا الْأَرْضَ قَبْلَ آدَمَ، هَكَذَا وَجِدَ
بِخَطِّ الْقُورِيِّ⁽³⁾، أَمَّا الْجِنُّ فَقَدْ ذَكَرَهُ فِي الْقَامُوسِ وَنَصَّهُ : وَالْجِنُّ بِالْكَسْرِ : حَيٌّ
مِنَ الْجِنِّ مِنْهُمْ الْكَلَابُ السُّودُّ الْبُهْمُ أَوْ سَفَلَةُ الْجِنِّ وَضَعُفَاؤُهُمْ أَوْ كِلَابُهُمْ أَوْ
خَلْقٌ بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

وَأَمَّا الْبَنُّ⁽⁴⁾ : فَقَالَ فِي الْقَامُوسِ أَيْضًا : الْبَنَّةُ : الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ. ثُمَّ قَالَ :
وَمَوْضِعٌ بِكَابِلَ، وَبَلَدَةٌ بِبَغْدَادَ، وَحِصْنٌ بِالْأَنْدَلُسِ. فَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ مِنْ قِبَائِلِ
الْجِنِّ، لَكِنْ مِنْ أَثْبَتِ حِجَّةٍ وَلَمْ يَذْكُرْهُ فِي مَادَّةِ الْمَقْصُورِ.

يقول رضي الله عنه في ذَمِّ الْعَقْلِ : «أَبَادَ الْوَرَى» إِلَى مَنْ وَقَفَ مَعَهُ.
وَحَكْمُهُ فِي أُمُورِ عَقَائِدِهِ. أَيِ أَهْلَكَهُمْ وَأَتْلَفَهُمْ بِالْمُشْكِلَاتِ النَّظَرِيَّةِ رَدًّا
وَقَبُولًا، إِنْ الْعَقْلُ إِذَا لَمْ يَتَأَيَّدَ بِأَنْوَارِ الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يَقِفْ مَعَ الْحِجَابِ الْأَعْظَمِ،
وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ، ضَلَّ وَأَضَلَّ. وَهَذَا سَبَبُ هَلَاكِ الْمُعْتَزَلَةِ⁽⁵⁾ وَالْقَدَرِيَّةِ⁽⁶⁾

(1) قول الشاذلي كذلك : «من آداب مجالسة الأكابر عدم التجسس على عقائدهم، لأن آداب
مجالسة العلماء عدم تحديثهم بغير المنقول»

كتاب طبقات الشاذلية الكبرى، نفس المعطيات ص 44.

(2) في ر : البنا.

(3) في «ر» و«خ» : النووي. ولعله يعني به الشيخ القوري.

(4) في ر : البنا.

(5)، (6) المعتزلة : فرقة من أهم الفرق الكلامية ظهرت في ق 2 هـ، وهي حركة عقلية منظمة
تقوم على شرح العقيدة والدفاع عنها. وقد اجتمعت رغم تعدد فصائلها، على خمسة
أصول هي : التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر. وسميت بالقدرية تاريخياً، لقولهم القدر خيرُه وشرُه من الإنسان.

والجهمية⁽¹⁾ وغيرهم من الطوائف الضالة، الاثني والسبعين المفرقة في هذه الملة⁽²⁾ ومن قبلهم من الفلاسفة والطبائعين⁽³⁾ وأضرابهم حيث لم يتقيدوا بالوحي الإلهي. بل استصغروه كما قال تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾⁽⁴⁾ [أي سرّوا بما عندهم واستهانوا بغيره بقوله : ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾⁽⁵⁾].

قيل إنه صادق بالفلاسفة وإنهم اعتقدوا أن عندهم من العلم ما يستغنون به عن علم الأنبياء عليهم السلام. ولما سمع «سقراط»⁽⁶⁾ الحكيم «موسى» عليه السلام. قيل له : لو هاجرت إليه فقال : نحن قوم مهذبون لاحاجة إلينا من يهذبنا.

ورأى بعض الصالحين النبي ﷺ فسأله عن «ابن سينا»⁽⁷⁾، فقال ﷺ : إنّه أراد أن يصل إلى الله من غير واسطة، فانقطع عن الله. قلت : وعلى فرض

(1) الجهمية : في خ : الجمامية، وهو تحريف.

والجهمية هي فرقة دينية سياسية، وهي عكس المعتزلة، تقول بالجزر، وأن القدر خيره وشره من الله لا من الإنسان. وتنسب الجهمية إلى أحد مؤسسيها : «الجهم بن صفوان».

(2) كما جاء في الحديث الشريف : «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة... كلهم في النار إلا ملة واحدة... ما أنا عليه وأصحابي» عن أبي هريرة رضي الله عنه. أنظر كتاب «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي، الباب الأول ص : 4-5 دار الآفاق الجديدة، بيروت ط 4، 1980م.

(3) الطبائعيون : فلاسفة المدرسة الطبيعية اليونانية، الأيونية المعروفون «بالفلاسفة الطبيعيين» والذين أرجعوا حقيقة الوجود إلى أحد عناصره (الماء، الهواء، النار، التراب) - الاستفساطات - مثل : طاليس (ق 5 ق م) = أصل الوجود ماء. أو ديموقريطس (ق 5 ق م) = أصل الوجود النار.

(4) غافر : 83.

(5) النحل : 34.

(6) في «ر» و «خ» و «ك» : بقراط، والمقصود هنا سقراط الفيلسوف لأن بقراط كان طبيباً وهو صاحب القسم المهني المشهور.

(7) ابن سينا هو أبو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي، الملقب بالشيخ الرئيس ولد في بخارى 370هـ/890م. وتوفي 428هـ/1038م. طبيب وفيلسوف ومنطقي..

وَقَوْفِهِمْ بَعْدَ رِيَاضَةِ نَفُوسِهِمْ وَتَهْذِيبِهَا عَلَى التَّجْرِيدِ وَانْكَشَافِ حَضْرَةِ الْقُدْسِ لَهُمْ، فَلَا يَظْفَرُونَ بِالْعُبُودِيَّةِ الْمُحَضَّةِ، وَلَا بِالْفَنَاءِ فِي التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ الصَّرْفِ، وَلَا التَّخْلُصِ التَّامِ مِنْ لَوْثِ وَجُودِهِمْ. لِأَنَّ الشَّأْنَ أَنْ تَكُونَ عَيْنَ الْإِسْمِ لَا أَنْ تَعْرِفَ الْإِسْمَ وَالْعَيْنَ، وَأَنْ تُقْتَبَسَ مِنْ مَشْكَاتِ مَهَبِطِ الْوَحْيِ وَانْصَابِ أَنْوَارِ الْغَيْبِ، إِنَّمَا تَقِضُ بِوَاسِطَةِ دَرَّةِ الْوُجُودِ وَمُظْهِرِ سِرِّ الْعِيَانِ وَالشُّهُودِ الْأَحْمَدِيِّ الْأَحَدِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. فَافْهَمِ.

قال شيخ شيوخنا أبو زيد العارف سيدي «عبد الرحمن الفاسي»⁽¹⁾ رحمه الله تعالى ورضي عنه.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ مَجْرَدَ الْعَقْلِ لَا يُنْجِي صَاحِبَهُ، بَلْ يَضُرُّهُ إِنْ وَقَفَ مَعَهُ، وَلَئِنَّهُ لَا يَنْفِذُ سَالِكٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِالْغَيْبَةِ عَنْهُ⁽²⁾ فَيَتَلَقَّى فِي بَدَائِتِهِ مَا يَرِدُ مِنْ قِبَلِ شَيْخِهِ وَتَسْلِيْمِهِ لَهُ بِالْكَلِيَّةِ وَلَوْ كَانَ مُحَالًا فِي نَظَرِهِ. فَإِذَا انْقَادَ وَاسْتَسْلَمَ اعْتَقَدَ، وَإِذَا اعْتَقَدَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ حَضْرَةَ قُدْسِيَّةٍ بِوَاسِطَةِ شَيْخِهِ فَيَتَلَقَّى حِينَئِذٍ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ. وَإِذَا تَلَقَّى مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ تَرَكَ عَقْلَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ. لِأَنَّ نَوْرَ الْعَقْلِ كَالْقَمَرِ، وَنَوْرُ الْمَعْرِفَةِ كَالشَّمْسِ، وَلَا وَجُودَ لِنُورِ الْقَمَرِ عِنْدَ سَطُوعِ الشَّمْسِ. وَهَذَا قَبْلَ كَمَالِ تَصْفِيَّتِهِ كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ⁽³⁾.

(1) عبد الرحمن الفاسي : أبو زيد بن عبد القادر ولد 1040هـ.

انظر ترجمته بشجرة النور الزكية، 325.

(2) وقد ذهب الشيخ الأكبر، «محبي الدين بن عربي» في التأكيد على أن «مجرد العقل لا ينجي صاحبه» ولا يوصله إلى الحق إن كان غير ملتزم ومتقيد بالشرع. وفي هذا الصدد يقول عن تمايزهما وعلاقتها :

«لِلشَّرْعِ نَوْرٌ وَلِلْأَلْبَابِ مِيزَانٌ وَالشَّرْعُ لِلْعَقْلِ تَأْيِيدٌ وَسُلْطَانٌ
وَالْكَشْفُ نَوْرٌ وَلَكِنْ لَيْسَ تَدْرِكُهُ إِلَّا عُقُولٌ لَهَا فِي الْوَزْنِ رَجْحَانٌ

واعلم يا أخي أن العقول بأسرها : المَلَكِيَّةُ والبشرية بل العقل الأول الذي هو أول موجود في عالم التدوين والتسطير قد عَلِمَتْ قُصُورَهَا وَجَهْلَهَا بِحَقِيقَةِ ذَاتِ بَارِيهَا، وَأَنَّهَا مَا تَعْرِفُ مِنْ هَذِهِ الذَّاتِ الْمُنْزَهَةِ إِلَّا قَدْرَ مَا يَطْلُبُ الْعَالَمُ...». (رسائل ابن عربي ط 1، دار صادر، 1997، كتاب الوصايا، ص 503، 504.

(3) في خ : يأتي.

وَقَوْلُهُ : «وَقَبْلَهُمْ قَدْ أَهْلَكَ بِأَوْهَامِهِ الْجِنِّ وَالْبَنَّا». يعني : أَنَّ الْعَقْلَ قَدْ أَهْلَكَ قَبْلَ الْوَرَى⁽¹⁾. أي الإنسان أَهْلَكَ بِأَوْهَامِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ⁽²⁾ قَبِيلَتَيْنِ مِنَ الْجِنِّ، وَزَيْنَ لَهُمْ⁽³⁾ الْكَفْرَ وَالْفَسَادَ حَتَّى حَارَبَتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَأَسْرَتْ أَبَاهُمْ إِبْلِيسَ، فَأَسْلَمَ وَعَبَدَ اللَّهَ فِي السَّمَاوَاتِ. فَلَمَّا أُمِرَ بِالسُّجُودِ لَهُ زَيْنَ لَهُ عَقْلُهُ⁽⁴⁾ التَّكْبِيرَ فَطُرِدَ وَأُبْعِدَ، وَلَوْ خَرَجَ عَنْ عَقْلِهِ وَرَأْيِهِ فَاسْتَعْمَلَ الْقِيَاسَ الْفَاسِدَ فِي تَفْضِيلِ النَّارِ عَلَى الطِّينِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ⁽⁵⁾. وَإِذَا كَانَ الْعَقْلُ مَهْلِكَةً فَالْخُرُوجُ عَنْهُ وَاجِبٌ وَعَلَيْهِ مَدَارُ السُّلُوكِ. كَمَا أَبَانَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

مَحَجَّتْنَا قَطْعَ الْحِجَا وَهُوَ حَجَّتْنَا وَحَجَّتْنَا تَتْلُوهُ بَاءٌ بِهَا تَهْنَأُ⁽⁶⁾

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «مَحَجَّتْنَا» أَي طَرِيقَتَنَا الَّتِي نَسْلُكُ عَلَيْهَا إِلَى رَبَّنَا هِيَ «قَطْعَ الْحِجَا». أَي الْعَقْلُ أَي الْغَيْبَةُ عَنْهُ بِالِاشْتِغَالِ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالْفَنَاءِ فِيهِ، حَتَّى تَفْضِضَ عَلَيْنَا أَنْوَارَ الْمَوَاجِهُةِ وَالشَّهُودِ، فَتَغِيبَ عَنِ الشَّاهِدِ بِالْمَشْهُودِ. فَلَيْسَتْ طَرِيقَتُنَا طَرِيقَةً اسْتِذْلَالٍ [لِفَهْمِ الطَّرِيقِ] حَتَّى نَحْتَاجَ فِيهَا إِلَى الْعَقْلِ، بَلْ إِنَّمَا هِيَ طَرِيقَةُ أَذْوَاقٍ وَوُجْدَانٍ، يَغِيبُ الدَّلِيلُ فِي الْمَذْلُولِ وَالذَّاكِرِ فِي الْمَذْكُورِ وَالْوَاصِلِ فِي الْمَوْصُولِ، فَتُسْتَدَلُّ بِاللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ فَلَا نَجْدُهُ. وَهَذَا هُوَ حَجَّتْنَا وَغَايَةُ بُغْيَتِنَا وَعَرْفَةُ وَقُوفُنَا، مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ تَمَّ نُسْكُهُ وَحَجَّهُ، وَمَنْ تَعَوَّقَ عَنْهُ خَابَ سَعْيُهُ وَضَاعَ تَعَبُهُ. وَهُوَ⁽⁷⁾ أَيْضًا حُجَّتُنَا وَبُرْهَانُ مَعْرِفَتِنَا، فَمَادَامَ

(1) فِي خ : إِنْ الْعَقْلَ قَبْلَ الْوَرَاءِ.

(2) فِي «ر» وَ«خ» : تَرْبِيَّتِهِ.

(3) فِي «خ» وَ«ر» : وَالْبَنَ زَيْنَ لَهُ.

(4) فِي خ : «زَيْنَ» نَاقِصَةٌ، وَفَهْمُهُ، بَدَلُ : عَقْلُهُ.

(5) فِي «ر» وَ«ك» : وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ «نَاقِصَةٌ».

(6) هَذَا الْبَيْتُ، وَرَقْمُهُ فِي النُّوْبَةِ (21) فِي «ر» : نَاقِصٌ. وَمُلَخَّصُهُ أَنَّ سَبِيلَ التَّصَوُّفِ لَيْسَ سَبِيلَ الْعَقْلِ، بَلْ سَبِيلُ الذُّوقِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَطْعِ الْحِجَا وَالْوَصُولِ إِلَى اللَّهِ عَنْ طَرِيقِ سُلُوكِ الذُّوقِ وَالْوُجْدَانِ، وَهُوَ الْمَقْصِدُ الْأَسْنَى، وَهُوَ مَحَجَّتُهُمْ، حَجَّتُهُمْ. وَقَوْلُهُ «بَاءٌ بِهَا تَهْنَأُ» يَقْصِدُ بِهَا «بَاءَ الْوَحْدَةِ» الَّذِي بِهَا كَانَ وَسَيَكُونُ الْوُجُودُ. اسْتِنَادًا لِلْقَوْلِ الْمَأْثُورِ : «بِي كَانَ وَبِي يَكُونُ كُلُّ مَا هُوَ كَائِنٌ».

(7) فِي «خ» وَ«ك» : وَهَذَا.

السَّالِكُ يَفْتَقِرُ إِلَى الاستِدْلَالِ فَهُوَ فِي الطَّرِيقِ وَفِي هَوَا عَقْلِهِ غَرِيقٌ، فَإِذَا اسْتَغْنَى عَنِ الدَّلِيلِ بِشُهُودِ المَدْلُولِ وَرُؤْيَيْهِ، فَقَدْ تَحَقَّقَ بُوْصُولُهُ إِلَى عَيْنِ التَّحْقِيقِ وَبَغِيَّتِهِ.

قال فِي الحِكم : «إِلَهِي كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا⁽¹⁾ هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ، أَيْ كَوْنُ لِعَظِيمِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ، مَتَى غَبَتْ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ. وَمَتَى بَعُدَتْ حَتَّى تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ»⁽²⁾.

وقول صاحب الحِكم بما هو فِي وجوده مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ يشيرُ إِلَى حِسِّ الكائناتِ، مَعَ أَنَّهَا لَا وَجُودَ لَهَا أَصْلًا، لِأَنَّ المَعْرِفَةَ اسْتِهْلَاكَ الحِسِّ فِي المَعْنَى. وقال الشَّيْخُ «أَبُو العَبَّاسِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «كَيْفَ يُعْرَفُ بِالْمَعَارِفِ مَنْ بِهِ عُرِفَتِ الْمَعَارِفُ»⁽³⁾. وَأَنْشُدُوا :

عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْغِي عَلَيْكَ شَهَادَةً وَأَنْتَ الَّذِي أَشْهَدْتَهُ كُلَّ شَاهِدٍ

وَفِكْرَةُ العَقْلِ الَّتِي هِيَ مِنَ الِاعْتِبَارِ⁽⁴⁾ تَعْمَشُ عَيْنَ البَصِيرَةِ الَّتِي هِيَ مَبْنَى فِكْرَةِ أَهْلِ الاسْتِيفَارِ، وَلَا نَخْلُصُ⁽⁵⁾ لِأَهْلِ الاسْتِيفَارِ إِلَّا بِقَطْعِ مَوَادِّ العَقْلِ وَالاستِدْلَالِ. وَقَوْلُهُ : «تَتْلُوهُ بَاءً» : أَيْ وَتَتْلُو مَا ذُكِرَ مِنْ حَاجَتِنَا وَحُجَّتِنَا بَاءَ الْوَحْدَةِ، لِأَنَّا قَدْ تَهَنَّا بِهَا وَغَبْنَا فِي بَحْرِهَا عَنْ وَجُودِنَا وَرَسْمِنَا وَعَقْلِنَا وَفَهْمِنَا. وَلِلَّهِ دَرْ شَيْخِ شِيُوخِنَا «سَيِّدِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ المَجْدُوبِ»⁽⁶⁾ حَيْثُ قَالَ :

يَا قَرِيبَ عِلْمِ التَّوْحِيدِ أَهْنَا الْبُحُورُ الَّتِي تَغْبِي
هَذَا مَقَامَ أَهْلِ التَّجَرُّيدِ الْوَاقِفِينَ مَعَ رَبِّي

(1) فِي «ر» و«خ» : بَمَنْ.

(2) الحِكم : أَنْظِرْ شَرْحَ الحِكم، ج 2، ص 216.

(3) فِي «ر» و«خ» : أَبُو الحَسَنِ. وَيَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي نَصِّ آخِرٍ : «الْعَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا تَنْغَصُهُ حُظُوظُ النَفْسِ، لِأَنَّ بِاللَّهِ تَعَالَى فِيمَا يَأْخُذُ وَفِيمَا يَتْرَكُ» عَنَابِ الطَّبَقَاتِ ص 29.

(4) الِاعْتِبَارُ : مِنَ الْعِبَرَةِ وَاسْتِعْمَالِ العَقْلِ وَالبَصِيرَةِ، وَهُوَ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ : أَنْ يَرعى الصُّوفِي الدُّنْيَا لِلْفَنَاءِ وَالعَامِلِينَ فِيهَا لِلْمَوْتِ وَعَمْرَانَهَا لِلْخَرَابِ. وَقِيلَ هُوَ اسْمُ المَعْتَبَرَةِ، وَهِيَ رُؤْيَا الدُّنْيَا كُلِّهَا بِاسْتِعْمَالِ النِّظَرِ فِي فَنَاءِ جِزْئِهَا...

(5) فِي خ : تَخْلُفُ : وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(6) عَبْدُ الرَّحْمَنِ المَجْدُوبِ : صُوفِي وَزَجَالَ مَغْرِبِي تُوْفِيَ سَنَةَ 1562م.

وباء الوحدة تشير إلى : بي كان وبى يكون كل ما هو كائن في توحيد الأفعال، وبى قامت الأشياء في توحيد الصفات⁽¹⁾. فإذا غرق العبد في تيار بحر الذات، غاب عن حكم عقله واستغنى بشهود ربه عن الاستدلال بعقله، إذ ليس الخبر كالعيان. ونقطة الباء يُشِيرُون بها إلى نقطة الكون. لأنه مظهر تجلي الذات الأقدس فهو مُعرَّفٌ لها، كما عُرِّفَ الباء بنقطتها. وقد سأل «الجنيد» «الشبلي» مَنْ أَنْتَ؟ فقال : أنا نقطة الباء. فأجابته «الجنيد» بتحقيق ذلك إذ قال له :

«أَنْتَ شَاهِدٌ مَا لَمْ تَجْعَلْ لِنَفْسِكَ قَدْرًا»⁽²⁾ أي أَنْتَ مُحَقِّقٌ لِمُعْرِفَتِي لِأَنَّهُ شَيْخُهُ، مَا لَمْ تُثَبِّتْ لِنَفْسِكَ وَجُوداً مَعَ الْحَقِّ، لِأَنَّ النُّقْطَةَ لَهَا انْفِصَالٌ [عَنِ الْبَاءِ] وَلَا انْفِصَالٌ⁽³⁾ لِلْعَارِفِ عَنْ مَعْرُوفِهِ، وَلَا لِلْكُونِ بِأَسْرِهِ عَنِ التَّجَلِّي بِهِ. وَقَدْ أَشَارَ النَّازِظُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ، حَيْثُ قَالَ :

نُقْطَةُ الْبَاءِ كُنْ إِذَا شِئْتَ تَسْمُو أَوْ فَدَغْ ذِكْرَ قُرْبَانَا يَا مُوَلَّهُ⁽⁴⁾

ويحتمل أنه يُشير بنقطة الباء هنا إلى العبودية، وهي التجلي بالسُّفليات [دون العلويات]، لأنها سَبَبُ السُّمُو والارتفاع، واللَّهُ أَعْلَمُ.

ومن الوبال الوقوف مَعَ الْعَقْلِ الَّذِي يُنْطِئُ السَّيْرَ كما قال رضي الله عنه :

يُبْطِئُنَا عِنْدَ الصُّعُودِ لِأَنَّهُ يَوْذُ لَوْ أَنَّ لِلصَّعِيدِ قَدْ أَخْلَدْنَا

يقول رضي الله عنه في شأن الْعَقْلِ وحاله : إِنَّهُ يُبْطِئُنَا، أي يعوقنا عن الصعود عنه إلى أسرار التوحيد الخاص بالوقوف مَعَ دَلَائِلِهِ وَبَرَاهِينِهِ، لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ مَا أَدْرَكَهُ لَا غَايَةَ فَوْقَهُ. وَأَسْرَارُ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ خَارِجَةٌ عَنْ مَدَارِكِ الْعُقُولِ، وَإِنَّمَا كَانَ يُبْطِئُنَا عَنِ الصُّعُودِ مِنْهُ إِلَى التَّرْقِي فِي مَدَارِجِ تِلْكَ الْأَسْرَارِ لِأَنَّهُ لَا يُحِبُّ أَنْ تُفَارِقَهُ، بَلْ يُحِبُّ بَقَاءَنَا فِي عَقَالِهِ أَبَدًا⁽⁵⁾.

(1) في «ر» و«خ» : الذات.

(2) قول الجنيد : الرسالة القشيرية، نفس المعطيات، ص 20.

(3) في ر : ولا فصل.

(4) القصيدة : سنة المحبين، ديوان الششتري ص 57 البيت الثامن.

(5) في ر : في عقالتنا وفي «خ» و«ر» : أبداً ناقصة.

وَكَذَلِكَ الْعَوَائِدُ الَّتِي تَعَوِّدُنَا بِهَا لَا تُحِبُّ أَنْ نُفَارِقَهَا، وَكَذَا حُظُوظُ
النَّفْسِ لَا تُحِبُّ أَنْ نَخْرُجَ عَنْهَا. بَلْ جَمِيعُ ذَلِكَ يُحِبُّ أَنْ نَخْلُدَ لِلصَّعِيدِ، أَيْ
نُقِيمَ فِي عَالَمِ الْأَشْبَاحِ، وَهُوَ عَالَمُ الصَّلْصَالِ حَتَّى نَبْقَى فِي قِيَادِهِ ⁽¹⁾ مَرَهُونِينَ
مَعَهُ ⁽²⁾. فَيَشْغَلُنَا الْعَقْلُ بِعُلُومِهِ وَفُهُومِهِ وَأَوْهَامِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَتَشْغَلُنَا الْعَوَائِدُ
بِالْوُقُوفِ مَعَهَا، وَالنَّفْسُ بِالْعُكُوفِ عَلَى حُظُوظِهَا. وَكُلُّ هَذَا مَانِعٌ لِإِشْرَاقِ
أَنْوَارِ التَّوْحِيدِ وَالْعُرُوجِ إِلَى أَسْرَارِ التَّفْرِيدِ. فَلَا بُدَّ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ الْعَقْلِ
وَحَرْقِ الْعَوَائِدِ، وَمُخَالَفَةِ النَّفْسِ. وَإِلَّا بَقِينَا فِي عَالَمِ الْأَشْبَاحِ مَحْجُوبِينَ عَنِ
عَالَمِ الْأَرْوَاحِ، مَسْجُونِينَ فِي ظُلْمَةِ الْأَكْوَانِ عَنِ شُهُودِ الْمُكُونِ.

تنبيه

تنبيه : لكل نبيه ما ذَكَرَهُ النَّاظِمُ مِنْ ذَمِّ الْعَقْلِ إِنَّمَا هُوَ لِمُرِيدِ سُلُوكِ طَرِيقِ
الْأَذْوَاقِ، فَلَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَنْعَزِلَ أَوَّلًا عَنْ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ وَفَهْمِهِ، وَيَنْظُرَ إِلَى مَا يَشِيرُ بِهِ
عَلَيْهِ شَيْخُهُ. حَتَّى يَزُجَّ بِهِ ⁽³⁾ فِي [نُورِ] الْحَضْرَةِ، فَيَسْتَغْنِي حِينَئِذٍ بِذَوْقِهِ عَنْ عَقْلِهِ.
وَأَمَّا مَنْ قَنَعَ بِمَقَامِ الْإِيمَانِ وَبَقِيَ فِي مَحَلِّ الِاسْتِدْلَالِ وَالْبُرْهَانِ. فَلَا بُدَّ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ
وَالِاعْتِنَاءِ بِشَأْنِهِ فِي اسْتِخْرَاجِ الْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّفْثِيَّةِ. لِأَنَّهُ مَا عُرِفَ إِلَّا لَهُ إِلَّا بِهِ،
وَلَا عُيِدَ إِلَّا بِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ : «قَوَامُ الْمَرْءِ عَقْلُهُ. وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ» ⁽⁴⁾.

وَقَالَ أَيْضًا ⁽⁵⁾ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «الْمَغْبُونُ مَنْ أَخْطَأَ حَظَّهُ مِنَ الْعَقْلِ، وَمَا
تَوَصَّلَ النَّاسُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» ⁽⁶⁾. وَقَالَ أَيْضًا : «أَسَاسُ الدِّينِ
الْعَقْلُ، وَسَيِّدُ النَّاسِ أَغْقَلُهُمْ» ⁽⁷⁾. وَقَالَ : «سَيِّدُ أَهْلِ الْجَنَّةِ بَعْدَ الْمُرْسَلِينَ أَفْضَلُهُمْ

(1) فِي ر : قِيَامُهُ : وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(2) ر : «مَعَهُ» نَاقِصَةٌ.

(3) فِي ر : رَجَعَ بِهِ. وَفِي خ : فَلِذَا زُجَّ بِهِ.

(4) الْحَدِيثُ. ابْنُ حَجَرٍ : الْمَطَالِبُ الْعَالِيَةُ، فِي بَابِ الْعَقْلِ وَفَصْلِهِ.

(5) فِي خ : نَاقِصَةٌ.

(6) الْحَدِيثُ. النَّصُّ بِهَذَا الْمَعْنَى وَرَدَ فِي مَدْحِ الْعَقْلِ وَفَضْلِهِ لِلْوُطُوطِ صَاحِبِ كِتَابِ غُرَرِ

الْخِصَائِصِ الْوَاضِحَةِ.

(7) الْحَدِيثُ. لَمْ نَجِدْهُ فِيمَا لَدَيْنَا مِنْ مَصَادِرِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ.

عَقْلًا»⁽¹⁾. وقال : «مَوْتُ أَلْفِ عَابِدٍ صَائِمِ النَّهَارِ قَائِمِ اللَّيْلِ، أَهْوَنُ مِنْ مَوْتِ عَاقِلٍ عَقَلَ
عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَنَهَيْهِ وَمَا أَحَلَّ لَهُ وَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِ، وَانْتَفَعَ بِعِلْمِهِ وَنَفَعَ بِهِ وَإِنْ كَانَ لَا يَزِيدُ
عَنِ الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ كَبِيرُ زِيَادَةٍ»⁽²⁾.

وقال ﷺ : «قَسَمَ اللَّهُ الْعَقْلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ، فَمَنْ كُنَّ فِيهِ كَمَلُ عَقْلِهِ وَمَنْ
لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَلَا عَقْلَ لَهُ : حُسْنُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ، وَحُسْنُ الطَّاعَةِ. وَحُسْنُ الصَّبْرِ عَلَى أَمْرِهِ
وَعَنِ نَهْيِهِ»⁽³⁾.

وَالْعَقْلُ عَلَى قِسْمَيْنِ : عَقْلٌ مَوْهُوبٌ، وَعَقْلٌ مَكْسُوبٌ. فَالْمَوْهُوبُ
هُوَ الَّذِي يَسْتَعْمِلُهُ صَاحِبُهُ فِيمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى رَبِّهِ. وَيُعَرِّفُهُ بِهِ. وَالْمَكْسُوبُ، الَّذِي
يَكْسِبُهُ الْعَبْدُ بِالتَّجَارِبِ وَالْمِحَنِّ⁽⁴⁾، وَيَسْتَعْمِلُهُ صَاحِبُهُ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى
أَعْلَمُ.

ثم أخذ في ذِكْرِ تَطَوُّرَاتِهِ⁽⁵⁾ وَتَحْوِيلَاتِهِ فَقَالَ :

تَلَوُّحُ لَنَا الْأَطْوَارُ مِنْهُ ثَلَاثَةٌ : كَرَاءٍ وَمَرْئِيٍّ وَرُؤْيَةٍ مَا قُلْنَا

يقول رضي الله عنه : إِنَّ الْعَقْلَ يَتَطَوَّرُ بِاعْتِبَارِ كَمَالِهِ وَنُقْصَانِهِ⁽⁶⁾ عَلَى
ثَلَاثَةِ أَطْوَارٍ : فَتَارَةٌ يَتَطَوَّرُ بِاعْتِبَارِ الرَّائِي، أَيْ⁽⁷⁾ النَّاطِرِ [بِهِ فِيهِ]⁽⁸⁾ فَيَتَطَوَّرُ
بِوُضُفِهِ، فَإِنْ كَانَ النَّاطِرُ بِهِ كَامِلًا اتَّصَفَ عَمَلُهُ بِالْكَمَالِ، وَإِنْ كَانَ نَاقِصًا

(1) الحديث. كتاب الفردوس بمأثور الخطاب ج 2 ص 325 المؤلف أبو شجاع شرويه ت 509 هـ.

(2) الحديث. إحياء علوم الدين للغزالي عن عمر (ض) الإحياء ج 1 ص 9. دار النشر المعرفة بيروت.

(3) الحديث. كتاب مسند الحادث، (زوائد الهيثمي) ج 2 ص 800.

(4) هذا التعريف «للعقل» أورده في هذا المعنى «إسحاق بن وهب» كتاب «نقد النثر»، ص 6، بيروت 1980.

وكذلك «الغزالي» في «إحياء علوم الدين» ج 1، ص 145، دار الفكر، بيروت 1980.

(5) في ر : تطوُّراته.

(6) في ر : نقصانه به.

(7) في ر : «أي» ناقصة.

(8) في خ : «فيه» ناقصة. وفي ك : به فيه ناقصة.

اتَّصَفَ بِالنَّقْصِ وَكَمَالِهِ فِي الرَّائِي بِاعْتِبَارِ عِرْفَانِهِ وَإِقْيَانِهِ⁽¹⁾ وَزُهْدِهِ وَوَرَعِهِ،
وَصَلَاحِهِ وَكَمَالِهِ، وَقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ وَطَاعَتِهِ. وَنَقْصَانُهُ فِيهِ بِاعْتِبَارِ جَهْلِهِ وَضَعْفِ
يَقِينِهِ وَحِرْزِهِ وَطَمَعِهِ، وَجَزَعِهِ وَبُعْدِهِ مِنْ رَبِّهِ وَفِسْقِهِ.

فَالْعَقْلُ يَزْدَادُ نُورَهُ بِالطَّاعَةِ وَالتَّزَاهَةِ وَالْعِفَّةِ وَالتَّفَرُّغِ مِنَ الشَّوَاغِلِ،
وَتَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ وَالْحِرْصِ⁽²⁾ وَحُبِّ الدُّنْيَا وَالْحِظْوَظِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَى. كَمَا قَالَ
الشَّاعِرُ :

إِنَارَةُ الْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطَوْنِ الْهَوَى⁽³⁾ وَعَقْلٌ عَاصِي الْهَوَى يَزْدَادُ تَنْوِيرًا
وَتَارَةً يُنْظَرُ فِيهَا بِاعْتِبَارِ الْمَرْتَبَةِ، أَيْ الْمَنْظُورِ فِيهِ فَيَتَطَوَّرُ بِنَعْتِهِ وَوَصْفِهِ،
فَإِنْ كَانَ النَّظَرُ فِيهِ عِلْمًا نَافِعًا أَوْ أَحْوَالًا سَنِيَّةً يَرِيدُ الظُّهُورَ فِيهَا⁽⁴⁾. ظَهَرَ فِيهَا.
أَوْ مَقَامَاتٍ عَالِيَةٍ يَرِيدُ التَّرْقِيَّ إِلَيْهَا لِكَمَالٍ أَوْ مَعْرِفَةٍ كَامِلَةٍ يَرِيدُ الصُّعُودَ إِلَيْهَا،
تَرْقِيَّ بِعَقْلِهِ⁽⁵⁾ فِي مَعَارِجِهَا. فَهَذَا الْعَقْلُ كَامِلٌ بِكَمَالِ الْمَنْظُورِ فِيهِ، وَهُوَ الْمَرَادُ
بِالْمَرْتَبَةِ. وَإِنْ كَانَ الْمَرْتَبَةُ أَيْ الْمَنْظُورُ فِيهِ نَاقِصًا، كَالْعُلُومِ الْجَدَلِيَّةِ، أَوْ فَلَسْفِيَّةٍ،
أَوْ الْأَقْوَالِ الْفَاسِدَةِ تُسَوِّسُ بِذَرَّةِ الْإِيمَانِ، أَوْ كَانَ أُمُورًا تَخِيلِيَّةٍ أَوْ وَهْمِيَّةٍ
لِلْحَقِيقَةِ، وَقَسَّ عَلَى هَذَا.

فَهَذَا الْعَقْلُ نَاقِصٌ بِنَقْصَانِ الْمَنْظُورِ فِيهِ. وَتَارَةً يَنْظَرُ⁽⁶⁾ بِاعْتِبَارِ مَا قُلْنَاهُ
فِيمَا سَبَقَ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ يَرِيدُ طَرِيقَ الْأَذْوَاقِ وَالْوُجْدَانِ، فَالْنَّظَرُ بِهِ نَقْصَانُ
وَالْوُقُوفُ مَعَهُ خِذْلَانٌ. وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ قَاصِدًا تَصْحِيحَ مَقَامِ الْإِيمَانِ عَلَى
طَرِيقِ الِاسْتِدْلَالِ وَالْبُرْهَانِ، فَالْنَّظَرُ بِهِ كَمَالٌ وَعِرْفَانٌ وَاعْتِبَارُهُ وَاجِبٌ فِي
الْبَرَاهِينِ الَّتِي لَا تُدْرِكُ إِلَّا بِهِ فِي بَابِهِ. وَإِنْ أَيْدَهُ بِأَنْوَارِ الشَّرِيعَةِ، الْكِتَابُ⁽⁷⁾

(1) فِي خ : إِتْقَانِهِ.

(2) الْحِرْصُ : الْبُخْلُ وَالشُّحُّ وَالْيَدِ الْمَغْلُولَةُ (لِسَانُ الْعَرَبِ).

(3) فِي «ر» وَ«خ» بِطَبْعٍ.

(4) فِي «ر» وَ«خ» : التَّجَلِّيُ بِهَا.

(5) فِي «ر» وَ«خ» : بَعْلَمَهُ

(6) فِي خ : أَنْظَرَ. وَفِي خ : مِنَ الْكِتَابِ

(7) فِي ر : وَالْكِتَابُ.

والسنة، فهو كمال الكمال في بابه ؛ وهذا معنى قوله : «تلوح» أي تظهر لنا
الأنوار منه ثلاثة : تارة يتطوّر كراء به، وتارة كمرئي فيه، وتارة كروية كما
قلناه⁽¹⁾ فيما تقدم وسلف من التفصيل والله تعالى أعلم.

ثم ذكره الناظم أطواراً باعتبار الرأي فقال :

وَيُبْصِرُ عَبْدًا عِنْدَ طَوْرِ بَقَائِهِ وَيَرْجِعُ مَوْلَى بِالْفَنَاءِ وَهُوَ لَا يَفْنَى

يقول رضي الله عنه إنَّ العقل يتطوّر أيضاً باعتبار الرائي في مقام البقاء
والفناء والسلوك والجذب، فإن كان صاحبه في مقام البقاء الأول وهو مقام
الحجاب، أَبْصَرَ العقل بأن صاحبه عبداً، ما برح عن مقام العبودية، وهو
الشهود الأول وحقيقة رؤية خلق بلا حق، وإن كان صاحبه في مقام الفناء
والحو وهو شهود حق بلا خلق لغيوبة العبد وفنائه ومحوه في شهود المعبود،
أَبْصَرَ العقل بأن صاحبه في مقام الحرية⁽²⁾ ويسمى هذا مقام الجذب، وهو
اختطاف العقل من شهود الكون إلى شهود المكون، أو من شهود الخلق إلى
شهود الحق. فالعقل⁽³⁾ لا يفنى بفناء صاحبه، وإنما يتغطى نوره بنور شمس
العرفان، كنور القمر مع الشمس. أو كما يتغطى نوره بالخمرة الحسية،
كذلك يتغطى بالخمرة المعنوية الأزلية. فإذا صَحَا المريد من سكرته وخرج
من الفناء إلى البقاء الثاني، رجع نور العقل إليه فيميز به بين الحسن والمعنى وبين
الحكمة والقدرة، وبين الشريعة والحقيقة. فيعطى كل ذي حقَّ حقه، ويوفي⁽⁴⁾
كل ذي قسطٍ قِسطه.

فالبقاء بقاءان : بقاء أول وهو بقاء النَّفس، وحقيقته شهود خلق⁽⁵⁾ بلا
حق. وبقاء ثانٍ بقاء بالله وهو شهود خلقٍ بحق. فمراد الناظم البقاء⁽⁶⁾ الأول،

(1) في خ : «كروية ماء» وهو تحريف. وفي ر : كروية ما كما قلنا.

(2) في خ : الفقرة من : «وحقيقة رؤية خلق...» إلى «مقام الحرية». ناقصة.

(3) في ر : الحق.

(4) في خ : «ويوفى» ناقصة.

(5) في خ : «الخلق».

(6) في خ : «البقاء» ناقصة.

لأن صاحبه عبد محض. وأمّا البقاء الثاني فصاحبه [مخير]، إن نظر⁽¹⁾ إلى نفسه رأى [نفسه] عبداً. وإن نظر إلى معناه وسره رأى ربا، فهو يتطور كيف شاء⁽²⁾، العبودية طوعاً يديه⁽³⁾ والحرية طوع يديه⁽⁴⁾. وهذه حقيقة العارف الكامل، وقد يتطور⁽⁵⁾ العقل لوحاً وقلماً، كما أبان ذلك الناظم بقوله :

وَلَوْحاً إِذَا لَاحَتْ سُطُورُ كَيَانِنَا بِهِ فِيهِ وَهُوَ اللَّوْحُ وَالْقَلَمُ الْأَدْنَى

يقول رضي الله عنه : ويبصر العقل أيضاً لوحاً، أي كاللوح المحفوظ إذا لاحت سُطُورُ الكائنات، إذا صفا وعظم⁽⁶⁾ نوره حتى اتصل بالعقل الأكبر، وهو أول نور فاض من بحر الجبروت. وفي الحديث : «أول ما خلق الله العقل. فقال له : أقبل فأقبل، ثم قال له : أدبر فأدبر. ثم قال : فوعزتي وجلالي لا أعطيك إلا لِمَنْ أَحْبَبْتُ مِنْ عِبَادِي»⁽⁷⁾ وهو حديث متكلم فيه بالوضع والضعف. ويسمى أيضاً [هذا العقل]⁽⁸⁾ : الرّوح الأعظم فإذا⁽⁹⁾ تطهّرت الرّوح وكُمِلَ صفاؤها، استولى نورها على الكائنات بأسرها. [فالعقل والرّوح إذا كُمِلَ تطهيرهما أنطوى فيهما جميع الكائنات] وصار كاللوح المحفوظ. وإلى ذلك أشار [ابن البنا الصوفي] في «المباحث الأصلية حيث قال⁽¹⁰⁾ :

(1) في خ : رأى.

(2) في خ : يشاء.

(3)، (4) في خ : يده.

(5) في ر : يتطور.

(6) في خ : وتظهر.

(7) الحديث : رواه الطبراني في حديث أبي أمامه، وأبو نعيم من حديث عائشة بإسناد ضعيف (المغني 74/1) وقال ابن تيمية : إنه موضوع وكذب باتفاق، (تميز الطيب ص 41) وقد جاء بالصيغة التالية : «أول ما خلق الله العقل، فقال له أقبل فأقبل، ثم قال : أدبر فأدبر، فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك، بك أعز وبك أدل، وبك أعطي وبك أمتنع».

(8) في «ر» و«ك» : «العقل» ناقص.

(9) في ر : فإن.

(10) وابن البنا هذا، كما أورد ذلك ابن عجيبة في شرح المباحث الأصلية ج 1 ص 6، غير صاحب الحساب فإنه ابن البنا الصوفي توفي بمراكش سنة 721هـ. وقد ذكر ذلك صاحب الجذوة.

أَعْقِلْ فَأَنْتَ نَسْخَةُ الوجودِ اللهُ مَا أَغْلَاكَ مِنْ موجودِ
أَلَيْسَ فِيكَ الْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ وَالْعَالَمُ الْعُلُوي وَالسَّفْلِيُّ
مَا الْكَوْنُ إِلَّا رَجُلٌ كَبِيرٌ وَأَنْتَ كَوْنٌ مِثْلُهُ صَغِيرٌ

وقال الناظمُ في بعض أَرْجَالِهِ (1) :

وَأَنْتَ مَرَأَى لِلنَّظَرِ قُطْبَ الزَّمَانِ وَفِيكَ يَطْوِي مَا انْتَشَرَ مِنَ الْأَوَانِي

وقوله [هنا] : «سطور كياننا»، أصله كواننا جمع كون (2) فيجمع على أكوانٍ وكيوانٍ، أي يصير لوحاً إذا لاحتْ سطور أكواننا لصاحبه فيه ؛ أي في عقله. وهو حينئذ اللُّوح المحفوظ الأذنى [والقلم الأذنى]، أي الأصغر، إذ الأكبر هو اللُّوح المحفوظ والقلم الذي يكتب فيه. ومن تصرفه بالقلمية في لوحه ما ذكره [الناظم] (3) بقوله :

يَمُدُّ خُطُوطَ الدَّهْرِ عِنْدَ التَّفَاتِهِ إِحَاطَتُهُ الْقُصُوى الَّتِي فِيهَا أَظْهَرْنَا

يقول رضي الله عنه : لَمَّا شَبَّهَ الْعَقْلَ بِالْقَلَمِ إِذَا اتَّصَلَ نُورُهُ بِالْعَقْلِ الْأَكْبَرِ يَمُدُّ هَذَا الْعَقْلَ خُطُوطَ الدَّهْرِ. فيتجلى (4) فيه الماضي والآتي والحال. فَكَأَنَّ الْأَزْمَنَةَ قَدْ كُتِبَتْ وَسَطَرَتْ فِي مَرَاتِهِ مِنْ مَدَدِ نُورِهِ عِنْدَ التَّفَاتِهِ إِلَيْهَا، فَيَرَى الْأَوَّلَ عَيْنَ الْآخِرِ وَالْمَاضِي عَيْنَ الْحَالِ وَالْآخِرَ عَيْنَ الْحَالِ. لأن المتجلي في الأزمنة كلها واحد، وهذه إحاطته القصوى وغاية إدراكه. وأما تفاصيل كیفياتها (5) وما يقع فيها من المقدورات، فمن شأن الربوبية. لأننا في هذه الأزمنة أظهرنا وظهر وجودنا، فلا نعرف وراءها تفصيلاً وهي سِدْرَةٌ مِنْتَهَى الْعَقْلِ، كما أبان ذَلِكَ [الناظم] بقوله :

(1) الديوان : ديوان أبي الحسن الششتري نفس المعطيات السابقة.

(2) في خ : «جمع كون» ناقصة.

(3) في «ر» و«ك» : الناظم : ناقصة.

(4) في خ : فيجلى.

(5) في ر : كفاتها.

أَقَامَ دُوَيْنَ الدَّهْرِ سِدْرَةَ ذَاتِهِ
وَنَحْنُ نَفْسُ الْكُلِّ فِي وَصْفِهِ حِرْنًا⁽¹⁾

قلتُ : دُوَيْنَ : تَصْغِيرُ دُونَ، وهو ظرف لأَقَامَ، والدهر عبارة عن دورة
الفلك الأكبر. وسِدْرَةَ مفعول أقامَ، ونحن مبتدأ، وصِرْنَا خَبَرٌ، وفي وصفه
متعلق به. يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَأْنِ الْعَقْلِ الْأَصْغَرِ : أَقَامَ سِدْرَةَ ذَاتِهِ
وَمُنْتَهَى عِلْمِهِ دُونَ إِحَاطَةِ الدَّهْرِ وَدَوْرَةِ أَفْلَاكِهِ، فلا يعرف ما وراءها من
الأسرار اللطيفة التي لا نهاية لها، ولا حَدَّ فَوْقًا وَلَا تَحْتَ وَلَا طَوْلًا وَلَا عَرْضًا.
وَرُوِيَ أَنَّ مَلَكًا اسْتَأْذَنَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَصْعَدَ⁽²⁾ فِي هَذِهِ الْأَسْرَارِ الْخَارِجَةِ
عَنِ الْعَرْشِ، فَأَذِنَ لَهُ، فطَارَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَقَالَ : أَيْنَ أَنْتَ يَا رَبِّ؟!
فَقَالَ : «أَنَا مَعَكَ»، ثُمَّ طَارَ ثَلَاثِينَ أُخْرَى، فَقَالَ : أَيْنَ أَنْتَ يَا رَبِّ؟! فَقَالَ :
«أَنَا مَعَكَ». فَتَابَ وَطَلَبَ الرَّجُوعَ إِلَى عِشِهِ⁽³⁾، فَالْعِظْمَةُ الْمُحِيطَةُ بِالْأَكْوَانِ أَيْ
بِكُورَتِهَا لَا نِهَآيَةَ لَهَا.

فَالْعَقْلُ الْمَعْقُولُ مَسْجُونٌ بِمُحِيطَاتِهِ مُحْصُورٌ فِي هَيْكَلِ ذَاتِ صَاحِبِهِ، فلا
يرى إِلَّا حِسَّ الْكَائِنَاتِ الْمُحِيطَةِ بِهِ. وَلَوْ كَمَلَ نُورُهُ وَاتَّصَلَ بِنُورِ الْعَقْلِ الْأَكْبَرِ،
لَخَرَجَتْ فِكْرَتُهُ عَنْ دَائِرَةِ الْأَكْوَانِ إِلَى شُهُودِ الْمَكُونِ فِي دَائِرَةِ مَكُونَاتِهِ، وفيما
خَرَجَ عَنْهَا مِنَ الْأَسْرَارِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِأَفْلَاكِ الْأَنْوَارِ. وَمَعَ⁽⁴⁾ كَوْنِ الْعَقْلِ
عَاجِزًا عَنِ التَّفَوُّذِ إِلَى مَا وَرَاءَ أَفْلَاكِ الدَّهْرِ، فَقَدْ حَارَ النَّاسُ [فِي وَصْفِهِ]⁽⁵⁾
عُمُومًا وَخُصُوصًا، فَلَمْ يَقِفُوا عَلَى كُنْهِ حَقِيقَتِهِ وَلَا أَيْنَ مَحَلِّهِ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ:
«وَنَحْنُ نَفْسُ الْكُلِّ فِي وَصْفِهِ حِرْنًا» وَأَقْرَبُ مَا قِيلَ فِيهِ : إِنَّهُ نُورٌ لَطِيفٌ
تُدْرِكُ بِهِ الْعُلُومُ الضَّرُورِيَّةُ وَالنَّظَرِيَّةُ قِيلَ مَحَلُّهُ الدِّمَاغُ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْفَلَسَفَةِ.

(1) فِي «خ» وَ«ر» : وَوَصَفُ الْكُلِّ. وَفِي «ر» : صَرْنَا بِدَلِّ حِرْنًا.

(2) فِي ر : «أَنْ يَصْعَدَ» نَاقِصَةٌ.

(3) فِي ر : عِشِهِ.

(4) فِي خ : مَعَ.

(5) فِي خ : «فِي أَفْلَاكِهِ بِلِ وَصْفِهِ».

وقيل محله القلب، لقوله تعالى : ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا وَأَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾⁽¹⁾ وجمع بعضهم بين القولين بأن قال : محله القلب ويتصل شعاعه بالدماغ بدليل أن الإنسان إذا ضُربَ في دماغه اختلَّ عقله، والله تعالى أعلمُ بأسرار حكيمته.

ثم ذكر [الناظم] تطويراً آخر فقال :

يَقْبِدُ بِالْأَزْمَانِ لِلدَّهْرِ مِثْلَ مَا يَكَيْفُ لِلْأَجْسَامِ مِنْ ذَاتِهِ الْأَيُّنَا
يقول رضي الله عنه : من⁽²⁾ شأن العقل أن يقيد الدهر بالأزمنة
الثلاث⁽³⁾ الماضي والمستقبل والحال. فالحركة التي انقضت⁽⁴⁾ من الفلك،
زمانها ماضٍ، والآتية زمانها مستقبل، والحاصلة، زمانها حالٌ، ولولا العقل
لأَسْتَوَتْ الأزمنة. ألا تَرَى أَنَّ غَيْرَ الْعَاقِلِ لَا شُعُورَ لَهُ بِهَذِهِ الْأَزْمَنَةِ، فَإِذَا صَفَا
نور العقل وتوجَّهَ لِمَوْلَاهُ، غَابَ عَنِ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، واشتغل بعمارة
الأرضِ الْوَقْتِ الَّذِي هُوَ فِيهِ.

وأما العقل الأكبرُ، فالأزمنة عنده شيء واحد لرؤيته المتجلى بها⁽⁵⁾،
وهو واحد. فصاحب الشهود غائب عن الماضي والمستقبل والحال، وعن
الدنيا والآخرة، لاستغراقه في شهود الحق الذي لا يتقيد بزمانٍ ولا مكانٍ بل
هو عين الكلِّ وموجود في الكلِّ، فافهم.

ومن كلام شيخ شيوخنا رضي الله عنه في بعض رسائله لنا : إذا
حَصَلَتِ الرُّؤْيَةُ غَابَ الرَّائِي وَعَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَغَابَ عَنِ كُلِّ
شيءٍ. إلى آخر كلامه رضي الله عنه. ومن شأن [ذات] العقل أيضاً أن يَكَيْفَ

(1) الحج : 46 وفي خ ، قوله تعالى : ﴿أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ناقصة.

(2) في خ : في.

(3) في خ : ناقصة.

(4) في خ : انقضى.

(5) في ر : المتجلي.

للأجسام الأماكن والجهات ويميز بين الأشخاص والذوات. ويعرف ما كان مجموعاً في عالم الغيب وما هو باق على جمعيته في عالم الشهادة، إذ الوجود كله ذات واحدة وبحر متصل [في الحقيقة]. وإنما العقل⁽¹⁾ الأصغر هو الذي فرّق [ما كان مجموعاً]، لأنه معقول ومحصور في عالم الحكمة، فلا يدرك ما غاب عنه في عالم القدرة. وأما العقل الأكبر ويسمى أيضاً: الروح الأعظم، فإنه يرى الوجود كله ذاتاً واحدة، وهذه الأشكال والرموز⁽²⁾ تلونات وتطورات للخمرة الأزلية الكلية المتصلة بعضها ببعض. وهذا هو الذي قصده الشاعر في الشعر المتقدم بقوله :

إلى وجودٍ تراني رتقاً بلا ابتعادٍ ولا اقترابٍ

وإلى هذا التكييف والتمييز أشار الناظم بقوله : «مثل ما يكيف⁽³⁾ للأجسام» أي يقيد الدهر بالأزمان تقييداً شبيهاً بتكييف الأجسام بالآئين والجهة والوصف. وقوله : «من ذاته»، أي من ذات العقل وحقيقته الضعيفة بتكييف الأجسام بالآئين والجهة⁽⁴⁾، ولو قوي نوره لاتصل نظره بكل الجهات. وأراد بـ«الآئين» هنا ما يعمّ الذوات والأماكن والصفات وسائر العوارض الجسمانية، والله تعالى أعلم.

ومما يدركه العقل أيضاً على سبيل الإجمال، بعض العوالم العلوية، كما قال [الناظم] :

وَعَرْشاً وَكُرْسِيّاً وَبُرْجاً وَكَوْكَباً
وَحَشَواً لِحِجْسِ الْكُلِّ فِي بَحْرِهِ عُمْناً

(1) في خ : بالعقل.

(2) في خ : الرسوم.

(3) في «ر» و«ح» : يقيد.

(4) في ر : الفقرة : «وقوله : من ذاته» إلى : «والآئين والجهة» ناقصة.

يقول رضي الله عنه : وما يُدركه العقل أيضا من العوالم العلوية :
 العرش⁽¹⁾ والكرسي⁽²⁾، أي شخصه. ويُحيزه على حسب ما أدركه من طريق
 السمع، وإلا فلا مدرك لهذه العوالم الغيبية بمجرده. ويدرك أيضا البروج
 والكواكب والنازل، وهذا من شأنها أن تشاهد بالبصر. وإنما شأن العقل
 فيها التفصيل وتدقيق ما فيها من عجائب القدرة، وأسرار الحكمة. ويدرك
 أيضا الحشو الذي بينهما، وهو الفضاء الذي بين العرش والكرسي، وبين كل
 سماء وسماء، وبين السماء والأرض، وهو الهواء الذي نحن فيه. وهذا معنى
 قوله : «وحشوا لجسم الكل». أي ويدرك الحشو، المنسوب لكل جسم،
 وهو الهواء الذي بين الأجسام العلوية وبين العلوية والسفلية.

ثم ذكر الشيخ أن الخلق كلهم دائمون وسابحون في بحر أسرار
 الذات، بقوله : «في بحره عُمنا». أي في بحر الكل عُمنا، وهو بحر
 الوحدة. لأن بحرهما متصل والخلق فيه كالأمواج⁽³⁾، وإن كانت لا شعور لها
 بذلك. فمن شعر بذلك واتسعت معرفته [حتى خرجت فكرته عن دائرة
 الأكوان واتسعت نظرته]، وجد العرش وما احتوى عليه في زاوية من زوايا
 قلبه، ووجد الأفلاك تدور فيه والشمس والقمر. ويشرقان في جانب فضاء
 قلبه. كما قال الشيخ في بعض أزرعائه⁽⁴⁾ :

الفلك فيك يدور ويضيء ويلمع
 والشمس والبدور فيك تغيب وتطلع

-
- (1) العرش : هو مظهر العظمة ومكانة التجلي، وخصوصية الذات. ويسمى جسم الحضرة
 ومكانها، لكنه المكان المنزه عن الجهات الست. وهو الفلك المحيط بجميع الأفلاك المعنية
 والصورية. (الجرجاني، ص 127).
- (2) الكرسي : هو تجلي جملة الصفات الفعلية، فهو مظهر الاقتدار ومحل نفوذ الأمر والنهي والإيجاد
 والإعدام. (ابن عربي : الصلحات ص 73، والجلي، الإنسان الكامل، ج 2، ص 5).
- (3) في «ر» و«خ» : كالحوت في الماء.
- (4) الديوان : قسم الأرجال : كشف الحجاب : ص 262.

وقال آخر (1) :

إذا كُنْتَ كُرْسِيًّا وَعَرْشًا وَجَنَّةً وناراً وأفلاكاً تدورُ وأملاكاً
وَكُنْتَ مِنَ السَّرِّ المصونِ حَقِيقَةً وأذركَ هذا بالحَقِيقَةِ إذرَاكَ
فلم (2) التَّائِي فِي الحَضِيضِ تَبْطُأ (3)

أي إذا كنت أيها الآدمي جامعاً لهذه العوالم، وكنت من عين السرِّ المصون وعين الكنز المذفون وعرفت أن هذا كامنٌ فيك. ففي أي شيء هذا التأخير والتأني عن النهوض إلى الله بحذف عوائد نفسك وجهادها، حتى تعرف هذا ذوقاً وكشفاً. وإلى كم تبقى في الحضيض الأسفل من عالم الأشباح تبطأ عن الخروج إلى سماء الأرواح مقيماً مع الأسارى، في أيدي نفوسهم يلعبون بك كيف شاءوا، فما هذا إلا الخسران المبين ! أما أن إطلاقتك من قيد نفسك وخروجك عن وجودك إلى فضاء شهود ربك ؟. وفي الحكم (4) : «وَسِعَكَ الْكَوْنُ مِنْ حَيْثُ جِثْمَانِيَّتُكَ»، ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك. وبالله التوفيق.

ثم قال [الناظم] في تطور العقل أيضاً :

وَفَتَّقْ لِأَفْلَاكِ جَوَاهِرَهُ الَّذِي يُشَكِّلُهُ سِرُّ الْحُرُوفِ بِحَرْفَيْنَا

قلت : فتق : مبتدأ وخبره محذوف، أي من شأنه فتق. والمسوغ العمل وجواهره مفعول به، والضمير للأفلاك، والمراد به الجنس. ولو قال جواهرها التي يشكّلها لكان أحسن. يقول رضي الله عنه : ومن شأن هذا العقل أن فتق (5) الأفلاك الدائرة (6) بكرة الأرض جواهرها، بأن أدرك محاسنها

(1) في خ : وغيره، والبيت زجل لهجته أندلسية، أنظر الديوان ص 257.

(2) في «خ» و«ك» : فقيمض.

(3) في ر : تبثلاً.

(4) أنظر شرح الحكم ج 2 ص 190، حيث يبدأ القول بـ : «إما وسعك الكون...».

(5) في خ : فلق.

(6) في ر : الدائرة ناقصة.

وخواصها ومنافعها ومضارها بقدرة الحكيم العليم، لا على ما يزعمه أهل التنجيم. لأن الحق سبحانه قد جعل بقدرته وحِكْمَتِهِ لكلّ فلك خاصية يقع بها التصرف في هذا العالم السفلي. وفي الحقيقة، إنّما التصرف لله الواحد القهار، وإنّما ذلكَ منها أمارات وعلامات. كما جعل في المشروب [الدواء في العشوب]⁽¹⁾ وجعل لنزول المطر أمانة إلى غير ذلك مما هو مقرر في عِلْمِ الحِكْمَةِ. وأما من حيث عالم القدرة فيقع الكل في لحظة من غير عِلَّةٍ ولا سَبَبٍ، لكن لكلّ قدرة حِكْمَةٌ هي رداؤها وهي في هذا الدّار التي هي محلّ التكليف، ويسمى في الاصطلاح عالمُ الحِكْمَةِ عالمُ الخلق، وعالمُ القدرة عالمُ الأمر، كما قال تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾⁽²⁾.

فعالمُ الخلق بالتدرج والأسباب، وعالمُ الأمر كُن فيكون. لكن لا يبرز شيء من عالم الأمر إلاّ برِداءِ عالم الخلق إلاّ ما كان من الخوارق. كالمعجزات والكرامات. ففي هذه الدّار الحِكْمَةُ ظاهرة والقدرة باطنة، وفي دار الآخرة بالعكس القدرة ظاهرة والحِكْمَةُ باطنة لا تَصَرّفُ لها. فلذلك تظهر الخوارق للعوام والخواصّ، لأنها دار التعريف⁽³⁾ وهذه دار التكليف، لتظهر مزية الإيمان [بالغيب] هنا. وهذه الجواهر، أي الخواصّ التي فتق العقل للأفلاك، إنّما يشكلها في الأفلاك⁽⁴⁾.

ويبرز منها ما يبرز منها بسر الحروف فكل فلك يتصرف بسر حرف من الحروف الهجائية لها خواصّ وطبائع على ما يزعمه أهل التنجيم، ولها حروف من حروف المعجم⁽⁵⁾، تتصرف بها⁽⁶⁾ في عالم الحِكْمَةِ التي محلّها الظاهر، وأمّا في الباطن فما تمّ إلاّ الله.

(1) في خ : العشب.

(2) الأعراف : 54.

(3) في خ : التصريف.

(4) في ر : الجملة من التي فتق إلى في الأفلاك، ناقصة.

(5) في خ : المعجم.

(6) في «ر» : به، وفي «خ» : بها ناقصة.

وقول الناظم : «بَحَرَفَيْنَا»، لَعَلَّهُ يَشِيرُ إِلَى حَرْفِي الْأَلْفِ وَالْبَاءِ، فَإِنْ جُلَّ
 أَسْرَارُ الْحُرُوفِ رَاجِعَةٌ فِي الْمَعْنَى إِلَيْهِمَا. لِأَنَّ الْأَلْفَ يَشِيرُ إِلَى وَحْدَةِ الذَّاتِ،
 وَالْبَاءُ تَشِيرُ إِلَى وَحْدَةِ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ : إِنِّي أَنَا الْوَاحِدُ الْوَاحِدُ، بِي كَانَ كُلُّ
 شَيْءٍ وَبِي يَكُونُ إِلَى الْأَبَدِ. وَقَوْلُ «الشَّيْخِ زُرُوقٍ» : يَشِيرُ إِلَى اسْمِهِ الظَّاهِرِ
 وَالْبَاطِنِ لَا مُنَاسِبَةَ لَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ [فَهُوَ بَعِيدٌ]، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

ثم ذكر الناظم حكماً آخر للعقل فقال :

يُفَرِّقُ مَجْمُوعَ الْقَضِيَةِ ظَاهِراً وَيَجْمَعُ فَرْقاً مِنْ تَدَاخُلِهِ فُزْنَا

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَمِنْ شَأْنِ الْعَقْلِ أَيْضاً أَنَّهُ يُفَرِّقُ مَجْمُوعَ الْقَضِيَةِ،
 أَيْ يُفَرِّقُ مَا أَصْلُهُ مَجْمُوعٌ فِي قَضِيَةِ الْخَمْرَةِ الْأَزْلِيَّةِ. ففِي الْحَقِيقَةِ الْوُجُودِ كُلِّهِ
 مَجْمُوعٌ ذَاتٌ وَاحِدَةٌ وَبَحْرٌ وَاحِدٌ مُتَّصِلٌ أَوَّلُهُ بِآخِرِهِ، وَظَاهِرُهُ بِبَاطِنِهِ. وَإِنَّمَا
 جَاءَ تَفْرِيقُهُ فِي الظَّاهِرِ مِنْ نَاحِيَةِ الْعَقْلِ لِقَصْرِ إِدْرَاكِهِ، وَهُوَ إِنَّمَا أُدْرِكُ
 الْفُرُوقَاتِ الْكُونِيَّةَ الْحَسِّيَّةَ، وَفَاتَتْهُ الْمَعَانِي الْمُتَّصِلَةُ الْقَدِيمَةَ الْأَزْلِيَّةَ⁽¹⁾. وَهِيَ الْمُرَادُ
 بِمَجْمُوعِ الْقَضِيَةِ. الْمَفْرُقَةُ ظَاهِراً، وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ فِي فَرْقِهَا⁽²⁾.

وهَذَا وَمَعْنَى قَوْلِهِ⁽³⁾ : «وَتَجْمَعُ فَرْقاً» فَالْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ، وَ«فَرْقاً» حَالٌ مِنْ
 ضَمِيرٍ تَجْمَعُ، أَيْ يُفَرِّقُ مَجْمُوعَ الْخَمْرَةِ الْأَزْلِيَّةِ ظَاهِراً. وَالْحَالُ أَنَّهَا مَجْمُوعَةٌ فِي
 حَالِ فَرْقِهَا، فَهِيَ مَفْرُوقَةٌ ظَاهِراً بِمَجْمُوعَةٍ بَاطِناً. وَمِنْ أَجْلِ تَدَاخُلِ فَرْقِهَا فِي
 جَمْعِهَا وَجَمْعِهَا فِي فَرْقِهَا فُزْنَا بِالْمَعْرِفَةِ الْكَامِلَةِ، حَيْثُ مَيَّزْنَا بَيْنَهُمَا فَأَنْزَلْنَا
 الْفَرْقَ فِي مَحَلِّهِ، وَهُوَ عَالَمُ الْحِكْمَةِ وَالْجَمْعِ فِي مَحَلِّهِ، وَهُوَ عَالَمُ الْقُدْرَةِ
 وَعَالَمُ الذَّاتِ جَامِعٍ لِلْكُلِّ. وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ التَّبَسَّ الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ⁽⁴⁾ فَوَقَفُوا مَعَ
 الْفَرْقِ الْمَخْضِ وَحَجَبُوا بِهِ عَنِ الْجَمْعِ، وَبَعْضُهُمْ غَرَّقُوا فِي بَحْرِ الْجَمْعِ وَحَجَبُوا
 عَنِ الْفَرْقِ، وَهُوَ نَقْصٌ إِنْ تَمَخَّضَ جَذْبُهُمْ وَكَانَ مَعَهُ بَعْضُ سُلُوكٍ وَإِلَّا فَرْدَقَةٌ،
 وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ.

(1) فِي ر : «الْأَزْلِيَّةُ» نَاقِصَةٌ.

(2) فِي ر : هَذِهِ الْجُمْلَةُ نَاقِصَةٌ. مِنْ : وَهِيَ الْمُرَادُ إِلَى فَرْقِهَا.

(3) فِي ر : وَهَذَا نَاقِصَةٌ.

(4) فِي «ر» : الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ.

ثم قال الناظم رضي الله عنه :

وَعَدَّدَ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ غَيْرَ وَاحِدٍ بِالْفَافِ أَسْمَاءٍ بِهَا شَتَّتَ الْمَعْنَى
قلت : هذا تقرير⁽¹⁾ لما قبله وتتميم له. يقول رضي الله عنه : ومن شأن
العقل [المعقول]⁽²⁾ أنه عدَّدَ شيئاً وهو الوجود الحقيقي، وكثُرَ فُرُوعُهُ مَعَ أَنَّهُ لَمْ
يَكُنْ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ أَوْ ذَاتٌ وَاحِدَةٌ. قال الشَّاعِرُ :
هذا الوجود وإن تعدد ظاهراً وحياتكم ما فيه إلا أنتم

ومعنى قوله : «وعدَّدَ شيئاً»، أي اعتقد تعدده⁽³⁾ وكثرته مع كونه
واحداً في الأزل وفيما لا يزال. كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ
كَانَ. وإنما تعدَّدَ هذا الشيء الواحد عند العقل بِسَبَبِ ظُهُورِ أَلْفَافِ الْأَسْمَاءِ
لِمُسَمِّيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، كَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ، وَأَسْمَاءِ أَنْوَاعِ
الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ، فَلكل شخصٍ جزئي من هذا الوجود اسم يخصه
ليتميّز به. وفي الحقيقة إنما هي تجليات ومظاهر للواحد الأحد، وفروقات
وتلونات للخمرة الأزلية.

وفي ذَلِكَ يقول الشيخ «الجيلي» رضي الله عنه في عينيته⁽⁴⁾ :

تَجَلَّى حَبِيبِي فِي مَرَاثِي جَمَالِهِ فَفِي كُلِّ مَرَأَى لِلْحَبِيبِ طَلَائِعُ
فَلَمَّا تَبَدَّى حُسْنُهُ مُتَنَوِّعاً تَسْمَى بِأَسْمَاءٍ فَهِيَ مَطَالِعُ

(1) في خ : كذا تقدير.

(2) في «ر» و«ك» : ناقصة.

(3) في خ : تعددُهُ

(4) في «ر» و«ك» : يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني. وفي هذا المعنى قال «الششتري»

«فالأسماء تنتقل عن الذات الحق الواحد، ويكون طلوعها بالوهم على الحق، فهي غير
الحق لكن تحقق الحق وتبين لها المراتب وهي آلة موصلة لذلك...، ولولا الأسماء ما
عددت الذات، ما كنت ترى إلا ما تجدد، وكونك ما تجدد ما ترى، إنما هو قولك في الصورة
وفي اللون ألوانا. وهذا وهم تبين من العدد الذي تأخذ الواحد وتنقله بالفرض منك على
المراتب المتوهم إلى غير نهاية، وتسمية اثنين ثلاثة وكذا وكذا وهو احد في ذاته.

(المقالات الوجودية، تقديم تحقيق دراسة وتعليق : أد. محمد العدلوني الإدريسي، ط 1 دار

الثقافة 2008، ص 106، 107.

وقوله : «بها شَتَّتَ الْمَعْنَى»، أي بسبب تَعَدُّ هذه الأشياء، مَعَ أَنَّ الْمُسَمَّى واحد. فَرَّقَ الْعَقْلُ الْمَعْنَى، أي اعتقد تفريقها ظاهراً وهي مجموعة متصلة باطناً.

فبحر المعاني متصل وأمواجه متفرقة، مِنْهُ فِيهِ بَلْ هِيَ عَيْنُهُ. والمراد بالمعْنَى : السَّرَّ (1) الأزلي اللطيف القائم بالأشياء الحسية السَّارِي فِيهَا بَلَا سريان، والأشياء الحسية كثفت للمعْنَى اللطيف الذي هو الخمرة الأزلِيَّة. فلولا الحسَّ ما ظهرتِ المعْنَى، ولولا المعْنَى ما قام للحس وجود. فلأشياء الحسية أواني (2) حاملة للمعاني. ولهذا (3) قال الشيخ في بعض أَرْجَالِهِ (4) :

لَا تَنْظُرْ لِلْأَوَانِي وَخُضْ بَحْرَ الْمَعَانِي لَعَلَّكَ تَرَانِي

وقال «ابن الفارض» في خمريته رضي الله عنه :

ولطف الأواني في الحقيقة تابع لِلطُّفْرِ الْمَعَانِي وَالْمَعَانِي بِهَا تَسْمُوا

أي (5) والمعاني تَسْمُوا، أي تظهر وترفع بالأواني فلا ظهور لها منها، فَافْهَمْ وَأَصْحَبِ الرِّجَالَ كَيْ تَعْلَمَ فَتَدْخُلَ بِلَادَ الْمَعْنَى، فَتَفُوزَ (6) بِالْحَسِّ وَالْمَعْنَى. وللشيخ «زُرُوق» هُنَا خَبَطَ يَدْلَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ بِلَادَ الْمَعَانِي وَمَا فَتَحَ عَلَيْهِ فِيهَا إِلَّا فِي آخِرِ عُمُرِهِ كَمَا تَقَدَّمَ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

ثم قال [النَّاطِمُ] رضي الله عنه :

وَيَعْرِجُ وَالْمَعْرَاجُ (7) مِنْهُ لِذَاتِهِ لِتَطَوُّرِهِ الْعُلُويِّ بِأَلْوَنِهِمْ أُسْرَيْنَا

(1) في ر : «السر» ناقصة.

(2) في خ : «أواني» ناقصة.

(3) في د : وبهذا.

(4) ديوان أبي الحسن الششتري، ويقول في مقطع آخر : فِي الدَّيْرِ أَطْلَبُنِي تَرَانِي مَطْرُوحُ مَا بَيْنَ الْأَوَانِي خَلِيعَ نَعَشَقِ الْفَلَائِي (الديوان ؛ زجل، فصحى مع مظاهر مشرقية) ص 264.

(5) في خ : «أي» ناقصة.

(6) في ك : فتعرف.

(7) في خ : بالمعراج.

يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ومن شأنِ العقلِ أيضاً إذا اتَّصَلَ صاحبه بالطَّيِّبِ الماهرِ أن يَعرُجَ ويُرفَعَ من عالمِ الحسِّ إلى عالمِ المعنَى، ومن عالمِ الأشباحِ إلى عالمِ الأرواحِ، ومن شهودِ الملُكِ⁽¹⁾ إلى شهودِ الملكوتِ⁽²⁾ والجبروتِ⁽³⁾، وذلك بسببِ عروجه عن رؤية حسِّه إلى شهودِ معناه. فالعروجُ⁽⁴⁾ والارتقاء إنما هو منه إليهِ، وهذا معنى قولِهِ : «منهُ لذاتِهِ» أي من شهودِ حِسِّهِ الظاهرِ، لرؤية ذاتِهِ ومعناه الحقيقي الباطن. فالأمر ليس عَنْكَ بخارج كما قال الشيخ في بَعْضِ أَرْجالِهِ⁽⁵⁾ :

وإِلَيْكَ السِّرُّ⁽⁶⁾ وَأَنْتَ مَعْنَى الْحَبْرِ وما دونك غيراً يا محل الفقر الذاتي

وإنما جاء⁽⁷⁾ هذا الرفع والعروجُ المذكورُ لتطوره بالمقام العلوي الذي، وهو محل الشهود والعيان المعبر عنه بمقام الإحسان. وإذا حققت الأمر لم تجد ارتقاءً ولا عروجاً، لأن الحق كان وُحْدَهُ وهو باقٍ وُحْدَهُ. لكنَّ الوَهْمَ أثبتَ الغيْرَةَ والإثنيْنِيةَ، فإذا ارتَفَعَ الوَهْمُ وزال الجَهْلُ لم تجد إلا الواحد [الأحد] في الأزلِ وفيما لا يزال. ما تجلَّى بِهِ في الأزلِ هو الذي تجلَّى بِهِ في الأبدِ⁽⁸⁾ من غير زيادة ولا نقصانٍ، إذا وَقَعَتِ الغَيْبَةُ عَنِ الأشْكالِ والرَّسُومِ التي هي رداء الكِبَرِيَاءِ. وهذا مَعْنَى قولِهِ : «بالوَهْمِ أُسْرَيْنَا» أي إنما أُسْرَيْنَا وارتَقَيْنَا : وثبت لنا ذلك بسببِ الوَهْمِ. وأمَّا لو ارتَفَعَ الوَهْمُ وثبت الحقُّ، لم يَبْقَ لأحدٍ ارتقاءً ولا عروجٌ. وهذا الوَهْمُ وإن كانَ عَدَمِيًّا فهو حاصل في عالمِ الحِكْمَةِ، وثبوته حق به وَقَعَ الحجاب لجلِّ النَّاسِ. فهو نوع من قَهْرِيَةِ الحقِّ الذي قَهَرَ بِهِ عبادَهُ،

(1) الملك : ما ظهر من حس الكائنات.

(2) الملكوت : ما بطن فيها من أسرار المعاني.

(3) الجبروت : البحر المحيط الذي تدفق عنه الحس والمعنى (أنظر معراج التشوف إلى حقائق

التصوف لابن عجيبة ط 1، 1982.

(4) في ر : فالمعراج.

(5) الديوان : أنظر قسم الأَرْجال من نشرتنا للديوان.

(6) في خ : «السِّر» ناقصة من الزجل.

(7) في خ : جاءه.

(8) في خ : هو ما تجلَّى في الأبد.

كما قال في الحِكْمِ : «مِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى وَجُودِ قَهْرِهِ سُبْحَانَهُ، أَنْ حَجَبَكَ بِمَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ مَعَهُ»⁽¹⁾. والله تعالى أعلم. ثم ذَكَرَ النَّاطِمُ نَزْوِلَهُ لِلْعُبُودِيَّةِ بِالْقِيَامِ بِوِظَائِفِ الرِّبَوِيَّةِ، فَقَالَ :

وَيَجْعَلُ⁽²⁾ سُفْلِيًّا وَيُوْهِمُ أَنَّهُ لِسُفْلِيَّةِ الْمَجْعُولِ بِالذَّاتِ أَهْبَطُنَا
يقول رضي الله عنه : إِنْ الْعَقْلَ تَارَةً يَرْتَقِيْ عُلُوِيًّا بِعُرُوجِهِ مِنْ أَرْضِ
الْأَشْبَاحِ إِلَى سَمَاءِ الْأَرْوَاحِ فِي مَقَامِ الْفَنَاءِ، وَتَارَةً يَنْزِلُ سُفْلِيًّا مِنْ سَمَاءِ الْحَقُوقِ
إِلَى أَرْضِ الْخَطُوطِ، لِلْقِيَامِ بِآدَابِ الْعُبُودِيَّةِ فِي مَقَامِ الْبَقَاءِ. وَيُوْهِمُ إِذَا نَزَلَ إِلَى
السُّفْلِيَّاتِ أَنَّهُ الْمَجْعُولُ سُفْلِيًّا بِالذَّاتِ حَقِيقَةٌ وَلَيْسَ كَذَلِكُ، وَإِنَّمَا هُوَ تَنْزُلٌ
وَإِظْهَارٌ لِلْعُبُودِيَّةِ لِأَن كَوْنَهُ عُلُوِيًّا حَقِيقَةٌ ذَاتِيَّةٌ. هَذَا أَيْضًا إِنَّمَا هُوَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ
وَحَقِيقَةٌ، تَلْوِينٌ لِلْخَمْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ، وَتُظْهَرُ التَّنْزِيلُ مِنْهَا إِلَيْهَا، فَهِيَ الْعُلُويَّةُ فِي
سُفْلِيَّهَا، وَالرَّفِيعَةُ فِي وَضْعِهَا.

قال شيخ شيوخنا سيدي «علي الجَمَل» رضي الله عنه في كتابه : «انظر
يا أَخِي وَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْخَمْرَةَ كَيْفَ كَمَلَتْ فِيهَا الْأَوْصَافُ، وَتَوَفَّرَتْ فِيهَا
الشُّرُوطُ، وَكَيْفَ كَمُلَ نَقْصَانُهَا كَمَا كَمُلَ كَمَالُهَا. فَسُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَهَا⁽³⁾
بِالْكَمَالِ فِي النَّقْصِ، وَالْكَمَالِ حَتَّى صَارَ الْكُلُّ كَمَالًا فَلَا نَقْصَ. وَكَذَلِكَ
أُنْظِرْ يَا أَخِي مَا أَقْرَبَهَا فِي بُعْدِهَا، وَمَا أَبْعَدَهَا فِي قُرْبِهَا، وَمَا أَرْفَعَهَا فِي
سُفْلِيَّهَا، وَمَا أَوْضَعَهَا فِي عُلُويَّهَا. وَمَا أَكْبَرَهَا فِي صَغَرِهَا، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي
كِبَرِهَا، وَمَا أَقْوَاهَا فِي ضَعْفِهَا، وَمَا أَضْعَفَهَا فِي قُوَّتِهَا، وَمَا أَغْنَاهَا فِي فَقْرِهَا،
وَمَا أَفْقَرَهَا فِي غِنَاهَا، وَمَا أَعَزَّهَا عَلَى نَفْسِهَا، وَمَا أَذَلَّهَا لِنَفْسِهَا، وَمَا أَعْظَمَ
قُدْرَتَهَا عَلَى نَفْسِهَا، وَمَا أَضْعَفَ عَجْزَهَا عَنْ نَفْسِهَا» إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ.

(1) أنظر شرح الحِكْمِ ج 1 ص 19.

(2) فِي ر : وَجَعَلَ، وَفِي الدِّيْوَانِ وَيَجْعَلُ، الْبَيْت (34) ص 74.

(3) فِي ك : مِنْ ظَهَرَ.

والمراد إنها تتستر في حال تحليها بالأشياء وتلونها بها فتظهر من نفسها النقص، وهي في غاية الكمال ليقى السر موصوناً والكثرة مدفوناً.. وقوله : «أهبطنا» لعله على (1) حذف قد، أي يوهم أنه المجعول بالذات سفلية، ويوهم أنه قد أهبطنا من عش (2) الحضرة العلية إلى أرض الحظوظ السفليات. مع أننا لم يقع لنا هبوط بل هو شرف وزيادة في الارتقاء، كأن المرید كلما نزل لأداء الحقوق ارتفع وارتقى إلى حضرة الشهود. لأنه ينزل بالإذن والتمكين والرسوخ في اليقين، لا بالمتعة والشهوة. والله أعلم بمراد الشيخ بقوله : «أهبطنا» (3). وأظنه تصحيفاً، إذ ليس في يدنا إلا نسخة مصحفة ومن ظهر له غير ما قلناه فليحقه بالطرّة. وأجره على الله.

ثم قال [التأظيم] رضي الله عنه :

يُقَدَّرُ وَضْلاً بَعْدَ فَضْلٍ لِدَاتِهِ وَفَرَضَ مَسَافَةً يَجِدُ (4) لَهَا الدَّهْنُ

قلت : و«فرض» عطف على «وضلاً»، ويجد بالذال المعجمة : يقطع. والدَّهْنُ بِالْفَتْحِ والمدّ، ويقصد الفلاة كما في القاموس. يقول رضي الله عنه : ومن شأن العقل أنه يقدر الوصول (5) إلى حضرة الحق بعد انفصال كان بينه وبينها، وهذا من جملة وهمه. إذ لا انفصال ولا بينونة بين العبد وربّه، وإنما جهله هو الذي بعده وفصله في حال قربه وفصله في حال وصله. قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (6).

(1) في خ : «على» ناقصة.

(2) في ر : «عش» ناقصة.

(3) في الديوان، وفي روضة التعريف : «أهبطنا»، والكلمة تؤدي المعنى المراد من البيت، إذن فهي غير مصحفة كما بدا للشيخ ابن عجيبة.

(4) في ر : يجد وكذلك في الديوان والصحيح : يجد.

(5) في «ر» و«ك» : الوصل.

(6) ق : 16.

وفي الحِكم: «لَا مَسَافَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حَتَّى تَطْوِيَهَا رَحْلَتَكَ، وَلَا قَطِيعَةً⁽¹⁾ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حَتَّى تَمْحُوهَا وَضَلْتَكَ»⁽²⁾ وقال أيضاً: «الحق ليس بمحجوب [عنك]، إنما المحجوب أنتَ عن النظر إليه، إذ لو حجبَه شيءٌ لَسْتَرَهُ. ولو كان له سائر لكان لوجوده حاصِر. وكل حاصِرٌ لشيءٍ فهو لَهُ قاهرٌ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾»⁽³⁾⁽⁴⁾. وقال أيضاً: «كَيْفَ يَحْتَجِبُ الْحَقُّ تَعَالَى بِشَيْءٍ، وَالَّذِي احْتَجَبَ بِهِ هُوَ فِيهِ ظَاهِرٌ، وَمَوْجُودٌ حَاضِرٌ»⁽⁵⁾. فَتَحَصَّلَ أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى لَا حَائِلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَلَا فَضْلَ وَلَا بَيْنُونَةَ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ لَمْ يَبْقَ كَائِنٌ فَمَا تَمَّ مَوْصُولٌ وَلَا تَمَّ بَائِنٌ
فَالْعَقْلُ لضعفه هو الَّذِي يُقَدَّرُ الْوَصْلَ بَعْدَ الْفَضْلِ لِدَاتِهِ عَنْ حَضْرَةِ
الحق، وَيُقَدَّرُ أَيْضاً فَرَضَ مَسَافَاتٍ وَمَهَامَةٍ⁽⁶⁾ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَصُولِ إِلَى الْحَقِّ،
يَقْطَعُ لِأَجْلِهَا الْفُلُوتِ⁽⁷⁾ وَالْمَفَاوِزَ مِنَ الْأَرْضِ. وَهَذَا كُلُّهُ اسْتِعَارَةٌ وَكُنَايَةٌ عَنْ
قُطْعِ مَالُوفَاتِ النَّفْسِ وَعَوَائِدِهَا⁽⁸⁾، وَالخُرُوجِ عَنِ الطَّبْعِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي
يَحْجُبُ عَنْ شَهُودِ الْحَقِّ، وَالنَّفُوذِ مِنْ شَهُودِ حَسَنِ الْكَائِنَاتِ إِلَى فُضَاءِ الْمَعَانِي.

قال «الشاطبي»⁽⁹⁾ رضي الله عنه في شرح الحِكم: «واعلم أن طريق الله تعالى ليسَ فيه مَفَازَةٌ وَلَا مَتَاهَةٌ بَلْ هِيَ مَنَازِلٌ وَأَحْوَالٌ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهَا أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا، وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَصْدُقُ وَعْدُهُ وَيَنْصُرُ عَبْدَهُ وَيَهْزِمُ الْأَحْزَابَ

(1) في «ر» و«ك»: قطعة.

(2) الحكم، ويقول: «الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون لم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده، فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عن شمس المعارف بسحب الآثار» شرح الحكم، ج 1، ص 19.

(3) الأنعام: 18.

(4) أنظر شرح الحكم ج 1 ص 21.

(5) أنظر شرح الحكم ج 2 ص 161.

(6) في ر: «مهامة» ناقصة، وحذفنا «وكذا لا مسافة» لأنها لا تتناسب والسياق العام للفكرة.

(7) في ر: الفلات.

(8) في ر: وعوارها.

(9) الشاطبي: هو «إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق» الشهير بالشاطبي، كان أصولياً مفسراً، فقيها محدثاً ورعاً صالحاً زاهداً سنياً، بارعاً في كل العلوم. ومن أهم مؤلفاته: «الاعتصام»، «المواقفات» و«المجالس»، و«الإفادات والإنشادات».

وَحَدَهُ. وَإِنَّمَا الْمَفَاوِزُ وَالْمَسَافَاتُ فِي الرَّكَونِ إِلَى الْمَأْلُوفَاتِ وَاتِّبَاعِ الْعَادَاتِ،
وَفِي مَسَاحَةِ النَّفْسِ وَارْتِكَابِ الشَّهَوَاتِ وَفِي الْوُقُوفِ مَعَ الْحِسِّ وَالْحَدْسِ.
وَعِنْدَ كَشْفِهِ الْغَطَاءِ يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ».

وعن قطع هذه المألوفات ورياضة النفس عبّروا بالسَّيرِ والمنازل، كما
قال في المباحث :

وَإِنَّمَا الْقَوْمُ مُسَافِرُونَ⁽¹⁾ لِحَضْرَةِ الْحَقِّ وَظَاعِنُونَ
فَافْتَقَرُوا فِيهَا إِلَى ذَلِيلٍ فِي بَصَرِ بِالسَّيْرِ وَالْمَقِيلِ
قَدْ سَلَكَ الطَّرِيقَ ثُمَّ عَادَ⁽²⁾ لِيُخْبِرَ الْقَوْمَ بِمَا اسْتَفَادَ⁽³⁾

وَمِنْ شَأْنِ الْعَقْلِ أَيْضاً إِبْطَاتُ الْمَعْيَةِ وَالْإِثْنَيْنِيَّةِ بِشَفْعِيَةِ الْأَثَرِ⁽⁴⁾، كَمَا قَالَ
النَّاظِمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

يُجَلِّي لَنَا طَوْرَ الْمَعْيَةِ شَكْلَهُ⁽⁵⁾ وَإِنْ لَمَعَتْ مِنْهُ فَتُلْحِقُهُ الْمَيِّنَا
وَيُلْحِقُهَا بِالشَّرْكِ مِنْ مَثْنَوِيَةٍ يَلُوحُ بِهَا وَهُوَ الْمُلُوحُ وَالْمَثْنَا⁽⁶⁾

قُلْتُ شَكْلَهُ فاعِلٌ يُجَلِّي، وَأَطْلَقَ الشَّرْكَ هُنَا عَلَى مُجَرَّدِ الْوَهْمِ. وَفَاعِلُ
«لَمَعَتْ» مَحْذُوفٌ، أَيِ أَنْوَارِ الْحَقَائِقِ. وَ«الْمَيِّن» : الْكَذِبُ. وَ«الْمُلُوحُ» اسْمُ
فَاعِلٍ. وَ«الْمَثْنَى» بِضَمِّ الْمِيمِ اسْمُ مَفْعُولٍ. وَالْجُمْلَةُ حَالٌ.

(1) فِي «ر» وَ«خ» : مُسَافِرُونَ.

(2) فِي «ر» وَ«خ» : عَادَاً.

(3) فِي «ر» وَ«خ» : اسْتَفَادَاً.

(4) فِي خ : بِشَفْعِيَةِ الْآثَارِ. وَفِي ك : بِشَفْعِيَةِ الْآثَارِ.

(5) فِي «خ» وَ«ر» : شَكَّهُ.

(6) الدِّيَوَانُ : الْمَثْنَى.

وَمَعْنَى الْبَيْتَيْنِ (36) وَ(37) السَّالِفِي الذِّكْرُ، مَعْنَاهُمَا بِشَكْلٍ مَرَكِزٍ : إِنْ الْعَقْلُ بِأَوْهَامِهِ هُوَ
الَّذِي يَتَخِيلُ الْإِثْنَيْنِيَّةَ فِي الْكَوْنِ، مِنْ مَوْجُودٍ وَمَوْجِدٍ، مَعَ أَنَّهُ لَا وَجُودَ مَعَ اللَّهِ، وَإِنْ لَمَعَتْ
مِنْهُ، أَيِ الْأَنْوَارِ وَالْحَقَائِقِ، فَمَحَا الْإِثْنَيْنِيَّةَ وَأَثْبَتَ الْوَحْدَةَ. فَهُوَ ظَاهِرٌ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ،
لِلْعُمُومِ بِالْفِعْلِ، وَلِلْخُصُوصِ بِالْإِسْمِ وَالنَّعْتِ، وَلِلْخُصُوصِ الْخُصُوصَ بِالصِّفَاتِ، وَلِلْقَائِمِينَ
بِمُشَاهَدَةِ الذَّاتِ بِالذَّاتِ.

وَفِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِي (37) مَرَادُهُ فِيهِ : وَيَلْحَقُ الْعَقْلَ الْمَعْيَةَ الَّتِي أَثْبَتَهَا بِوَهْمِهِ بِالشَّرْكِ الْجَلِيِّ عِنْدَ
أَهْلِ الْفَنَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِنِ، وَبِالشَّرْكِ الْخَفِيِّ عِنْدَ أَهْلِ الظَّاهِرِ، فَهُوَ يَظْهَرُ الْمَثْنَوِيَّةَ وَالْمَعْيَةَ مِنْ خَالِقٍ
وَمَخْلُوقٍ، وَهُوَ النَّازِلُ وَالْمَنْظُورُ، الْمَثْبُوتُ لِلشَّفْعِيَّةِ الْمُلْحَقِ لَهَا بِالشَّرْكِ، وَهَذَا تَنَاقُضٌ فِي طَبِيعَتِهِ.

يقول رضييَ اللّهُ عَنْهُ : «يُجَلِّي» أَي يُظْهِرُ لَنَا وَهُمْ الْعَقْلَ طَوْرَ الْمَعِيَةِ، أَي وجودها وثبوتها، وذلك أَنَّهُ أُثْبِتَ الْأَثَرُ وَأُثْبِتَ نَفْسَهُ مَعَ اللّهِ لَزِمَ مِنْهُ وجود المَعِيَةِ والإِثْنِيَّةِ وَهِيَ مُحَالٌ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ.

قال [ابن عطاء اللّهِ] فِي الْحِكْمِ : «ما حجبك عن الله موجود مَعَهُ، [إِذْ لَا شَيْءَ مَعَهُ]، وَإِنَّمَا حجبك عَنْهُ تَوَهُّمٌ وَجُودٌ مَوْجُودٌ مَعَهُ»⁽¹⁾ وقال أيضاً : «الأَكْوَانُ ثَابِتَةٌ بِإِثْبَاتِهِ مَحْوَةٌ بِأَحْدِيَةِ ذَاتِهِ»⁽²⁾. وَإِنْ لَمَعَتْ مِنَ الْعَقْلِ أَنْوَارُ تِلْكَ الْحَقَائِقِ مَحْتٌ تِلْكَ الْمَعِيَةِ، وَأُثْبِتَتْ الْوُجُودَ لِلْوَاحِدِ الْأَحَدِ. فَيُلْحَقُهُ الْمَيِّنُ وَالْكَذِبُ فِي اعْتِقَادِ الْمَعِيَةِ وَالْإِثْنِيَّةِ، وَتَثْبِتُ الْوُتْرِيَّةَ لِلْوُتْرِ الْفَرْدِ». قال الناظِمُ فِي بَعْضِ أَزْجَالِهِ :

وَبِرُّوْحٍ وَرَاحٍ عَادَ شَفْعِي وَتَرَا⁽³⁾

أَي وَبِرُّوْحِ الْوَصَالِ وَشُرْبِ الْخَمْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ صَارَ شَفْعِي، وَهُوَ اعْتِقَادُ وَجُودِي مَعَ الْحَقِّ وَتُرِّي، حَيْثُ امْتَحَقَ وَجُودِي بِالْكَلِيَّةِ فِي وَجُودِهِ. فَتَثْبِتُ الْوُتْرِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ لَهُ وَلَمْ تَزَلْ وَإِنَّمَا وَهُمْ الْعَقْلُ أُثْبِتَ ضِدَّهَا. فَإِنْ قُلْتُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾⁽⁴⁾. يُصَحِّحُ الْمَعِيَّةَ سِوَاءَ قُلْنَا مَعْنَى بِالذَّاتِ أَوْ بِالْعِلْمِ قُلْنَا الْخُطَابُ وَرَدَ مِنْ عَالَمِ الْقُدْرَةِ إِلَى عَالَمِ الْحِكْمَةِ وَهُوَ مَحَلُّ التَّشْرِيعِ. وَعَالَمُ الْحِكْمَةِ هُوَ عَالَمُ الْأَشْبَاحِ وَيُسَمَّى : عَالَمَ الْفَرْقِ وَعَالَمَ الْأَثَرِ، وَعَالَمُ الْحَسِّ، وَعَالَمُ الْمُلْكِ. أُثْبِتَهُ [تَعَالَى] بِحِكْمَتِهِ لِتَظْهَرُ فِيهِ آثَارُ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَيُظْهِرُ فِيهِ أَيْضاً⁽⁵⁾ آدَابَ الْعِبُودِيَّةِ لِلرُّبُوبِيَّةِ. إِذِ الْمَلِكُ بِلا رَعِيَّةٍ مُلْكُهُ نَاقِصٌ،

(1) الحكم، أنظر شرح الحكم ج 1 ص 107، وقال كذلك : «كيف يتصوَّف أن يحجبه شيء لولولاه ما كان وجود كل شيء» شرح الحكم ج 1 ص 21.

(2) الحكم، أنظر شرح الحكم، ج 1 ص 108.

(3) الديوان : والبيت من قصيدة توشيفية وليست زجلية كما زعم الشارح.. أنظر قسم الموشحات بديوان المشتري ص 125، من تحقيقنا، دار الثقافة ط 1، 2008.

(4) الحديد : 4.

(5) في خ : بصحبة، وفي ر : وندخل.

فَأَثْبَتَهَا بِكَثْرَةِ صِفَاتِهِ فَرَقًا وَمَحَاها بِأَحَدِيَةِ ذَاتِهِ جَمْعًا. فَأَهْلُ الْحَقَائِقِ يَنْظُرُونَ
لِعَالَمِ الْقُدْرَةِ، وَيُسَمَّى عَالَمَ الْمَعَانِي وَعَالَمَ الْمَلَكُوتِ، فَلَا يَنْظُرُونَ⁽¹⁾ إِلَّا اللَّهَ.

وَأَهْلُ الشَّرَائِعِ يَنْظُرُونَ لِعَالَمِ الْحِكْمَةِ فَيُثْبِتُونَ الْأَثَرَ وَالْمُؤَثَّرَ، وَعَلَيْهِ وَرَدَ
الْخُطَابُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾⁽²⁾. قَالَ الْعَارِفُ الرَّبَّانِيُّ الْإِمَامُ
«الْوَرْتَجِي» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [مَا نَصَّهُ]⁽³⁾: «فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَقَامَانِ: مَقَامُ الْجَمْعِ
وَمَقَامُ عَيْنِ إِفْرَادِ الْقِدَمِ عَنِ الْخُدُوثِ، فَمَنْ حَيْثُ الْوَحْدَةُ وَالْقِدَمُ تَتَصَاغَرُ
الْأَكْوَانُ فِي عِزَّةِ الرَّحْمَنِ، مِنْ سَطَوَاتِ عَظَمَتِهِ حَتَّى لَا يَبْقَى أَثَرُهَا».

ثُمَّ قَالَ: «وَمَنْ حَيْثُ الْجَمْعُ فَيَسِيرُ نُورُ الصِّفَةِ: نُورُ الْعَقْلِ، وَنُورُ الصِّفَةِ
قَائِمٌ بِالذَّاتِ فَتَجَلَّى بِنُورِهِ لِفِعْلِهِ مِنْ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ. ثُمَّ تَجَلَّى بِفِعْلِهِ وَكَانَتْ
الْمَوْجُودَاتُ كُلُّهَا مِرْآةً وَجُودِهِ، فَهُوَ ظَاهِرٌ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، لِلْعُمُومِ بِالْفِعْلِ
وَلِلْخُصُوصِ بِالْإِسْمِ وَالتَّعْتِ، وَلِخُصُوصِ الْخُصُوصِ بِالصِّفَاتِ، وَلِلْقَائِمِينَ
بِمُشَاهَدَةِ الذَّاتِ بِالذَّاتِ. وَهُوَ تَعَالَى مُنْزَعٌ عَنِ الْبَيِّنَاتِ وَالْحُلُولِ⁽⁴⁾ وَالْإِفْتِرَاقِ
وَالْاجْتِمَاعِ وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ ذَوْقُ الْعَشْقِ⁽⁵⁾ وَلَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الْعَاشِقُونَ»⁽⁶⁾.

وَحَاصِلُ كَلَامِهِ أَنَّ الْمَعْيَةَ حَاصِلَةُ⁽⁷⁾ بِذَاتِهِ لِدَاثِهِ، وَلَا يَفْهَمُهَا وَيَعْلَمُهَا إِلَّا
الْعَاشِقُونَ وَهُمْ⁽⁸⁾ أَهْلُ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ.

(1) فِي «ر» وَ«خ»: يَرُونَ.

(2) الْحَدِيدُ: 4.

(3) فِي «ر» وَ«خ»: «مَا نَصَّهُ»: نَاقِصَةٌ.

(4) الْحُلُولُ: فِكْرَةٌ صُوفِيَّةٌ مِطْرَفَةٌ، تَقُولُ جَازِمَةٌ أَنَّ الْحَقَّ اصْطَفَى أَجْسَامًا حَلَّ فِيهَا بِمَعَانِي
الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنْزَلَ عَنْهَا مَعَانِيَ الْبَشَرِيَّةِ.

(5) ذَوْقُ الْعَشْقِ: أَوْ ذَوْقُ الْحُبِّ، وَهُوَ نُورُ عِرْفَانِي يَقْذِفُهُ الْحَقُّ بِتَجَلِّيهِ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ،
يَفْرُقُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْتَمِدُوا فِي ذَلِكَ عَلَى كِتَابٍ أَوْ غَيْرِهِ
(الْمَرْجَانِيُّ، ص 78).

(6) فِي خ: إِلَّا اللَّهَ.

(7) فِي خ: «حَاصِلَةٌ» نَاقِصَةٌ.

(8) فِي خ: «وَهُمْ» نَاقِصَةٌ.

وقوله : و«يلحقها بالشرك» : أي يلحق العقل المعية التي أثبتها بؤهمه بالشرك الجليّ عند أهل الفناء من أهل الباطن. وبالشرك الخفي عند أهل الظاهر من مثوية، أي من أجل مثوية الأثر الذي أثبتته مع الحق.

«يُلَوِّحُ» : أي يُظهر بها ويعتقدها وهماً وجَهلاً، وهذا في عالم الحكمة وهو عالم⁽¹⁾ الفرق وعالم التشريع. وأمّا في عالم⁽²⁾ الحقيقة فهو المُلَوِّح، أي المظهر سِتْراً لأسرار ربوبيته⁽³⁾، أن تُبتدل بالإظهار أو يُنادى عليها بلسان الإشتهار، وهو أيضاً المثنى الذي صار شفعاُ باعتبار الأثر، فهو الظاهر والباطن في ظهوره وبطونه⁽⁴⁾. وبالله التوفيق.

ثم ذَكَرَ [التَّائِم] سبب⁽⁵⁾ حجاب العقل والروح عن سرّ الوحدة، بعد أن كانا عارفين فقال :

فَنَحْنُ كَدُودُ الْقَزِّ يَخْصُرُنَا الَّذِي صَنَعْنَا لِدَفْعِ الْخَصْرِ سِجْنًا⁽⁶⁾ لَنَا مِنَّا
يقولُ رضيَ الله عنه : «فنحن كدود القزّ» : أي دود الحرير، لأنها تبدو أولاً ظاهرة مطلقاً لا حجاب عليها، ثم تنسج على نفسها من حريرها. كذلك الأرواح الإنسانية تبرز لهذا العالم على الفطرة الأصلية لا حجاب عليها، ولهذا ترى الصبيان ينطقون بالمغيبات وبالحكم الباهرة. فإذا بلغت الروح وكمل عقلها نظرت إلى هذا العالم السفلي وعشقت فروقه، وتاهت في حظوظها وشهواتها. فكلما زادت في تيهها⁽⁷⁾ تراكم حجابها، فمنها من تراكم عليه حجب الظلمة كظلمة المعاصي والمساوي، وهم العوام. ومنها من تراكم عليه حجب الأنوار، كالاشتغال بالعلوم النقلية والرسمية والعقلية،

(1) في خ : «عالم» ناقصة.

(2) في ر : «عالم» ناقصة.

(3) في ر : يسر الأسرار الربوبية.

(4) في «ر» و«خ» : فهو الظاهر في بطونه والباطن في ظهوره.

(5) في خ : ناقصة.

(6) في خ : سدنا، كذلك في «ر» و«ك»، بينما في الديوان سجننا وهو الصحيح.

(7) في «ر» : أيامها، وفي «ك» أياماً.

فَتَتَغَلَّغَلْ فِي تِلْكَ الْعُلُومِ وَيَرْسُخْ فِيهَا فَيَعْمُرْ إِنْتِقَالَه عَنْهَا، وَهَذَا أَشَدُّ الْحَجَبِ⁽¹⁾.
وكذلك الوقوف مع حلاوة الطاعات، وظهور الكرامات وتحقيق المقامات،
كما هو شأن العباد والزهاد والمستشرفين على علم الحقيقة. وهذا أيضاً
حجاب عظيم، ولذا قيل :

أَشَدُّ النَّاسِ حِجَاباً عَنِ اللَّهِ الْعُلَمَاءُ ثُمَّ الْعَبَادُ ثُمَّ الزُّهَادُ. فَهُمْ يَعْمَلُونَ فِي
خِلَاصِ أَنْفُسِهِمْ بِمَا يَظُنُّونَ الْحَقِيقَةَ، وَهُمْ يَزِيدُونَ فِي حِجَابِهَا. وَهَذَا مَعْنَى
قَوْلِهِ : «يَحْصِرُنَا الَّذِي صَنَعْنَا سَدًى»، [أَيَّ يَحْصُرُنَا عَنْ مِيَادِينِ الْغُيُوبِ
وَفَضَاءِ الشُّهُودِ الَّذِي صَنَعْنَاهُ مِنَ الطَّاعَاتِ لِدَفْعِ ذَلِكَ الْحَصْرِ. فَهُوَ أَيْ مَا
صَنَعْنَا سَدًى]⁽²⁾. أَيْ حِجَابٌ لَنَا مِنَّا حِجَابٌ بِنَفُوسِنَا مِنْ أَنْفُوسِنَا. وَالْخِلَاصُ
مِنْ هَذَا الْحِجَابِ، التَّضَرُّعُ إِلَى اللَّهِ وَالِاتِّجَاءُ إِلَيْهِ⁽³⁾ فِي الْعَثُورِ عَلَى الطَّيِّبِ
وَهُوَ شَيْخُ التَّرْبِيَةِ النَّبَوِيَّةِ. فَيُلْقِي إِلَيْهِ زِمَامَ نَفْسِهِ، وَيَحْكُمُ فِيهَا وَيُلْزِمُ خِدْمَتَهُ
وَصَحْبَتَهُ حَتَّى يَقُولَ لَهُ : هَا أَنْتَ وَرَبِّكَ، فَيُخْرِجُهُ مِنْ حَضَرِ الْأَكْوَانِ
وَسَجْنِهَا إِلَى فَضَاءِ الْعِيَانِ. فَتُخْرِجُ فِكْرَتَهُ عَنْ دَائِرَةِ الْأَكْوَانِ وَيَسْقُطُ عَنْهُ
الْحِجَابُ بِالْكَلِيَّةِ، فَلَا يَزَالُ فِي التَّرْقِيِ أَبَدًا عَلَى مُرُورِ السَّاعَاتِ وَالْأَيَّامِ. وَأَمَّا
مَنْ لَمْ يَعْتَرِ⁽⁴⁾ عَلَى شَيْخِ⁽⁵⁾ التَّرْبِيَةِ، فَلَا يَزِيدُهُ مُرُورُ أَيَّامِهِ وَسَاعَاتِهِ إِلَّا حِجَاباً
وِغَطَاءً عَنْ أَسْرَارِ غَوَامِضِ التَّوْحِيدِ. وَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ فِي عِلَاجِ نَفْسِهِ، تَعَبٌ
وَضَرْبٌ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ.

وتأمل بعض ما قاله بَعْضُ الْفُقَرَاءِ، وَأَظَنَّهُ الشَّيْخُ «زُرُوقٌ» بِنَفْسِهِ، كَمَا
نَقَلَهُ عَنْهُ فِي «كَفَايَةِ الْمُحْتَاجِ»⁽⁶⁾ فِي تَرْجُمَتِهِ، قَالَ : طُفْتُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ فِي
طَلَبِ الْحَقِّ وَاسْتَعْمَلْتُ جَمِيعَ الْأَسْبَابِ الْمَذْكُورَةِ فِي مُعَاجَلَةِ النَّفْسِ، وَتَخَلَّيْتُ

(1) فِي خ : حِجَابٌ.

(2) الْجُمْلَةُ بَيْنَ مَعْقُوفَتَيْنِ نَاقِصَةٌ فِي «ك».

(3) فِي خ : «وَالِاتِّجَاءُ إِلَيْهِ» نَاقِصَةٌ.

(4) فِي ر : لَمْ يَسْقُطْ.

(5) فِي خ : صَاحِبٌ.

(6) كِتَابُ كَفَايَةِ الْمُحْتَاجِ :

بقدر الإمكان في مرضاة الحق، فما طَلَبْتَ قَرَبَ الحق بشيءٍ إلاَّ كان مُبْعِداً عَنْهُ رُؤْيِي نَفْسِي فيه، وَلَا عَمِلْتُ في معالجتها لِنَفْسِي بشيءٍ إلاَّ كان مُعِيناً لَهَا عَلَيَّ، وَلَا تَوَجَّهْتُ لِإِرْضَاءِ الخلقِ بشيءٍ إلاَّ كان سَبَبَ عَدَاوَتِهِمْ لِي. فَعَدْتُ إلى الاستِسْلام فَخَرَجَ لِي مِنْهُ رُؤْيَا وَجُودِي، وَهُوَ رَأْسُ الْعِلَلِ، فَطَرَحْتُ نَفْسِي⁽¹⁾ بَيْنَ يَدَيِ الحق طَرَحاً لَا يَضْحَبُهُ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ. فَصَحَّ عِنْدِي أَنَّ السَّلَامَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالتَّبَرِّيِّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَأَنَّ الْغَنِيْمَةَ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ⁽²⁾ بِالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، اعْتِبَاراً بِالْقُدْرَةِ وَإِثْبَاتاً لِلْحِكْمَةِ⁽³⁾. وَقِيَاماً مَعَ الطَّبَاعِ بِشَوَاهِدِ الانْطِبَاعِ. إِلَى تَمَامِ كَلَامِهِ. نَقَلَهُ هُنَا الشَّيْخُ «زُرُوق» عَنْ بَعْضِ الْفُقَرَاءِ، وَأُظْنَتْهُ عَنِّي نَفْسُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. كَمَا نَقَلَهُ الشَّيْخُ «أَحْمَدُ بَابَا السُّودَانِي»⁽⁴⁾ فِي تَرْجُمَتِهِ. وَإِنَّمَا تَعَطَّلَ الْفَتْحُ عَلَى «الشَّيْخِ زُرُوق»، لِقَلَّةِ صُحْبَتِهِ لِشَيْخِهِ «الْحَضْرَمِيِّ»⁽⁵⁾. فَقَدْ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ: أَنَّهُ صَحْبَهُ أَوَّلًا سَبْعَةَ أَشْهُرٍ أَوْ نَحْوَهَا، ثُمَّ انْفَصَلَ عَنْهُ، ثُمَّ رَجَعَ لَزِيَارَتِهِ فَبَقِيَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ. فَكَانَ الْمَجْمُوعُ مِنْ صَحْبَتِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ شَهْراً أَوْ نَحْوَهَا. قَالَ: وَانْتَفَعْتُ بِهِ انْتِفَاعاً لَا يَخْفَى.

قُلْتُ: هَذِهِ الْمُدَّةُ لَا تَسْلُخُ الْمَرِيدَ مِنْ كُلِّ طَبْعِهِ، وَلَا تَخْرِجُهُ عَنْ عِلْمِهِ وَعَوَالِمِهِ، لِأَسِيْمَا وَقَدْ كَانَ مُتَغَلِّغاً فِي الْعُلُومِ الثَّقَلِيَّةِ وَالْعُقْلِيَّةِ، فَلَا يَسْلُخُهُ مِنْهَا إِلَّا طَوَّلُ الصَّحْبَةِ بِالصَّدَقِ وَالْخِدْمَةِ وَالتَّجْرِيدِ التَّامِ. كَمَا هُوَ مُجَرَّبٌ فِي شَأْنِ أَمْثَالِهِ. وَقَدْ كَانَ شَيْخُهُ يَكَاتِبُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقَائِقِ فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهَا، لِأَنَّهَا لَا تَوْخِذُ بِمَجْرَدِ الْعِلْمِ وَإِنَّمَا تَوْخِذُ بِالسَّرَايَةِ مَعَ تَحْقِيقِ الصَّدَقِ وَالتَّصَدِيقِ⁽⁶⁾.

(1) فِي ر: «نَفْسِي»: نَاقِصَةٌ.

(2) فِي ر: الْجُمْلَةُ نَاقِصَةٌ: مِنَ التَّبَرِّيِّ إِلَى: كُلِّ شَيْءٍ.

(3) فِي ر: «الْحِكْمَةُ» نَاقِصَةٌ.

(4) «أَحْمَدُ بَابَا السُّودَانِي»: وَهُوَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ «أَبِي الْعَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ أَقِيْتُ، عَرَفَ بِبَابَا التَّنْبِكْتِي» صَاحِبُ كِتَابِ «نَيْلِ الْإِبْتِهَاجِ بِطَبَرِيزِ الدِّيَاغِ».

(5) الشَّيْخُ الْحَضْرَمِيُّ: شَيْخُ زُرُوق. وَهُوَ الْقُطْبُ الرِّبَانِيُّ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَقْبَةَ لَقِبَهُ فِي أَوَائِلِ رَجَبِ سَنَةِ 876 هـ بِالْقَاهِرَةِ وَفِيهِ يَقُولُ زُرُوق: «مَا لَقِيتُ أَعْرَفَ بِاللَّهِ مِنْهُ وَلَا أَكْبَرَ مِنْهُ».

(6) فِي خ: التَّحْقِيقُ.

واعْلَمَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ صَحَبُوا الْمَشَايخِ الْعَارِفِينَ وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ حَقَائِقِهِمْ شَيْئًا، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَصْحَبُونَهُمْ عَلَى نَظَرِ نَفْسِهِمْ، لَا عَلَى نَظَرِ الْمَشَايخِ. فَإِذَا أَمَرُوهُمْ بِشَيْءٍ أَوْ نَهَوْهُمْ عَنْ شَيْءٍ وَزَنَوْهُ بِمِيزَانِ شَرِيعَتِهِمْ، فَمَا وَافَقَ نَظَرَهُمْ قَبْلُوهُ وَمَا خَالَفَ رَدُّوهُ. فَبَقُوا مَعَ أَنْفُسِهِمْ وَلَمْ يَغْرَقُوا فِي بَحْرِ أَسْرَارِهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

ثُمَّ ذَكَرَ [النَّاظِم] مَا يَفِيدُهُ الْعَقْلُ مِنْ نَقْصٍ وَكَمَالٍ، بِاعْتِبَارِ صَاحِبِهِ فَقَالَ :

فَكَمْ وَاقِفٍ أَرْدَى وَكَمْ سَائِرٍ هَدَى⁽¹⁾
وَكَمْ حِكْمَةٍ أَبَدَى وَكَمْ مُخْلِقٍ أَغْنَى

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَأْنِ الْعَقْلِ أَنَّهُ ظَهَرَتْ عَلَى الْخَلْقِ مِنْهُ آثَارٌ مُخْتَلِفَةٌ، فَمِنْهَا مَا هُوَ خَسِرَانٌ وَمِنْهَا مَا هُوَ رَيْحٌ، فَكَمْ وَاقِفٍ مَعَهُ وَلَمْ يَنْفِذْ إِلَى مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْأَسْرَارِ الْخَارِجَةِ عَنْ مَدَارِكِ الْعُقُولِ. أَرْدَاهُ : أَيِ أَهْلِكَهُ وَأَوْقَعَهُ فِي الرَّدَى، وَهُوَ بِقَاوِهِ مَعَ الْحِجَابِ، أَوْ أَوْقَعَهُ فِي الضَّلَالِ⁽²⁾ حَيْثُ وَقَفَ مَعَهُ وَحَكَّمَهُ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْأَحْكَامِ إِلَّا مَا أَدْرَكَهُ عَقْلُهُ، كَمَا فَعَلَتْ الْمُعْتَزَلَةُ، فَضَلُّوا⁽³⁾ وَأَضَلُّوا⁽⁴⁾ فَقَدْ⁽⁵⁾ قَدَّمُوا⁽⁶⁾ الْعَقْلَ عَلَى صَحِيحِ النُّقْلِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَرَدُّوا الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ لَمَّا خَالَفَتْ قَوَاعِدَ عُقُولِهِمْ، وَأَوَّلُوا الْآيَاتِ الصَّرِيحَةَ لِتَطَابُقِ مَا أَدْرَكَتْهُ عُقُولُهُمْ⁽⁷⁾، [وَهُوَ زَيْغٌ وَإِلْحَادٌ].

(1) فِي الدِّيْوَانِ : هَدَى. وَفِي ك : وَكَمْ مَمْلُوقٌ أَغْنَى.

(2) فِي خ : انْحِلَالٌ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(3) فِي خ : وَضَلُّوا.

(4) فِي خ : «أَضَلُّوا»، نَاقِصَةٌ.

(5) فِي ر : «فَقَدْ، وَقَدَّمُوا» سَقَطَتْ.

(6) فِي «خ» وَ«ك» : «فَقَدْ»، نَاقِصَةٌ.

(7) فِي ر : الْجُمْلَةُ نَاقِصَةٌ : مَنْ : وَأَوَّلُوا، إِلَى : عُقُولِهِمْ.

وَكَمْ سَالِكٍ بِهِ هَذَا⁽¹⁾ إِلَى طَرِيقِ الْوُصُولِ حَيْثُ مَيَّزَ لَهُ مَا يَضُرُّهُ وَهُوَ كُلُّ مَا يَشْغَلُهُ عَنْ رَبِّهِ، وَاشْتَغَلَ بِمَا يَنْفَعُهُ وَهُوَ كُلُّ مَا يُقَرِّبُهُ مِنْ رَبِّهِ. وَإِذَا لَاحَ⁽²⁾ لَهُ شَيْءٌ مِنْهُ وَزَنَّهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَطَبَّقَ بَيْنَ الْمَقُولِ وَالْمَنْقُولِ، وَإِذَا تَعَدَّدَ الْوُجْهَانِ بَيْنَهُمَا قَدَمَ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ⁽³⁾ وَحَكَّمَ عَلَى الْعَقْلِ بِالضَّعْفِ⁽⁴⁾ وَكَمْ حِكْمَةٌ أَبْدَى لِصَاحِبِهِ حَيْثُ نَوَّرَهُ بِطَاعَةِ رَبِّهِ وَمُخَالَفَةِ هَوَاهُ، فَإِنَّ الْعَقْلَ إِذَا⁽⁵⁾ عَقَلَ صَاحِبُهُ عَنِ الْهَوَى نَطَقَ بَيْنَايِعِ⁽⁶⁾ الْحِكْمَةِ.

وَفِي الْحَدِيثِ : «مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ»⁽⁷⁾ وَقَالَ [أَيْضًا] عَلَيْهِ السَّلَامُ : «مَنْ أُعْطِيَ زُهْدًا وَسُمِّيَ⁽⁸⁾ حَسَنًا⁽⁹⁾ فَاقْرَبُوا مِنْهُ، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَلْقَى إِلَيْهِ»⁽¹⁰⁾ أَوْ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَالْحِكْمَةُ الْإِصَابَةُ فِي الشَّيْءِ، وَقِيلَ : إِتْقَانُ الشَّيْءِ وَإِدْاعُهُ، وَمَحَلُّهَا الْقَلْبُ وَتَظْهَرُ آثَارُهَا عَلَى الْجَوَارِحِ. فَفِي الْيَدِ⁽¹¹⁾ مَثَلًا، بِالصَّنَائِعِ الْعَجِيبَةِ، وَفِي اللِّسَانِ بِالْمَعَانِي الْغَرِيبَةِ. وَلِذَلِكَ يُقَالُ :

(1) فِي خ : هَذَا اللَّهُ، وَلَيْسَ هَذَا مَقْصُودُ النَّازِمِ، «فَهْدَاهُ» رَاجِعَةٌ إِلَى الْعَقْلِ.

(2) فِي ر : لَاحَ لَكَ، وَالصَّحِيحُ : إِذَا لَاحَ لَهُ شَيْءٌ مِنْهُ...

(3) فِي «ر» وَ«خ» : الْجُمْلَةُ مِنْ : فَطَبَّقَ إِلَى : وَالسُّنَّةُ نَاقِصَةٌ.

(4) وَهَذَا بِطَبِيعَةِ الْحَالِ مَذْهَبُ الْأَشْعَرِيِّ الْعَقْدِيِّ، ذَلِكَ أَنَّ رَأْيَ الْأَشْعَرِيِّ وَرَأْيَ أَهْلِ السُّنَّةِ عَامَةٌ يَعتَبَرُ أَنَّ النِّظَرَ الْعَقْلِيَّ فِي فَهْمِ الْعَقِيدَةِ لَيْسَ بِدَعَةٍ، وَإِنَّا هُوَ ذُو فَائِدَةٍ كَبْرَى فِي إِثْبَاتِ الْعَقِيدَةِ بِالْحُجُجِ وَالْأَدْلَةِ النَّظَرِيَّةِ، وَلَكِنْ فَائِدَةُ الْعَقْلِ مُتَعَلِّقَةٌ بِوُجُودِ النِّقْلِ قَبْلَ الْعَقْلِ. فَالْعَقْلُ فِي خِدْمَةِ النِّقْلِ وَالشَّرْعِ، وَلَيْسَ الْعَقْلُ قَبْلَ رُودِ الشَّرْعِ كَمَا اعتقدتِ الْمُعْتَزَلَةُ.

الْعَقْلُ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ تَابِعٌ لِلنِّقْلِ وَلَيْسَ سَابِقٌ عَلَيْهِ، وَلَا يُلْزَمُ بِأَحْكَامِ الْعَقْلِ إِلَّا إِذَا أَيْدَاهَا الشَّرْعُ.

(5) فِي خ : فَإِذَا الْعَقْلُ إِنَّمَا عَقَلَ...

(6) فِي «ر» وَ«خ» : بَيْنَايِعِ.

(7) الْحَدِيثُ. أَنْظَرُ مَا رَوَى عَنْ مَالِكٍ قَالَ : «بَلَّغْنِي أَنَّهُ مَا زَهَدَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا وَاتَّقَى إِلَّا نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ»، سِيرَ أَعْلَامُ النِّبَلَاءِ لِلذَّهَبِيِّ. ج 8، ص 109.

(8) فِي خ : صَمْتًا، وَهُوَ تَحْرُفُ. الصَّحِيحُ : السَّمْتُ الْحَسَنُ : الطَّرِيقُ الْجَادُّ وَحَسَنُ النِّحْوِ، وَكَذَا فِي الْحَدِيثِ.

(9) فِي ر : حَسَنَةٌ.

(10) الْحَدِيثُ. فِي «ر» وَ«خ» ... فَإِنَّهُ يَلْقَى الْحِكْمَةَ. نَصَ الْحَدِيثِ كَمَا وَرَدَ فِي كِتَابِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ ج 2 ص 1373 : «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَقَلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْرَبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يَلْقَى الْحِكْمَةَ.

(11) فِي خ : «الْعَبْدُ» وَهُوَ تَحْرِيفُ.

نَزَلَتِ الْحِكْمَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَعْضَاءٍ مِنَ الْجَسَدِ : عَلَى قُلُوبِ الْيُونَانِ، وَعَلَى أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ، وَعَلَى أَيْدِي أَهْلِ الصِّينِ. فَإِنَّ الْيُونَانَ قَدْ أُعْطُوا النِّظَرَ فِي الْعَقْلِيَّاتِ، وَاسْتَخْرَجُوا الْبَرَاهِينَ الْمُنْطَقِيَّةَ⁽¹⁾. وَالْعَرَبُ قَدْ أُعْطُوا الْحِكْمَةَ فِي أَشْعَارِهِمْ وَخُطْبِهِمْ. وَأَهْلُ الصِّينِ⁽²⁾ قَدْ أُعْطُوا الصَّنَائِعَ الْبَدِيعَةَ فِي الْبُنْيَانِ وَالنَّقْشِ وَالْأَوَانِي الرَفِيعَةِ.

و«كَمْ مِنْ مُمْلِقٍ»، أَي [كَمْ مِنْ] فَقِيرٍ⁽³⁾ «أَغْنَى»، أَي صَبَّرَهُ غِنًى. وَذَلِكَ حَيْثُ ذَلَّه⁽⁴⁾ عَلَى صَحْبَةِ الْعَارِفِينَ وَوَصَّلَهُ إِلَيْهِمْ، وَالْوَصُولُ إِلَيْهِمْ يَغْنِي وَلَوْ بِالنِّظَرِ. وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ «أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِي» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «الْخُلُوةُ مَعَنَا نَفِيسَةٌ تَوْجِبُ غِنَى الدَّارَيْنِ»⁽⁵⁾ وَقَالَ أَيْضاً : «طَرِيقُنَا طَرِيقُ الْغِنَى الْأَكْبَرِ»⁽⁶⁾. وَقَالَ الشَّيْخُ «أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُرْسِي» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «وَاللَّهُ⁽⁷⁾ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ إِلَّا أَنْ أَنْظَرَ إِلَيْهِ وَقَدْ أَغْنَيْتُهُ»⁽⁸⁾ وَكُلُّ زَمَانٍ لَهُ رِجَالٌ يَغْنُونَ بِالنِّظَرِ، فَالْعَقْلُ الَّذِي جَرَّ صَاحِبَهُ لِلدَّخُولِ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ بِاللَّهِ هُوَ الْعَقْلُ الْمَغْنِي صَاحِبُهُ.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : خَيْرٌ مَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ⁽⁹⁾ عَقْلٌ يَزْجُرُهُ، [فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَحَيَاءٌ يَمْنَعُهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَمَالٌ يَسْتُرُهُ]⁽¹⁰⁾، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَصَاعِقَةٌ تَحْرِقُهُ

(1) ويقصد هنا أن بلاد اليونان وفي غضون القرن السادس قبل الميلاد : (6 ق م)، قد نشأت فيها الفلسفة باعتبارها تفكيراً نظرياً منظماً تنظيمياً منطقياً في الله والعالم والإنسان وكذلك في المجتمع وأساسه ونظمه وظواهره. فكانت الفلسفة بذلك نظرة واعية متكاملة ومتناسقة إلى الكون يشيدها عقل الإنسان على أسس برهانية ونقدية - إشكالية.

(2) في ك : وأهل اليمن، وهو تحريف من الناسخ.

(3) والفقر هنا يعني : ذلك المقام الشريف، وسمي الصوفية بالفقراء لتخليهم عن الأملاك، وحقيقته أن لا يستغني العبد إلا بالله.

(4) في ر : دَلَّلَ.

(5) يقول الشاذلي كذلك : «إذا أردت أن تكون مرتبطاً بالحق فتبرأ من نفسك وأخرج عن وقتك» الطبقات ص 33.

(6) يقول الشاذلي كذلك : «ليس هذا الطريق بالرهبانية... وإنما هو بالصبر على الأوامر، واليقين في الهداية...» الطبقات ص 25-26.

(7) في خ : و«الله» ناقصة.

(8) أنظر كتاب لطائف المنن، في قوله في الحقائق والمقامات.

(9) في خ : المرء.

(10) في ك لم يرد ما بين قوسين.

ليستريح منه البلاد والعباد. ولأجل ما ظهر عليه من المنافع، اعتنى بشأنه كبار الفلاسفة وغيرهم كما قال الناظم :

وَتَيْمَ أَلْبَابَ الْهَرَامِيسِ كُلِّهِمْ
وَحَسْبُكَ مِنْ سَقْرَاطٍ ⁽¹⁾ أَسْكَنَهُ الدَّنَا
وَجَرَّدَ أَمْثَالَ الْعَوَالِمِ كُلِّهَا
وَأَبْدَى ⁽²⁾ لَأَفْلَاطُونٍ ⁽³⁾ فِي الْمَثَلِ الْحُسْنَى ⁽⁴⁾
وَهَامَ أَرْسَطُو ⁽⁵⁾ حَتَّى مَشَى مِنْ هَيَامِهِ
وَبَثَّ الَّذِي أَلْقَى إِلَيْهِ وَمَا ظَنُّنَا
وَكَانَ لِذِي الْقَرْنَيْنِ عَوْنًا عَلَى الَّذِي
تَبَدَّى لَهُ وَهُوَ ⁽⁶⁾ الَّذِي طَلَبَ الْعَيْنَا
وَيَبْحَثُ عَنْ أَسْبَابِ مَا قَدْ سَمِعْتُمْ
وبالبحث غطى العين إردؤه غينا

(1) في ك : بقراط وهو تحريف من الناسخ، والمقصود هو سقراط. وسقراط : (Socrate) [469ق م - 399 ق م] فيلسوف جريء في آرائه، حول الفلسفة من النظر إلى المجهول والماورائيات، محاولاً إقناع المفكرين أن الحقيقة قد تكون كامنة في أعماق الإنسان نفسه، فكان يساهم كثيراً في تحويل الفلسفة من الغيبات إلى منطق فكري يعتبر الإنسان مركز الوجود، وأن العقل هو طريق المعرفة والقياس...

(2) في خ : وأبرأ، وهو تحريف، وفي ر، وفي الديوان : «أبدى».

(3) في خ، وفي ر، «أفلاطون».

وأفلاطون : (Platon) من فلاسفة اليونان [470 ق م - 399 ق م] الذين كان لهم أثر كبير على ظهور الفلسفة المثالية، في مقابل الفلسفة الطبيعية والواقعية الأرسطية، من أهم مؤلفاته كتاب الجمهورية. أنظر ترجمة حياته في : تاريخ الحكماء ص 197، والملل والنحل 88/2، وتاريخ الفلسفة اليونانية ص 50.

(4) في «خ» و«ك» : «أمتل»، وفي ر : «مثل حُسْنَى» بينما في الديوان : «في المثل الحُسْنَى»، وهو الصحيح.

(5) أرسطو : (Aristote) أشهر فلاسفة اليونان [384 ق م - 322 ق م] وهو مؤسس علم المنطق، وعلم الطبيعة وما بعد الطبيعة. أنظر ترجمته في : الملل والنحل ج 2، ص 119 - 127، والفهرسة لابن النديم ص 359، وتاريخ الفلسفة اليونانية ص 112 - 208. وفي «خ» و«ر» و«ك» كتبت أرسطو بدون همزة «رسطو».

(6) في خ : وهم.

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَتَيَّم [الْعَقْل] أَلْبَابَ «الْهَرَامِس»، أَي أَخَذَ⁽¹⁾ مَجْمَاعَ قُلُوبِهِمْ حِينَ⁽²⁾ صَرَفُوا عِنَانَ عِنَايَتِهِمْ لِشَأْنِهِ. وَالْهَرَامِس : الْفَلَّاسِفَةُ أَوْ الْكِبَرَاءُ⁽³⁾ مِنْهُمْ وَجَلَّهِمْ كَانُوا مِنَ الْيُونَانِ.

وَفِي الْقَامُوسِ الْهَرْمَاسُ بِالْكَسْرِ : الْأَسَدُ⁽⁴⁾ الشَّدِيدُ الْعَادِي عَلَى النَّاسِ كَالْهَرْمِيسِ وَالْهَرَامِس. وَلَعَلَّ تَسْمِيَةَ الْفَلَّاسِفَةِ بِذَلِكَ لَشِدَّةِ عُقُولِهِمْ أَوْ لَعُدْوَانِهِمْ⁽⁵⁾ إِذْ جُلَّهِمْ كَفَّارٌ⁽⁶⁾.

وَحَسْبُكَ مِنْ «سُقْرَاطٍ»⁽⁷⁾ أَنَّهُ أَسْكَنَهُ الدُّنَا، أَي وَكَفَّفِكَ فِي الْعَقْلِ أَنَّهُ أَسْكَنَ سُقْرَاطُ الْحَكِيمُ الدُّنَا، أَي الْجَرَّةَ، وَهِيَ الْآنِيَةُ الْكَبِيرَةُ الَّتِي تُغْرَسُ فِي الْأَرْضِ أَسْفَلُهَا ضَيْقٌ وَأَعْلَاهَا وَاسِعٌ وَيُقَالُ لَهَا : الرَّاقُودُ⁽⁸⁾. وَفِي الْقَامُوسِ : الدُّنُ : الرُّقُودُ الْعَظِيمُ⁽⁹⁾. ثُمَّ قَالَ : لَا يَقْصُدُ⁽¹⁰⁾ إِلَّا أَنْ يَحْفَرَ لَهُ⁽¹¹⁾، وَذَلِكَ أَنَّ سُقْرَاطَ⁽¹²⁾ دَخَلَ جَرَّةً وَجَلَسَ فِيهَا لِيَحْصُرَ فِكْرَهُ لِئَلَّا يَشْوَشَ عَقْلُهُ. وَتَقَدَّمَ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ «مُوسَى» عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ لَهُ : لَوْ ذَهَبْتَ إِلَيْهِ لَتَأْخُذَ عَنْهُ

(1) فِي خ : «مَجْمَاع» نَاقِصَةٌ.

(2) فِي خ : حَيْثُ.

(3) فِي «ر» وَ«خ» : وَالْكَفَّارُ.

(4) فِي ر : «الْأَسَدُ»، نَاقِصَةٌ.

(5) فِي ر : لِعَدَاوَتِهِمْ.

(6) وَالْهَرْمَسِيَّةُ : نَسَبَةٌ إِلَى هَرْمَسِ (Hermes) الَّذِي يُعْتَقَدُ أَنَّهُ «إِدْرِيسُ» النَّبِيُّ أَوْ «أَخْنُوخُ». وَشَخْصِيَّتُهُ مُخْتَلَفٌ فِيهَا، فَهُوَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ مُؤَسِّسُ الْعُلُومِ وَالْفَلَسَفَةِ خُصُوصًا الطَّبِّ وَالْكِيمَاءِ وَالْفَلَكَ وَالتَّنْجِيمِ، يَرَدُّ ذِكْرُهُ كَثِيرًا فِي الْمَصَادِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِثْلَ : «الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ» ج 2، ص 1425، وَ«الْفَهْرَسْتُ» لِابْنِ النَّدِيمِ، ص 494.

وَالْفَلَسَفَةُ الْهَرْمَسِيَّةُ فَلَسَفَةٌ لَعِبَتْ دَوْرًا هَامًا فِي الْفِكْرِ الْهَلِينِيِّ الْمَتَأَخَّرِ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَقَدْ ذَكَرَ «نَجِيبٌ بَلَدِي» فِي مَهْمِيدِ تَارِيخِ مَدْرَسَةِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، دَارَ الْمَعَارِفِ، 1962، «أَنَّ هَذِهِ الْفَلَسَفَةَ تُعْتَبَرُ مَزِيجًا مِنَ الْأَفْلَاطُونِيَّةِ وَالْحِكْمَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ وَبَعْضِ أَسَاطِيرِ الْيُونَانِ».

(7) فِي خ، وَفِي ر : بِقَرَاطٍ وَهُوَ خَطَأٌ، لِأَنَّ «بِقَرَاطٍ» أَوْ «بِقَرَاطٍ» كَانَ طَبِيبًا وَلَمْ يَكُنْ فِيلَسُوفًا بِالْمَعْنَى الدَّقِيقِ لِلْكَلِمَةِ..

(8) فِي خ : الرُّقْدُ.

(9) فِي ر : رُقُودٌ عَظِيمٌ.

(10) فِي ر : «لَا يَعْقِدُ».

(11) فِي خ : يَحْضُرُ. وَفِي ر : يَحْضُرُ لَهُ.

(12) فِي ر، وَفِي خ : بِقَرَاطٍ.

الشريعة. فقال نحن قوم مهذبون⁽¹⁾ لا نحتاج إلى أحد⁽²⁾، فأزاده عقله حيث صرفه عن التمسك بأنوار الشريعة فكان من الضالين.

وقوله : و«جرّد⁽³⁾ أمثال العوالم»، يحتمل⁽⁴⁾ أن يعود الضمير على العقل، أي⁽⁵⁾ ومن شأن العقل أنه جرّد العوالم العلوية والسفلية، وميز بعضها من بعض⁽⁶⁾ ويحتمل أن يرجع «لأفلاطون»⁽⁷⁾، فإنه تكلم عن العوالم الحسية بعقله وحذسه. لأن علم النجوم والأفلاك جلّه مأخوذ عن الفلاسفة. و«أفلاطون» من الفلاسفة القدماء⁽⁸⁾.

يقال : إنه كان بعد الطوفان بقریب، ولعله تمسك بشريعة نوح عليه السلام أو غيره من الأنبياء. ولذلك قال الناظم في حقه : «وأبدى»⁽⁹⁾ أي أنشأ العقل أفلاطون في أمثل⁽¹⁰⁾ الحسنى، أي في أفضل الطرق⁽¹¹⁾ الحسنى، أي جعله ناشئاً فيها وملازماً لها إذا كان موافقاً للحق باعتقاده، على ما ذكره بعض من عرف به. قاله⁽¹²⁾ الشيخ «زروق» وذكر «ابن خلدون»⁽¹³⁾ في «شفاء

(1) في ر : مهذبون.

(2) في خ : أخذ.

(3) في خ : وجرّد.

(4) في ر : لم يحتمل.

(5) في خ : «أي» ناقصة.

(6) في ر : «العلوية والسفلية، وميز بعضها عن بعض» ناقصة.

(7) في ك : لبقراط وهو خطأ.

(8) في خ : و«أفلاطون» ناقصة.

(9) في خ : وأبرأ ؟

(10) في خ : أمثال.

(11) في خ : ناقصة.

(12) في ر : قال.

(13) ابن خلدون : هو عبد الرحمن بن خلدون (732هـ - 808هـ) مؤرخ وعالم اجتماعي ينتمي إلى الغرب الإسلامي، اهتم كذلك بالتصوف، من أهم مؤلفاته : المقدمة، تاريخ العرب والبربر، وشفاء السائل.

المسائل»⁽¹⁾ : أن أفلاطون شيخ الصوفية. قال الشيخ «زروق» وفيه نظر، أي لأنه⁽²⁾ لم يذكر في هذه الأبيات إلا⁽³⁾ الفلاسفة الأقدمين.

قلت : ثم رأيت في «الإنالة»⁽⁴⁾ «التجيب»⁽⁵⁾ أنه شيخ «أرسطو». ونصه : «وأفلاطون قال بحدوث العالم»⁽⁶⁾ وتلميذه «أرسطو» [قال] بقدميه. و«أرسطو» من كبار الفلاسفة، ويُقال له : «أرسطو طالس». وهو أحد المشائين الذين كان مشيهم على ساحل البحر لطلب الزيادة فيما بدا له. فكان مشيه وهيامه طرباً مما حصل، وطالبا لما لم يحصل وهذا معنى قوله : «وهام أرسطو حتى مشى من هيامه». ويقرأها «رسطو» بحذف الهمزة للوزن، والهيام نوع من العشق في طرب. وقال في القاموس : الهيام كالجنون⁽⁷⁾ من العشق.

(1) كتاب «شفاء السائل» : في هذا المؤلف بحث التصوف عامة كعالم اجتماع في الدين، وليس كعالم اجتماع واسع الأفق والمدارك والاجتهاد كما فعل ذلك في «المقدمة». وذلك راجع للقيود وثقلها التي وضعت في طريقه، وهي قيود ترتبط بالقواعد والأسس المذهبية التي وضعت للفقهاء والمفتين، فجاء موقفه باعتباره فقيها مفت، موقف مقلد تابع لمواقفهم ولا يتجاوزها.

ومن هنا كان في «المقدمة» ينظر إلى التصوف ويقارب قضاياها بشكل علمي وموضوعي، بينما كان في الشفاء منهجه فقهي أشعري معطل للاجتهاد. نظر إلى التصوف نظرة المدافعين عن مذهب السلف الجاري على الكتاب والسنة واتباع الأولين، ضد كل تصوف مشوب بالبدع، فجاء أكثر ما كتبه، هجوما على التصوف المتفلسف.

(2) في ر : أي أنه.

(3) في ر : «إلا» ناقصة.

(4) «الإنالة العلمية في الرسالة العلمية في طريق المتجربين من الصوفية» وهو كتاب يلخص «الرسالة العلمية» في التصوف «لابن الحسن الششتري» وقد قمنا بتحقيقها تحت عنوان «الرسالة الششترية» ط 1، دار الثقافة 2004.

(5) التجيبي : وهو : «أبو عثمان بن ليون التجيبي» (681هـ - 750هـ) هو أهم من اهتم بتصوف الششتري، وأول من ترجم له وقام بتلخيص وتهذيب «رسالته العلمية». من مؤلفات «التجيبي» : إبرام الديم «وفي المواعظ والحكم».

(6) أنظر الرسالة الششترية، ص 132، نفس المصدر.

(7) في خ : «كالجنون».

وقوله : و«بث» الخ.. أي أن «أرسطو» بث ما ألقى إليه عقله من العلوم وَالْحِكْمَةَ فعلمها الناس. «وما ظنُّ»، أي [لم] ييخل بشيء منها. وله كتب في الطب والحكمة⁽¹⁾، وكان وزيراً لذي «القرنين» فكان «ذو القرنين» يستعين به في أمور الْحِكْمَةِ وتدبير المملكة. وهذا مَعْنَى قوله : «وكان لذي القرنين عوناً على الَّذِي تَبَدَّى لَهُ» أي كَانَ عَوْناً لَهُ على ما ظهر له من الْمُلْكِ، وما خصَّه اللَّهُ به من تيسير الأسباب المبلغة لما قصده⁽²⁾ من الأواب⁽³⁾، [جمع أوبة]. فكان يستعين به في عالم الْحِكْمَةِ وإن كان على غَيْرِ دينه، لأن «ذا القرنين الأكبر» قيل كَانَ نَبِيّاً أو رجلاً صالحاً. وذكر أهل التفسير أنه حج البيت فلقى سيدنا إبراهيم الخليل وأخذ عنه الشريعة الحنيفية.

وقوله : «وهُوَ الَّذِي طَلَبَ الْعَيْنَا». يَحْتَمِلُ أن يكون «أرسطو» هو الَّذِي طَلَبَ عَيْنَ الْحَيَاةِ، [وهي] التي مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لم يمت إلى آخر الدَّهْرِ. ويحتمل أن يكون «ذو القرنين» وهو المشهور، قيل لأنه قد كَانَ يطلبُ عَيْنَ الْحَيَاةِ هو و«الخَضِر» عليه السلام. فَعَثَرَ عَلَيْهَا «الخَضِر» وَحُرِمَهَا «ذو القرنين»، كما قال بعض المفسرين، [أي رَدَّ بَحْثَهُ عَنْهَا غِنَاءً]⁽⁴⁾. بل⁽⁵⁾ وَهُوَ أَيْضاً الَّذِي كَانَ يَبْحَثُ عَنْ أسباب ما قد⁽⁶⁾ سمعتم في القرآن من جَوْلَانِهِ فِي الْأَرْضِ شَرْقاً وَغَرْباً وَجَوْفاً وَقَبْلَةً. وَيَبْحَثُ أَيْضاً عَنْ عَيْنِ الْحَيَاةِ، وَيَبْحَثُ عَنْهَا وَحِرْصُهُ عَلَيْهَا حُرْمَتُهَا وَتَغَطَّتْ عَنْهُ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ : وَ«بِالْبَحْثِ غَطَّى الْعَيْنَ إِذْ رَدَّهَا غِنَاءً». أي رَدَّ بَحْثَهُ عَنْهَا غِنَاءً أَيْ غِطَاءً وَسِتْرًا لَهَا عَنْهُ.

وقال الشيخ «زروق» رضي اللَّهُ عَنْهُ، وَ«بِالْبَحْثِ غَطَّى ذُو الْقَرْنَيْنِ الْعَيْنَ»، أي بالكشف الذي حَصَلَ لَهُ رَدُّهَا غِنَاءً، أي غِطَاءً وَغِشَاءً⁽⁷⁾ أي حيث

(1) في خ : من : «فعلمها الناس» إلى : «والحكمة» ناقصة.

(2) في ر : قصد.

(3) في ر : من الأرباب، وهو تحريف، والصحيح هو الأواب من الأوبة : أي المقصد.

(4) في «ر» و«ك» : ناقصة.

(5) في «ر» و«ك» : «بل» ناقصة.

(6) في ر : «قد» ناقصة.

(7) في ر : وغطاء.

ظن الجاهل أن ملكه كان مقيداً⁽¹⁾ بالأسباب. وما كان كذلك بل كان مؤيداً بالوحي إن كان نبياً، وبالإلهام إن كان ولياً فافهم».

ثم قال : تنبيه : ذَكَرَ رجالاً مُرتَبِينَ على المواقف الأربعة : «فسقراط»⁽²⁾ من الواقفين مع العقل، و«أفلاطون» من السَّائرين به، و«أرسطو» من أهل الحِكْمَة، و«ذو القرنين» من أهل الغِنَى الأكبر سواء قلنا إنه نبيٌّ أو وليٌّ. فتأمل ذلك»⁽³⁾.

ثم ذكر النَّاطِمُ رجالاً اِهْتَدَوْا بِعقولهم إلى الحقِّ. من المِلَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ فقال :
وَذَوَّقْ لِلْحَلَّاجِ طَعْمَ اتِّحَادِهِ فَقَالَ أَنَا مَنْ لَا يُحِيطُ بِهِ مَعْنَى⁽⁴⁾
فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ مَقَالِكَ قَالَ لَا شَرِبْتُ مُدَاماً كُلُّ مَنْ ذَاقَهَا غَنَى⁽⁵⁾
وَأَنْطَقَ لِلشُّبْلِيِّ بِالْوَحْدَةِ الَّتِي أَشَارَ بِهَا لَمَّا مَحَا عِنْدَهُ الْكُونا
وَكَانَ لِذَاتِ النَّوْفَرِيِّ⁽⁶⁾ مُوَلَّهَا يُخَاطَبُ بِالتَّوْحِيدِ، صَيَّرَهُ خِدْنَا
وَكَانَ خَطِيباً بَيْنَ ذَاتَيْنِ مَنْ يَكُنْ فَقِيراً يَرَى الْبَحْرَ الَّذِي فِيهِ قَدْ خُضْنَا
وَأَصَمَّتْ لِلْجِنِّيِّ⁽⁷⁾ تَجْرِيدَ خَلْقِهِ مَعَ الْأَمْرِ إِذْ صَارَتْ فَصَاحَتُهُ لُكْنًا⁽⁸⁾

يقولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَذَوَّقَ الْعَقْلَ حِينَ تَنَوَّرَ وَاتَّصَلَ نُورُهُ بِالْعَقْلِ
الأكْبَرِ «للحلاج» وهو «أبو مغيث الحسين بن منصور»، صَحْبَ الْجُنَيْدِ

(1) في ر : مُقَيَّد.

(2) في ر، وخ : بقراط.

(3) أنظر شرح النونية للشيخ زروق، مخطوط الأسكوريال بإسبانيا رقم 4 - 168. والمخطوطات الملكية 5693 مدريد 4956.

(4) في ر، وفي خ : معنا، وفي الديوان : معنى.

(5) في ر، وفي خ : غنا، وفي الديوان : غنى.

(6) النوفري : وفي الديوان : النفري : وهو محمد بن عبد الجبار النفري (توفي 354هـ) صاحب كتاب «المواقف في التصوف» وقد شرحه «عفيف الدين التلمساني». (أنظر كشف الظنون 561/2).

(7) الجنى : قال الشيخ زروق : أظن أنه «ابن جنى» النحوي، الذي ألف كتاباً ذكر فيه فصاحة الإنسان وعقله ومداها.

(8) ويقصد أن العقل أصمَّت «لابن جنى» كتابه الذي سماه : «تجريد خلق الإنسان» وإنما أصمته لأن الأمر يقتضي أكثر مما ذكر فيه. وهكذا غدت فصاحة «ابن جنى» لُكْنَةً إزاء العقل، - ولا يعرف لابن جنى كتاب بهذا العنوان -.

والتوري وغيرهما، وهو من أكابر الأولياء المحققين. غير أنه غلب عليه الوجد، فعرفه في الحقيقة حتى مات عليها. فقد ذوق له عقله طعم اتحاد، أي طعم فنائه. فالاتحاد يطلق على معنيين: أحدهما اختلاط ذاتين حتى تصيرا ذاتاً واحدة، وهذا محال في حقه تعالى ومن اعتقده فهو كافر. والثاني يطلق على الوحدة الحقيقية. يقال: اتحد الشيء إذا صار واحداً، وهو الذي يعبر عنه الصوفية ويذكرونه في أشعارهم، فهو كناية عن سقوط الغيرية والإنسية، فيبقى من لم يكن ويبقى من لم يزل.

قال «الحلاج» حين غاب عن وجوده في شهود محبوبه: «أنا من لا يحيط به معنى»، أي أنا الله الذي لا تحصره معنى، ولا يحيط به وهم ولا فكر. وقال أيضاً من جملة الكلام الذي قُتل به: أنا أنت بلا شك، سبحانك سبحاني، وتوحيدك توحيدي، وعصيانك عصياني، ما في الجبة إلا الله، والذي تعبدون تحت قدمي. ف قيل له: ارجع عن مقالِك وإلا قتلَك سيف الشريعة. فقال: لا أرجع لأني شربت مُداماً، أي خمرَ قوية، كل من ذاقها غنى، لاسيما إذا شرب وسكر. وفي هذا قال من عبّر عن حاله:

سقوني وقالوا لا تُغني ولو سقوا جبال حنين ما سقوني لغنت

والنطق بالأنانية صدر عن كثير من الأولياء في حال فنائهم. قال بعضهم: لقد قال كثير من الأولياء في مقام الفناء، أنا، وقال آخر في مقام البقاء: هو. فيقال للأول صدقت وما كذبت، ويقال للثاني: أحسنت وتأذبت. ولما حبس للقتل [وصلب]⁽¹⁾ قال له «الشبلي»: يا أبا المغيث ما معنى التفرد؟ فقال له: «هو أن ينفرد العبد بالواحد الأحد [الفرد]، فإذا رآه الحق قد انفرد عن الخلق، أمّنه من عذاب الطرد. فيصير للحق مشاهداً، والحق على لسانه شاهداً.

(1) في «خ» و«ك»: «وصلب» ناقصة.

فحينئذٍ يتخلصُ لمقام المعرفة، ويُوحى إلى خاطِرِهِ، ويحرس سرَّهُ عَمَّا سِوَاهُ. فلا يَرُشَح [منهُ] غير الحق من حضرة الحق بِالْحَقِّ»⁽¹⁾.

قال الشبلي رضي الله عنه [لِلْحَلَّاجِ] : فقلت له ما المعرفة ؟ فقال [الحَلَّاجُ]⁽²⁾ : « [حُبٌ⁽³⁾] اسْتِهْلَاكُ الْحِسِّ فِي الْمَعْنَى » فقلت له : ما المحبة ؟ فقال : « الغيبة عما سوى المحبوب ». فقلت له : ما الأنس ؟ فقال : « وجود الهيبة مع ارتفاع الخشية وغلبة الرجاء على الخوف »⁽⁴⁾. فقلت له : مَا الْوَجْدُ ؟ فقال : « لَهَبٌ يَنْشَأُ عَنِ الشَّوْقِ فِي الْأَسْرَارِ تَضْطَرِبُ⁽⁵⁾ بِهِ الْجَوَارِحُ ثُمَّ يَزُولُ لَأَنَّهُ مَقْرُونٌ بِالزَّوَالِ، وَيَبْقَى نَتِيجَتُهُ الْعِرْفَانِيَّةُ، لَا تَحُولُ وَلَا تَزُولُ »⁽⁶⁾.

ثم قال يا «شبلي» : «مَنْ رَاقِبَ اللَّهَ عِنْدَ خَطَرَاتِ قَلْبِهِ، عَصَمَهُ عِنْدَ حَرَكَاتِ جَوَارِحِهِ»⁽⁷⁾. ثم قال يا «شبلي» : أَلَسْتَ تَحْفَظُ كِتَابَ اللَّهِ. فقال الشبلي : بَلَى. فقال : قد قال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾⁽⁸⁾. فقال⁽⁹⁾ يا «شبلي» : إِذَا رَمَى اللَّهُ قَلْبَ عَبْدِهِ بِحَبَّةٍ⁽¹⁰⁾ مِنْ حَبِّهِ، نَادَى عَلَيْهِ مَدَى الْأَزْمَانِ بِلِسَانِ الْعِتَابِ. فقلت له : ما الْإِنْسُ ؟ فقال : وجود الهيبة مع ارتفاع الخشية وغلبة الرجاء على

(1) وقد لخص ابن عربي هذا التعريف في قوله : التفرد (التفريد وقوفك بالحق معك. اصطلاحات ابن عربي).

(2) في «ر» و«ك» : «الحلاج» ناقصة.

(3) في «خ» و«ك» : «حُب» ناقصة. ويقول كذلك في المحبة : «هي حالة تستولي على الحب حتى لا يشهد إلا المطلوب». كتاب هكذا «تكلم الجلاح»، ص 159.

كما يقول : «المحبة لذة، والحق لا يُلتذ به، لأن مواضع الحقيقة دَهْشٌ واستيفاء وحيرة» نفسه ص 160.

(4) في خ : من : «فقلت ما المحبة» إلى «على الخوف» ناقصة.

(5) في «خ» و«ر» : وتضطرب.

(6) قول الحلاج : أنظر المرجع السابق ص 160.

(7) قول الحلاج :

(8) الأنفال : 17.

(9) في «خ» و«ك» : «فقال» ناقصة.

(10) في ر : «حَبَّة» ناقصة.

الخوف⁽¹⁾». ثم قتل⁽²⁾ شهيداً رضي الله عنه ببغداد يوم الثلاثاء لستَ بقين من ذي الحجة سنة (306هـ) ست وثلاثمائة هجرية. وتأخرت وفاته عن الجنيد بتسع سنين.

أما ما ذكر بعضهم أن «الحلاج» تطور في بيته⁽³⁾ حتى ملأ البيت فلم يقدر أحد على إخراجه، فذكروا ذلك «للجنيد» فأتى إليه وقال : يا حسينُ فتحت في الإسلام ثغرة⁽⁴⁾ لا يسدها إلا رأسك. فاخرج وسلم. فَأَنْفَشَ بَدَنَهُ وَخَرَجَ مُسْتَسْلِماً شَاكِراً، ليس بصحيح⁽⁵⁾، لأن «الجنيد» مات سنة سبع وتسعين ومئتين (297هـ)، في قول الأكثر مِمَّنْ عَرَّفَ بِهِ، فكيف يحضر قَتْلَهُ؟ وكذا⁽⁶⁾ قول من قال في مخنة الصوفية أن الأمير⁽⁷⁾ قال للعلماء : قتلتم «الحلاج» وهو وليّ الله، وأنتم تريدون قتل «الجنيد»، فلا يصح أيضاً. إلا أن يكون وَقَعَ الغلطُ في تاريخ [مَوْتِ] «الحلاج» «للسعري» في طبقاته [فَانْظُرْهُ]⁽⁸⁾.

ثم رأيت «الشيخ ابن زكري» موافقاً «للسعري». نعم ذكر الفقيه العلامة «المسناوي» في نصرته خلافاً خفيفاً في وفاة «الجنيد». [فَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ].

قوله : و«أَنْطَقَ للشبلي». أي صيّر العقل الشبلي ناطقاً بالوحدة التي أشار في قوله : أَنَا النّقْطَةُ التي تحتَ الباءِ كَمَا مرَّ بيانه، لما محى عنه⁽⁹⁾ رؤية الكون، لم يجد إلا الوحدة. فقال : أنا النقطة التي فاضت من عين الجبروت،

(1) في «ر» وك : من : «فقلت له : ما المحبة...» إلى : «على الخوف» ناقصة.

(2) في خ : تصور في بيته.

(3) في خ : تصور في بيته.

(4) في خ : فتحت ثغراً. وفي ك : كُوة.

(5) في ر : مشكل. وفي خ : مشكك فيه.

(6) في خ : كذلك.

(7) في خ : أن الأمر.

(8) «الجنيد» تُوفي سنة 297هـ. أما الحلاج فقد قتل مصلوباً ببغداد سنة 309هـ مما ينفي قول

الجنيد في الحلاج !!

(9) في خ : مضى عن.

وذلك لأن الإنسان لما انطوى فيه الوجود بأسره فكأنه نقطة الكون،
والإشارة بالباء إلى بحر الجَبَروت التي تدفقت منه نقطة الكَوْن⁽¹⁾ وفي مَعْنَى
ذَلِكَ قِيلَ :

بين التذلل والتذلل نقطة في فهمها يتَحَيَّرُ النَحْرِيرُ⁽²⁾
هي نُقْطَةُ الْأَكْوَانِ إِنْ جَاوَزَتْهَا كنت المراد وعلمك الإكسير

والإمام «الشبلي» : هُوَ أَبُو بَكْرٍ، قيل اسمه جَعْفَرُ بْنُ يُونُسَ، وهو شيخ
الصوفية وإمام أهل الباطن. كَانَ صَالِحاً فَقِيهاً عَلَى مَذْهَبِ مَالِكِ ذُو الْأَنْبَاءِ
الْبَدِيعَةِ وَالْأَخْبَارِ الْغَرِيبَةِ، وَأَحَدَ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ. أَصْلُهُ
مِنْ خِرَاسَانَ مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا شَبْلَةٌ وَنَشَأَ بِبَغْدَادَ، فَكُتِبَ الْحَدِيثُ وَصَحِبَ
الْجَنِّيدُ وَمَنْ فِي وَقْتِهِ مِنَ الْمَشَايخِ، وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ⁽³⁾ :
«كَالْأَزْهَرِيِّ» وَ«الرَّازِيِّ»⁽⁴⁾ وَغَيْرَهُمَا. قَالَ «الرَّازِي» : لَمْ أَرْ فِي الصُّوفِيَةِ أَعْلَمَ
مِنْ «الشَّبْلِيِّ». وَقَالَ «الْجَنِّيدُ» فِيهِ : هُوَ عَيْنٌ مِنْ عَيُونِ اللَّهِ. خَلَّفَ أَبُوهُ سِتِينَ
أَلْفَ دِينَارٍ سِوَى الضِّيَاعِ وَالْعَقَارِ. قَالَ : فَأَنْفَقْتُهَا كُلَّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ
رَجَعْتُ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَلَا أَرْجِعُ⁽⁵⁾ إِلَى مَأْوَى⁽⁶⁾ وَلَا أَسْتَظْهَرُ بِمَعْلُومٍ. وَكَانَ⁽⁷⁾
جَسِماً بَدِيناً، فَقِيلَ لَهُ : إِنْ الْحُبَّةَ تَفْنِي⁽⁸⁾. فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَحَبُّ قَلْبِي وَمَا دَرَى بَدَنِي وَلَوْ دَرَى مَا أَقَامَ فِي السَّمَنِ

(1) في خ : الفقرة من : «لم يجد ... إلى ... نقطة الكون» ناقصة.

(2) النحرير : الحاذق، الفطن، العاقل. في «ك» : ففي فهمها ... في «خ» الشطر 2 من البيت
2 : كنت المراد وعندك ...

(3) في «خ» و«ر» : من الفقهاء. ناقصة.

(4) الرازي : هو أبو محمد عبد الله بن محمد الرازي، مولده ونشأته بنيسابور. صحب أبا عثمان
الخيري والجنيد وروما وسمنونا والشابلي وغيرهم. مات عام 353 هـ. ومات أبو بكر
الشبلي 334 هـ.

(5) في خ : رَجَعُ.

(6) في خ : داره.

(7) في ر : «كان» ناقصة.

(8) في خ : تقضي، وهو تحريف

وَرُئِيَ خَارِجاً مِنَ الْمَسْجِدِ يَوْمَ عِيدٍ وَهُوَ يَقُولُ :

إِذَا كُنْتُ لِي عِيداً فَمَا أَصْنَعُ بِالْعِيدِ
جَرَى حُبِّكَ فِي قَلْبِي جَرَى الْمَاءِ فِي الْعُودِ

وَسُئِلَ [الشبلي] عن الزُّهْدِ فَقَالَ : تَحْوِيلُ قَلْبِكَ عَنِ الْأَشْيَاءِ إِلَى رَبِّ الْأَشْيَاءِ⁽¹⁾. وَقَالَ فِي التَّصَوُّفِ : ضَبْطُ حَوَاسِكَ وَمُرَاعَاةُ أَنْفَاسِكَ، أَيْ أَوْقَاتِكَ. تَوَفَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ (334هـ) أَرْبَعَةَ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثُمِائَةً.

وَقَوْلُهُ : وَكَانَ لَذَاتِ «النُّوفَرِيِّ» مُوَلَّهًا، أَيْ وَكَانَ الْعَقْلُ لَذَاتِ النُّوفَرِيِّ مُوَلَّهًا⁽²⁾، أَيْ مُغَيَّبًا عَمَّا سِوَى الْحَقِّ.

قَالَ «الشَّيْخُ زُرُوقُ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «النُّوفَرِيُّ لَا أَعْلَمُ اسْمَهُ. وَلَا أَدْرِي حَقِيقَةً مَا كَانَ عَلَيْهِ تَعْرِيفًا، لَكِنْ مَا قَالَ هُنَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُسْتَغْرَقًا فِي التَّوْحِيدِ حَتَّى تَوَلَّاهُ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، صَارَ لَا يَخَاطَبُ وَلَا يَخَاطَبُ إِلَّا بِهِ. إِذْ صَارَ لَهُ كَالْخَلِيلِ الْمَلَازِمِ وَهُوَ الْحَذَنُ. [وَاللَّهُ أَعْلَمُ]⁽³⁾.

وَكَانَ «النُّوفَرِيُّ» خَطِيبًا بَيْنَ ذَاتَيْنِ، أَيْ بَيْنَ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ وَعَالَمِ الْأَشْبَاحِ، وَهَذَا مِنْ تَمَكُّنِهِ فِي مَقَامِ الْبَقَاءِ⁽⁴⁾.

وَقَوْلُهُ : «مَنْ لَمْ يَكُنْ فَقِيرًا خ» كَلَامٌ مُسْتَأَنَفٌ، بَيِّنَ فِيهِ أَنَّهُ لَا يَفْهَمُ كَلَامَهُ وَلَا يَتَذَوِّقُهُ إِلَّا مَنْ دَخَلَ الْبَحْرَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ، أَيْ مَنْ يَكُونُ فَقِيرًا حَقِيقِيًّا يَرَى الْبَحْرَ الَّذِي غُصْنَا فِيهِ ، وَيَفْهَمُ الْأَسْرَارَ الَّتِي أَشْرْنَا إِلَيْهَا فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَغَيْرِهَا. وَهَذَا كَقَوْلِهِ فِي بَعْضِ أَزْجَالِهِ :

سِرِّي لَا يَفْهَمُونَا إِلَّا مَنْ هُوَ مِثْلِي

(1) فِي خ : «إِلَى رَبِّ الْأَشْيَاءِ» نَاقِصَةٌ.

(2) فِي ر : الْجُمْلَةُ بَيْنَ أَيْ وَكَانَ... إِلَى مُوَلَّهًا، نَاقِصَةٌ.

(3) قَوْلُ زُرُوقَ : شَرْحُ النَّوْنِيَّةِ. وَفِي «خ» : لَا أَعْرِفُ.

(4) مَقَامُ الْبَقَاءِ : رُؤْيَا الْعَبْدِ قِيَامَ اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَقِيلَ بَقَاءُ الْعَبْدِ بِقِيَامِ اللَّهِ لَهُ فِي قِيَامِهِ قَبْلَ قِيَامِهِ لِلَّهِ بِاللَّهِ. وَقِيلَ هُوَ أَنْ يَغْنِي عَمَّا لَهُ وَيَقْبِي بِمَا لِلَّهِ، وَهُوَ مَقَامُ النَّبِيِّينَ [حَفْنِي، ص 35].

أَنْظُرِ الْفَنَاءَ وَالْبَقَاءَ بِـ«مَعْرَاجِ التَّشَوُّفِ...» لِابْنِ عَجِيْبَةَ ص 49 - 50.

قوله : «واصممت للجني» : قال الشيخ «زروق» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَظُنُّ أَنَّهُ يَعْنِي «ابن جَنِّي» النَّحْوِي. فَإِنَّهُ أَلْفَ كِتَاباً سَمَّاهُ : «تجريد خلق الإنسان»، فَذَكَرَ فِيهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالفصاحة والعقل، أي وَأَصْمَمَتِ الْعَقْلَ «لابن جَنِّي». كتابُهُ الَّذِي سَمَّاهُ : تجريد خلق الإنسان⁽¹⁾. وإنما أَصْمَمْتُهُ لِأَنَّ الْأَمْرَ يَقْتَضِي أَنَّهُ أَوْسَعَ مِمَّا ذَكَرَ فِيهِ، فَلَمَّا قَصَرَ⁽²⁾ فِيهِ أَصْمَمْتُهُ عَقْلَهُ.

وَقَوْلُهُ : «مَعَ الْأَمْرِ» أَي مَعَ اقْتِضَاءِ الْأَمْرِ أَوْسَعَ مِنْ ذَلِكَ لِاخْتِلَافِ اللُّغَاتِ وَمَوَارِدِهَا، وَاخْتِلَافِ⁽³⁾ أَسْبَابِ الْفَصَاحَةِ وَالبلاغة والبيان، فَصَارَتْ فَصَاحَةٌ «ابن جني» لَكُنَّا، أَي خَرَسًا. أَوْ فَصَارَتْ فَصَاحَةُ الْكَلَامِ لَكُنَّا أَي عَجْمَةً.

وَفِي الْقَامُوسِ : لَكِنْ⁽⁴⁾ كَفَرَحَ، لَكُنَّا مُحَرَّكَةٌ⁽⁵⁾. وَلَكُنَّةٌ وَلُكُونَةٌ فَهُوَ لَكِنْ⁽⁶⁾ : لَا يَفْهَمُ الْعَرَبِيَّةَ لِعَجْمَةٍ⁽⁷⁾ لِسَانِهِ⁽⁸⁾. وَحَاصِلُ الْكَلَامِ أَنَّ كِتَابَهُ الَّذِي أَلْفَهُ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْعَقْلِ، لَمْ يَتْلُغْ مِنْهُ الْمُرَامَ فَأَصْمَمْتُهُ عَقْلَهُ. وَقَالَ لَهُ : لَيْتَكَ سَكَتَ. و«ابن جَنِّي» : هُوَ أَبُو الْفَتْحِ، عَثْمَانُ بْنُ جَنِّي الْمَوْصِلِيُّ النَّحْوِيُّ، كَانَ⁽⁹⁾ إِمَامًا فِي الْعَرَبِيَّةِ، قَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى الشَّيْخِ «أَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ» وَقَعَدَ لِلْإِقْرَاءِ، فَرَأَاهُ شَيْخُهُ «أَبُو عَلِيٍّ» فِي حَلَقَةٍ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ يَأْخُذُونَ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ : أَتَزَيَّبْتَ وَأَنْتَ حِصْرَمٌ⁽¹⁰⁾. فَتَرَكَ حَلْقَتَهُ وَلَا زَمَهُ حَتَّى تَمَهَّرَ⁽¹¹⁾. وَكَانَ أَبُوهُ

(1) فِي ر : الْفَقْرَةُ : أَي وَأَصْمَمْتُ ... إِلَى الْإِنْسَانِ، نَاقِصَةٌ.

(2) فِي ح : قَصْرٌ : وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(3) فِي ر : مِنْ : «مَعَ الْأَمْرِ» إِلَى : «وَاخْتِلَافٍ» نَاقِصَةٌ.

(4) فِي ر : لَا كُنْ.

(5) فِي خ : مُحَرَّكًا.

(6) فِي ر : الْكُنْ.

(7) فِي ر : لِعَجْمِيَّةٍ.

(8) أَنْظَرَ لِسَانَ الْعَرَبِ : مَادَّةَ لَكِنْ.

وَالْقَامُوسُ الْمَحِيطُ : مَادَّةَ لَكِنْ.

(9) فِي ر : وَكَانَ.

(10) فِي خ : أَتَزَيَّبْتَ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَهَذَا الْقَوْلُ يُطْلَقُ عَلَى النَّوَائِغِ مِنْ طَلِبَةِ الْعِلْمِ الشَّبَابِ «تَزَيَّبَ قَبْلَ أَنْ يَتَحَصَّرَ» أَي نَضَجَ وَأَصْبَحَ زَيِّبًا حُلُوَ الْمَذَاقِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ حَصْرَمًا.

(11) تَمَهَّرَ : أَصْبَحَ مَهْرًا، أَي صَارَ حَذَقًا فِي صِنَاعَتِهِ : أَتَقَنَهَا مَعْرِفَةً.

جَنِيًّا⁽¹⁾ رومياً مملوكاً «لسليمان الأزدي». توفي ابن جني سنة اثنتين وتسعين
وثلاثمائة (392هـ).

ثم ذكر النَّازِمُ جَمَاعَةً أُخْرَى فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

تَشَى قَضِيبُ الْبَانِ مِنْ شُرْبِ خَمْرَةٍ⁽²⁾
فَكَانَ كَمِثْلِ الْغَيْرِ لَكِنَّهُ تَشَى
وَقَدْ شَدَّ بِالشُّوْذِيِّ عَنْ نَوْعِهِ فَلَمْ
يَمِلْ نَحْوَ أَخْذَانٍ وَلَا سَاكِنٍ⁽³⁾ الْمُدْنَا
وَأَصْبَحَ فِيهِ السَّهْرُورِيُّ خَائِفًا⁽⁴⁾
يَصِيحُ فَمَا يُلْقِي الْوُجُودُ لَهُ أَذْنَا
وَلَا ابْنَ قِيسٍ⁽⁵⁾ خَلَعَ نَعْلَ وَجُودِهِ
وَلَبَسَ إِحَاطَةً⁽⁶⁾ مِنَ الْحِجْرِ قَدْ تَبْنَا
أَقَامَ عَلَى سَاقٍ⁽⁷⁾ الْمَسْرَّةَ نَجْلُهَا⁽⁸⁾
لَمَّا رَمَزَ الْأَسْرَارَ وَاسْتَمَطَرَ الْمُزْنََا⁽⁹⁾
وَلَا حَ سَنَا بَرَقَ مِنَ الْقُرْبِ لِلنَّهْيِ
لِنَجْلِ ابْنِ سَيْنَاءَ⁽¹⁰⁾ الَّذِي ظَنَّ مَا ظَنَّنَا

(1) في ر : جني.

(2) في الديوان : خَمْرَةٍ.

(3) في الديوان : ولم يسكن.

(4) في الديوان : حائراً.

(5) في ر، خ : ولا بن قُسي.

(6) في الديوان : لبس إحاطات.

(7) في ر : شأن. وفي خ : شاق، وفي الديوان : ساق وهو الصحيح.

(8) في الديوان : نجله.

(9) في الديوان : «لَمَزَ مِنَ الْأَسْرَارِ فَاسْتَقَطَرَ الْمَزْنََا».

(10) في الديوان : ابن سينا.

يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : تَتَنَّى « قَضِيبُ الْبَانِ »⁽¹⁾ وهو رَجُلٌ من أَهْلِ الشَّامِ مِنْ أَرْبَابِ الْأَحْوَالِ، كَانَتْ تَظْهَرُ عَلَيْهِ عَجَائِبٌ وَغَرَائِبٌ، وَهُوَ مِمَّنْ اخْتَلَفَ فِيهِ بِالْقَبُولِ وَالرَّدِّ. خَرَّبَ ظَاهِرُهُ فَكَانَ يَجْلِسُ بِالْمَزَابِلِ، وَرَبَّمَا تَجَرَّدَ مِنَ الثِّيَابِ فَيَقِي⁽²⁾ عُرْيَانًا، وَكَانَ يَتَصَوَّرُ فِي صُورٍ⁽³⁾ مُتَعَدِّدَةٍ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ : تَتَنَّى : أَيْ صَيَّرَ مِنْ ذَاتِهِ اثْنَيْنِ مِنْ شُرْبِ خَمْرَةٍ، فَتَجَوَّهَرَ عَقْلُهُ وَخَرَجَ عَنْ طَوْرِ الْفَضْلَاءِ فِي الظَّاهِرِ فَكَانَ إِذَا تَطَوَّرَ يَرَى كَمِثْلَ الْغَيْرِ وَهُوَ بِعَيْنِهِ. «لَكِنَّهُ تَتَنَّى» : أَيْ رَجَعَ اثْنَيْنِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

و«الشَّوْذِي» هو «العَفِيفُ التَّلْمَسَانِي» المعروف بِ«الْحُلُوي»⁽⁴⁾، قَالَه «زُرُوق»، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى تَعْرِيفِهِ، وَمَعْنَى شَذَّ : أَيْ خَرَجَ الْعَقْلُ بِالشَّوْذِيِّ عَنْ

(1) قَضِيبُ الْبَانِ : هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَيْسَى، مِنْ ذُرِّيَةِ آلِ الْبَيْتِ، سُمِّيَ قَضِيبَ الْبَانِ، لِحِمَالِ قَدِهِ وَحَسَنِ مَنْظَرِهِ. تُوُفِيَ سَنَةَ 573 هـ بِالْمَوْصِلِ. كَانَ مِنْ أَرْبَابِ الْأَحْوَالِ، وَالنَّازِمِ يَشِيرُ إِلَى أَنَّهُ كَانَ ذَا تَلَوْنٍ. (أَنْظُرْ : تَرَاجُمُ الْأَوْلِيَاءِ فِي الْمَوْصِلِ الْخُدَبَاءِ ص 70 - 79، وَالنَّفَحَاتِ ص 525).

(2) فِي خ : فَبَقِيَ.

(3) فِي ر : صُورَةٌ.

(4) لَقَدْ سَقَطَ «زُرُوق» تَحْتَ وَطْأَةِ الْخَلْطِ بَيْنَ «الشَّوْذِيِّ الْحُلُويِّ» وَ«العَفِيفِ التَّلْمَسَانِيِّ»، وَلَمْ يَتَبَيَّنْ ذَلِكَ الشَّيْخُ «ابْنُ عَجَبِيَّةٍ».

ذَلِكَ أَنَّ الشَّوْذِيَّ الْحُلُويَّ هُوَ : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّوْذِيُّ الْإِسْبِيلِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْحُلُويِّ، وَهُوَ صُوفِي أَنْدَلُسِي مَغْمُورٌ. سُمِّيَ بِالْحُلُويِّ، لِأَنَّهُ كَانَ يَدُورُ فِي الْأَسْوَاقِ وَبِيَدِهِ طَبَقُ حُلُوى يَفْرُقُ بَعْضُهَا عَلَى الصَّبْيَانِ الصَّغَارِ، الَّذِينَ يَنْقُرُونَ لَهُ فِي أَكْفِهِمْ فَيَأْذِي شَطْحَاتٍ وَيَنْشُدُ مَقْطَعَاتٍ فِي الْحُبِّ الْإِلَهِيِّ، ثُمَّ يَبِيعُ حُلُوَاتِهِ وَيَشْتَرِي بِثَمَنِهَا صَعَامًا يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى الْمُحْتَاجِينَ. أَهْتَمَّ بِتَعْلِيمِ الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ بِجَوَامِعِ مَدِينَةِ مَرْسِيَّةٍ، حَيْثُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِي تَفْسِيرِ الْبِسْمَلَةِ عَشْرَةَ أَيَّامٍ مُتَتَالِيَةٍ وَقَدْ نَسَبَ لِلشَّوْذِيِّ عُلُومًا جَدِيدَةً فِي التَّصَوُّفِ : (مَزَجَ التَّصَوُّفَ بِالْفَلَسَفَةِ) وَعَرَفَ بِتَدْخُلِهِ فِي الشُّؤُنِ السِّيَاسِيَةِ.

وَنَحْنُ لَا نَعْرِفُ مِنْ آثَارِهِ سِوَى الْآيَاتِ التَّالِيَةِ الَّتِي تَبَيَّنُ أَنَّهُ مِنَ الْقَوْمِ :

إِذَا نَطَقَ الْوُجُودُ أَصْحَاحَ قَوْمٍ	بِأَذَانٍ إِلَى نُطْقِ الْوُجُودِ
وَذَاكَ النُّطْقُ لَيْسَ بِهِ انْعِجَاحٌ	وَلَكِنْ دَقٌّ عَنْ فَهْمِ الْبَلِيدِ
فَكُنْ قَطْنًا تُنَادِي مِنْ قَرِيبٍ	وَلَا تَكُنْ مِنْ يُنَادِي مِنْ بَعِيدٍ

تُوُفِيَ الشَّوْذِيُّ تَرْجِيحًا فِي مَطْلَعِ الْقَرْنِ 7 هـ.

(أَنْظُرْ تَرْجُمَتَهُ الْكَامِلَةَ بِكِتَابِ : «الْبُسْتَانِ فِي ذِكْرِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ بِتَلْسَمَانٍ» لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَرْيَمَ، الْجَزَائِرِ، 1908 ص 68 - 70).

نَوْعِهِ وَجِنْسِهِ مِنَ النَّاسِ، فَكَانَ مُنْفَرِداً وَخِدَانِيّاً فَارّاً مِنَ الْمُدُنِ وَالْقُرَى⁽¹⁾. لَمَّا صَقَلَتْ مِرَاةَ عَقْلِهِ تَأَنَسَّ بِاللَّهِ وَفَرَّ مِمَّا سِوَاهُ، فَلَمْ يَمِلْ لِأَصْحَابِ وَعِشَائِرٍ وَلَا سَاكِنِ الْمُدُنِ وَكِبَارِ الْمَدَاشِرِ، لِأَنَّ الْخُلُطَةَ تُشَوِّشُ الْفِكْرَةَ، سَيِّمًا هَرَجَ الْمُدُنِ، فَلَا يَقْوَى عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ قُوِيَ نُورُ مَعْرِفَتِهِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

و«السَّهْرُورِيُّ»: قَالَ الشَّيْخُ «زُرُّوقُ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْمُرَادُ بِهِ الْمَقْتُولُ صَاحِبُ «خَوَاصِّ الْأَرْبَعِينَ الْإِدْرِيسِيَّةِ» وَغَيْرِهَا. أَيِ صَاحِبِ الْعَوَارِفِ⁽²⁾، أَيِ وَأَصْبَحَ السَّهْرُورِيُّ خَائِفاً مِنْ جِهَةِ عَقْلِهِ فَلَمْ يَطُقْ مَا تَجَلَّى لَهُ مِنْ أَسْرَارِ خَوَاصِّ الْأَسْمَاءِ. فَكَانَ يَصِيحُ فِي الْعَالَمِ بِمَا عِنْدَهُ، فَلَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ نِدَاءَهُ وَلَا أَلْقَى إِلَيْهِ أَذْناً. وَفِي بَعْضِ النُّسخِ : يَصِيحُ بِالْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ. يُقَالُ : أَصَاخَ لِلْأَمْرِ: اسْتَمَعَ لَهُ، وَهَذَا بَعِيدُ الْمُنَاسَبَةِ.

و«ابن قَسِيٍّ»⁽³⁾ : هُوَ صَاحِبُ «خَلْعِ الثُّغَلَيْنِ وَاقْتِبَاسِ الثُّورَيْنِ مِنْ مَوْضِعِ الْقَدَمَيْنِ» قَالَ «زُرُّوقُ» وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ تَعْرِيفاً، غَيْرَ أَنَّهُ اعْتَرَضَ عَلَى النَّاطِمِ تَشْرِيفَهُ

= أَمَّا الْعَفِيفُ التَّلْمَسَانِي : فَهُوَ عَفِيفُ الدِّينِ التَّلْمَسَانِي، وَلَدَ بَتْلَمَسَانَ عَامَ 612هـ وَتَوَفَّى بِهَا عَامَ 690هـ. يَعتَبرُ الْعَفِيفُ مِنْ أَلَمَعِ مَرِيدِي الشَّيْخِ ابْنِ عَرَبِي، تَكْوِينُهُ فَقْهِي سَنِي عَمِيقٌ، دَرَسَ التَّصَوُّفَ وَالْأَدَابَ وَأَصُولَ الْفَقْهِ، وَرَغِمَ وَرَعَهُ وَأَخْلَاقُهُ الرِّضْيَةُ، كَانَ مَوْضِعَ رِيَّةٍ مِنْ طَرَفِ مَعَاصِرِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَجْهَلُونَ حَقِيقَةَ آرَائِهِ. مِنْ أَقْوَالِهِ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ : «مَنْ عَرَفَ اللَّهَ كَيْفَ يَخَافُهُ، وَاللَّهُ مِنْذُ عَرَفْتَهُ مَا خِيفْتَهُ وَأَنَا فَرَحَانُ بَلَقَاتِهِ».

(عن أخباره أنظر : دائرة المعارف الإسلامية ج 5، ص 564 وبركلمان : تاريخ الأدب العربي، ج 1، ص 257 وHerris Lahouste, Chiisme dans l'islame, Paris 1983, p. 284).
(1) يعني أنه كان صوفياً مباعداً للناس.

(2) وهنا كذلك وقع الشيخ ابن عجيبة في خلط بين السهروردي المقتول وأبي النجيب السهروردي صاحب العوارف.

ذلك أن المقصود بالسهروردي عند المشتري في هذا البيت هو أبو الفتوح يحيى بن حسن، الملقب بـ«شهاب الدين السهروردي المقتول» مؤسس مذهب الإشراق (549هـ - 588هـ)، وقد قتل بأمر من «صلاح الدين الأيوبي». من أهم مؤلفاته : كتاب «هياكل النور» و«حكمة الإشراق». (أنظر ترجمته : بفوات الوفيات ج 2، ص 345، شاكر الكتيبي ط بولاق 1283هـ. أما صاحب العوارف : فهو «أبو النجيب السهروردي» وليس هو المقصود في البيت الشعري.
(3) ابن قسي : هو «أحمد بن الحسين أبو القاسم»، شخصيته فكرية وسياسية هامة، لعبت دوراً أساسياً في توجيه التصوف وجهة خاصة، إذ طبعه بالأفكار الفلسفية والعنوصية =

بِذَلِكَ، لَأَنَّ أَهْلَ الطَّرِيقِ قَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ، أَيْ وَلَإِنَّ قِسِيَّ خَلَعَ نَعْلَ وَجُودِهِ، وَغَابَ عَنْهُ لَمَّا تَحَقَّقَتْ مَعْرِفَتُهُ بِاللَّهِ. وَلَعَلَّ كَلَامَ أَهْلِ الطَّرِيقِ حَيْثُ لَمْ يَفْهَمُوا مُرَادَهُ كَمَا تَكَلَّمُوا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ.

وقوله : «ولبس إحاطة» : أشار لكتاب سَمَاءهِ بِذَلِكَ، أَيْ وَلَهُ لِبْسُ إِحَاطَةٍ. وقوله : «من الحِجْرِ قَدْ تُبْنَا» : أَيْ تُبْنَا مِنْ ثُبُوتِ الْحِجْرِ لِثُبُوتِ الْحَرِيَّةِ لَنَا وَالتَّرْشِيدِ مِنْ أَشْيَاخِنَا، وَلَعَلَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ الْمُسَمَّى «بِلِبْسِ الْإِحَاطَةِ» تَكَلَّمَ فِيهِ عَلَى التَّحْجِيرِ مِنْ جِهَةِ الشَّرِيعَةِ، أَوْ مِنْ جِهَةِ حَصْرِ الْكَائِنَاتِ. فَقَالَ النَّاطِمُ: قَدْ تُبْنَا مِنْ ذَلِكَ. وَخَرَجْنَا مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْلَمُ. وقوله : «أَقَامَ عَلَى سَاقِ الْمَسْرَةِ». قَالَ الشَّيْخُ «زُرُوقُ» : «ابْنُ الْمَسْرَةِ» هُوَ ابْنُ سُرُورٍ، وَهُوَ فُقَيْهِ صَاحِبُ يَدٍ فِي الْعُلُومِ الْقَدِيمَةِ⁽¹⁾، أَيْ أَقَامَ ابْنُ مَسْرَةٍ عَلَى مَثَلِ⁽²⁾ السُّرُورِ حَيْثُ ظَفَرَ⁽³⁾ بِمَا خَفِيَ عَلَى النَّاسِ مِنْ مَكْنُونِ أَسْرَارِ الرَّمُوزِ. لِأَنَّهُ مَنَّ اعْتَنَى بِحُلِّهَا وَفَكَّهَا كَمَا فَعَلَ «الْمُقَدَّسِي» وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ : «لَمَّا رَمَزَ الْأَسْرَارَ وَاسْتَمَطَرَ الْمُرْزَا»، أَيْ دَامَتْ مَسْرَتُهُ لَمَّا كَشَفَ الْأَسْرَارَ، وَ«اسْتَمَطَرَ» : أَيْ اسْتَنْزَلَ أَمْطَارَ الْمَعَانِي مِنْ سَحَابِ الْأَلْفَافِ، أَوْ مِنْ سَحْبِ الْآثَارِ وَهِيَ الْأَوَانِي.

= والإبْذَالُ وَقَلْبَةُ الْمُنْحَوَلَةِ وَالْإِعْزَازِيَّةُ وَبِالْأَفْكَارِ الْفِيضِيَّةِ وَالْهَرَمْسِيَّةِ الْخِرَازِيَّةِ. تُوْفِيَ 546هـ.

(أَنْظُرْ كِتَابَ خَلْعِ النَّعْلَيْنِ... تَحْقِيقُ د. الْأَمْرَانِيِّ ط 1.

(1) ابْنُ مَسْرَةٍ : هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَجِيحٍ مِنْ أَهْلِ قَرْطُبَةٍ، يَكْنَى «أَبَا عَبْدِ اللَّهِ» كُلٌّ مِنْ أَهْلِ التَّارِيخِ لِحَيَاتِهِ يَعْتَبِرُهُ مِنْ أَوَائِلِ مَفْكَرِي الْأَنْدَلُسِ وَفَلَاسَفَةِ الْمُتَصَوِّفِينَ. (وُلِدَ 269هـ وَتُوْفِيَ 319هـ) مِنْ مَوْلاَتِهِ :

- كِتَابُ «خَوَاصِّ الْحُرُوفِ وَحَقَائِقِهَا وَأَصُولِهَا» «الرُّوْفُ».

- كِتَابُ «الْإِعْتِبَارُ» «التَّبَصُّرَةُ».

- كِتَابُ «تَوْحِيدِ الْمُؤَقِّنِينَ» (مَفْقُودٌ).

- كِتَابُ «مَسَائِلُ فِي مَدُونَةِ مَالِكٍ» (مَفْقُودٌ).

(أَنْظُرْ حَوْلَ ابْنِ مَسْرَةٍ كِتَابَنَا : «ابْنُ مَسْرَةٍ وَفَلَسَفَتُهُ الصُّوفِيَّةُ» ط 1 دَارُ الثَّقَافَةِ 2000).

(2) فِي ر : مِنْ.

(3) فِي خ : ظَهَرَ.

وَقَوْلُهُ : «وَلَا حَ سَنَا بَرَقَ» الخ.. أي ظَهَرَ ضَوْءُ بَرَقَ «لابن سينا» من حقيقة عقله والمُقَرَّبَةُ للعقل ما كان بعيداً عنها، فَإِنَّهُ شَرَحَ مِنْ أَمْرِ الْعَقْلِ مَا لَمْ يَشْرَحْهُ غَيْرُهُ.

و«ابن سينا» هَذَا هُوَ الْمُتَأَخِّرُ وَهُوَ أَحَدُ فَلَاسِيفَةِ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِيهِ وَاتَّهَمُوهُ بِالْكُفْرِ. قَالَ «الشيخ السنوسي» فِي شَرْحِ الْكُبْرَى : وَلَقَدْ ضَلَّ «ابن سينا» وَتَسَتَّرَ بِالْإِسْلَامِ حَيْثُ قَالَ فِي الطَّبَائِعِ الْأَرْبَعَةِ⁽¹⁾ :

وَقَوْلُ بَقْرَاطٍ بِهَا صَحِيحٌ مَاءٌ وَنَارٌ وَتَرَابٌ وَرِيحٌ⁽²⁾

قُلْتُ : أَمَّا مَجْرَدُ هَذَا الْقَوْلِ فَلَا⁽³⁾ يَدُلُّ عَلَى كُفْرِهِ، لِأَنَّ عَالَمَ الْحِكْمَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى الْأَسْبَابِ وَالْعِلَلِ فِي الظَّاهِرِ⁽⁴⁾ وَفِي الْبَاطِنِ الْفَاعِلِ⁽⁵⁾ هُوَ اللَّهُ، فَقَدْ يَكُونُ تَكَلُّمٌ عَلَى مَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي عَالَمِ الْحِكْمَةِ مِنْ تَرْتِيبِ الطَّبَائِعِ وَالْأَسْبَابِ. نَعَمْ قَدْ قِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ لِلْعَقْلِ تَابِعَةً⁽⁶⁾، فَتَدُورُ مَعَهُ فِي عِلَلِ الْأَحْكَامِ. قَالَ «الشيخ زروق» : وَهُوَ مَذْهَبٌ فَاسِدٌ وَإِلَيْهِ أَشَارَ النَّازِمُ بِقَوْلِهِ : «الَّذِي ظَنَّ مَا ظَنًّا»، أَيِ ظَنَّ الشَّرِيعَةَ تَابِعَةً لِلْعَقْلِ، وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَقْلَ تَابِعَ لِلشَّرْعِ فِي عِلَلِ الْأَحْكَامِ وَأَسْرَارِهَا. فَإِنْ أَذْرَكَ لَهَا عِلَّةً وَحِكْمَةً كَانَ عَيْنَ الْكَمَالِ، وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْ لَهَا حَكْمًا بِتَقْصِيرِهِ وَتَعَبُّدٍ بِأَمْرِ سَيِّدِهِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ جَمَاعَةً أُخْرَى فَقَالَ :

(1) وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ «ابن سينا» يَقُولُ بِقَدَمِ الْعَالَمِ مِنْ حَيْثُ مَادَّتُهُ (الْهَوَلِي : الْعُنَاصِرُ الْأَوَّلِيَّةُ، الْإِسْتِقْسَاطَاتُ : الْمَاءُ النَّارُ التَّرَابُ الْهَوَاءُ) إِنَّهُ قَدِيمٌ بِحَسَبِ الزَّمَانِ، أَيِ لَا أَوَّلَ لَزَمَانِهِ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ قَدِيمًا بِحَسَبِ الذَّاتِ، إِذْ لَذَاتُهُ مَبْدَأٌ يَوْجِدُ بِهِ، بَيْنَمَا الْقَائِمُ بِالذَّاتِ هُوَ الَّذِي لَا عِلَّةَ لَوْجُودِهِ، وَلَيْسَ كَالْعَالَمِ الَّذِي لَهُ عِلَّةٌ الَّتِي هِيَ اللَّهُ. وَابْنُ سِينَا قَالَ بِرَأْيِ أَرِسْطُو وَلَيْسَ بِرَأْيِ بَقْرَاطٍ :

(2) فِي خ : «وَقَوْلُ بَقْرَاطٍ هُوَ الصَّحِيحُ مَاءٌ وَنَارٌ، وَهَوَى وَرِيحٌ»

(3) فِي ر : لَا وَبَقْرَاطٍ كَانَ طَبِيبًا فَهُوَ صَاحِبُ الْقِسْمِ الطَّبِيبِيِّ الْمَشْهُورِ.

(4) فِي خ «وَمِنْ» نَاقِصَةٌ.

(5) فِي خ : «الْفَاعِلُ» نَاقِصَةٌ.

(6) فِي ر : أَنَّ الشَّرِيعَةَ تَابِعَةٌ لِلْعَقْلِ.

وَقَدْ قَلَّدَ الطُّوسِيُّ مَا قَدْ ذَكَرْتُهُ وَلَكِنَّهُ نَحْوُ التَّصَوُّفِ قَدْ حَنَّا
وَلابنُ طُفَيْلٍ وابنُ رُشْدٍ تَيَقُّظُ رِسَالَةُ يَقْظَانَ اقْتَضَى فَتَحَهُ الْحِينَا⁽¹⁾
كَسَا⁽²⁾ لِشُعَيْبٍ ثَوْبَ جَمْعٍ لِدَاتِهِ يَجُرُّ عَلَى حُسَادِهِ الدَّيْلَ وَالرُّدْنَا

يقول رضي الله عنه : وَقَدْ قَلَّدَ «الطوسي» وهو «الغزالي»، أي قد تقلَّدَ مَا قَدْ ذَكَرْتُهُ مِنْ تَحْكِيمَاتِ الْعَقْلِ، واستحسانه⁽³⁾ فاستخرج⁽⁴⁾ بِذَلِكَ مِنْ عَجَائِبِ الْقَلْبِ وشرح أسرارِهِ ما يقضي منه الْعَجَبُ، وكذلك أسرار العباداتِ والعباداتِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مما هو مذكورٌ فِي كُتُبِهِ. لَكِنَّهُ نَجَا مِنْ وَبَالِ الْعَقْلِ حَيْثُ حَنَّ إِلَى التَّصَوُّفِ، فصرفَ عَقْلَهُ فِي استخراجِ أسرارِ الشريعةِ وَحَكَمِ الْأَحْكَامِ.

و«الغزالي» هو حجة الإسلام محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، وَيُكْنَى أَبَا حَامِدٍ حَبْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَرَاهِبِهَا. اشْتَغَلَ أَوَّلًا بِالْعُلُومِ وَتَدْرِيسِهَا بِبَغْدَادَ، ثُمَّ تَرَكَ جَمِيعَ ذَلِكَ وَسَلَكَ طَرِيقَ التَّجَرِيدِ وَالْإِنْقِطَاعِ، وَخَدَّمَ الصُّوفِيَّةَ بِنَفْسِهِ سَنِينَ، ثُمَّ قَصَدَ الْحَجَّ. فَلَمَّا رَجَعَ قَدِمَ إِلَى الشَّامِ وَأَقَامَ بِنَيْتِ الْمَقْدِسِ مَجَاوِرًا، وَاجْتَهَدَ فِي الْعِبَادَةِ وَزِيَارَةِ الْمَشَاهِرِ⁽⁵⁾ وَالْمَوَاضِعِ الْمُعْظَمَةِ. ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ وَاعْتَكَفَ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ مَنَارِ الْجَامِعِ، وَأَخَذَ فِي التَّصْنِيفِ «لِإِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ»، وَهُوَ مِنْ أَنْفَسِ الْكُتُبِ لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا طَالِبُ الْآخِرَةِ. وَكَانَ يُرَوِّضُ نَفْسَهُ فِي الْمَجَاهِدَاتِ، وَيُكَلِّفُهَا مَشَاقِ الطَّاعَاتِ. ثُمَّ قَصَدَ مِصْرَ وَأَقَامَ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ مَدَّةً، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ⁽⁶⁾ وَعَقَدَ بِهَا مَجَالِسَ⁽⁷⁾ الْوَعْظِ، وَتَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى وَطَنِهِ بَطُوسَ وَوَزَّعَ أَوْقَاتَهُ عَلَى

(1) فِي «ر» : الْحِينَا وَكَذَلِكَ فِي «خ»، بَيْنَمَا فِي الدِّيَوَانِ : الْجَفْنَا.

(2) فِي خ : كَسَى.

(3) فِي خ : وَاسْتِحْسَانَاتِهِ.

(4) فِي خ : «فَاسْتَخْرَجَ» نَاقِصَةٌ.

(5) فِي خ : الْمَشَاهِدِ.

(6) فِي ر : وَطَنُهُ بَغْدَادَ.

(7) فِي ر : مَجْلِسَ.

وظائف الخير : من ختم القرآن، ومجالسة أهل القلوب⁽¹⁾، وإدامة العبادات⁽²⁾ إلى أن نقله الحق إلى دار الكرامة، في يوم الإثنين، رابع جمادى الأخيرة⁽³⁾، سنة خمس وخمسمائة (505هـ) بطوس وبها دفن، وقبره بها مشهور.

وذكر «التالدي» في كتابه «المعزى» : أن سبب تجريد الغزالي وانقطاعه : هو أخوه، وكان من محققي الصوفية، وقف عليه في مجلس علمه فقال له⁽⁴⁾ إلى أي⁽⁵⁾ تحتبس في هذه المعازل ؟ وأنشده شعراً أنهضه⁽⁶⁾ إلى ربه. وذكر غيره أنه وصله بشيخه وكان خرازاً فجذبه⁽⁷⁾ إلى ربه وأمره بتخريب ظاهره وبالتجريد، فحينئذ ضاق ما ذقت الرجال. و«الغزالي» بتشديد الزاي نسبة إلى الغزال⁽⁸⁾ على عادة أهل خوارزم وجرجان، فإنهم ينسبون إلى القصار القصاري، وإلى العطار العطارى. وقيل : إن الزاي مخففة نسبة إلى غزالة، وهي قرية من قرى طوس، وهو خلاف المشهور، وطوس بضم الطاء وسكون الواو : قرية من قرى بخارى. وما يقال إنه مدفون في ترغا⁽⁹⁾ غلط فاحش. قال «الدميري»⁽¹⁰⁾ في «حياة الحيوان» : روينا بالسند الصحيح عن الشيخ «أبي الحسن الشاذلي» رضي الله عنه. أنه قال : رأيت النبي ﷺ في النوم وقد باهى «موسى» و«عيسى» بـ«الغزالي»، فقال لهما : أفي أمتكما هذا الخبر؟

(1) في خ : القبول.

(2) في خ : العبادة.

(3) في خ : الثانية.

(4) في ر : «فقال له»، ناقصة.

(5) في خ : إلى أين.

(6) في ر : نهضه.

(7) في ر : فدخل به.

(8) في خ : الغزالي : والغزال الذي يغزل الصوف، وهي مهنة أبيه، وذلك أن أبناء الموالي كانوا ينسبون إلى صنعة أبيهم.

(9) في خ : بترعة.

(10) الدميري : وهو الشيخ كمال الدين محمد بن عيسى الدميري الشافعي المتوفى سنة 808هـ وكتابه «حياة الحيوان» مشهور لكن صاحبه ليس مختصاً في فن حياة الحيوان كالجاحظ.

وأشار إلى «الغزالي»، فقالا : لا. قال الشيخ «أبو العباس المرسي» : «إننا لنشهد له بالغوثية العظمى». وقيل القائل هو «الشاذلي» رضي الله عنهم أجمعين.

ثم قال الشيخ رضي الله عنه : و«لابن طفيل وابن رشد تيقظ» أمّا «ابن طفيل» فهو من فلاسفة الإسلام، له عقل وتيقظ في الأمور العقلية، ولم أقف على تعريفه⁽¹⁾. وأمّا «ابن رشد»، فالمراد به الحفيد وهو : محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الإمام المشهور، ولد سنة عشرين وخمسمائة (520هـ) قبل وفاة جدّه أبي الوليد بشهر، واشتهر بالحفيد. وهو من أهل قرطبة وقاضي الجماعة بها، أخذ الفقه عن «المازري» وغيره. وأخذ الطبّ عن «أبي مروان بن جرجون» وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية خلاف جدّه، ولم ينشأ في الأندلس مثله حتى قيل فيه : كان أفقّه من جدّه. وصنّف وقَيّد مذهبه ومال إلى علوم الأوائل، وكانت له فيها⁽²⁾ الإمامة دون أهل عصره. وكان يفرع إلى فتياءه في الطبّ. كما يفرع إلى فتياءه في الفقه. له تأليف جليلة منها : «كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد». وذكر فيها أسباب خلاف المذاهب وعللها، وأفاد وأقنع⁽³⁾ فيه، ولا يُعلم⁽⁴⁾ في وقته أنفع منه. وله كتب أخرى ذكرها في الديباج⁽⁵⁾. توفي رحمه الله سنة خمس وتسعين وخمسمائة (595هـ). بمراكش، كان قدّم على

(1) ابن طفيل : هو أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن طفيل القيسي، ولد حوالي سنة 506هـ/1110م وتوفي سنة 581هـ/1185م. وأصله من وادي آش، موطن الششتري، وقد تتلمذ على ابن باجة المتوفى حوالي 532هـ/1138م. مارس الطب في غرناطة، كما عمل كاتباً لعاملها، ولاتقانه صنعة الطب وعلو كعبه فيه أصبح طبيباً لأبي يعقوب يوسف المنصور الخليفة الموحد (558هـ/1163م - 579هـ/1184م). كانت له حضوة كبيرة عند هذا الإمبراطور، وهو الذي قدم إليه ابن رشد، الذي احتل فيما بعد منصب طبيب المنصور، ولشغف هذا الأخير بفلسفة أرسطو قام بطلب منه بتدوين ملخصات وشروح لفلسفته. وقد صنّف ابن طفيل في الطب كتاباً، كما كانت له آراء مبتكرة في الفلك. وقد ذكر «البطروخي» أنه أخذ منه قوله في «الدوائر الخارجية والدوائر الداخلية». ولم يبق من مؤلفاته إلا رسالة «حي بن يقضان» والتي تسمى «أسرار الفلسفة الشرقية».

(2) في خ : فيه.

(3) في ر : وأمتع.

(4) في ر : ولا ينفع.

(5) ويعني به «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» تأليف قاضي القضاة «ابن فرحون».

السلطان فمات، ثم دُفِنَ بها، ثم نُقِلَ إلى قبره بقرطبة. وفي قَبْرِهِ دُفِنَ الولي الشهير «أبو العباس السبتي»⁽¹⁾. وقيل في [ابن رشد] الحفيد: إنه اتَّهَمَ بالاعتزال وبالميل لمذاهب الفلاسفة. كما رمي بذلك «ابن طفيل» ولذلك قَرِنَ مَعَهُ. ولم يَنْسَبْ لهما النَّاطِمُ إِلَّا التَّقِظُ في أمور العقل فقط.

قال الشيخ «زروق»: وأما ابن طفيل وابن رشد الحفيد فمن متفلسفة الإسلام، وقد رُمُوا بأكبر الكفر والله أعلم. قلت: كتب الحفيد⁽²⁾ موشحة⁽³⁾ بالأحاديث النبوية ليس فيها شيء مما رُمي به، وقد عرَّفَ به صاحب الديباح وغيره فلم ينسبوا له شيئاً مِمَّا يُنْقِصُهُ، وعند الله تجتمع الخصوم. ويقظان هو ابن يقظان⁽⁴⁾ وله رسالة في العقلیات. قال الشيخ «زروق»: وقد وقفت عليها وهي مبنية على القول بالطبيعة، وهو نوع من الكُفْرِ⁽⁵⁾. ولذلك قال الناظم: «اقتَضَى فتحه الحَيْنُ»، أي اقتضى فتح العقل له الحَيْنُ، وهو الهلاك.

(1) أبو العباس السبتي: هو أبو جعفر أحمد بن جعفر الخزرجي ولد بسبته عام 524هـ. نزل مراکش وبها توفي سنة 601هـ ودفن بباب تاغزوت. أنظر ترجمته الكاملة وبعض أخباره بالمصادر التالية:
أ- الاعلام، العباس بن إبراهيم (1: 234 - 325).

ب- أنس الفقير وعز الحقي، لابن قنفذ ص 7، 8، 9.

ج- نيل الابتهاج لأحمد بابا التنكي.

د- الفتوحات المكية.

(2) في خ: الحفيد، ناقصة.

(3) في ر: مرشحة، وهو تحريف.

(4) ويقصد به «حي بن يقظان»، موضوع رسالته يدور حول «أسرار الفلسفة المشرقية».

والأساس الفلسفي لهذه القصة هو الطريق التي كان عليه فلاسفة المسلمين الذين نهجوا على مذهب الأفلاطونية الحديثة. وقد صور «ابن طفيل الإنسان، الذي هو رمز العقل، في صورة حي بن يقظان، ورمي «ابن طفيل» من وراء هذه القصة إلى بيان الاتفاق بين الدين والفلسفة، الموضوع الذي شغل الفكر الإسلامي طويلاً.

(5) ارجع إلى نص القصة كما ألفها أبو بكر ابن طفيل، وأنظر هل هناك فيها من كفر كما ادعى الشيخ زروق؟! فقد أعدت قراءة هذه القصة ولم أجد فيها كفراً أو ما يكفر، بل بالعكس من ذلك وجدت فيها فكرة جيدة للتقريب بين الفلسفة والدين، بين العقل والنقل، واعتبار أن الدين حق وطريقه الوحي والنبوة، وأن الفلسفة حق وطريقها العقل، وأن الحق لا يضاد الحق إذ النبوة لا تضاد العقل بل تدعمه وتشهد له.

قوله⁽¹⁾ «كَسَى لَشَعِيبَ»: المراد «أبو مَدِين الغوث» الشهير بالولاية شرقاً وغرباً، كان رضي الله عنه من أعيان مشايخ المغرب وصدور المقرئين. واسمُه: شعيب، وولده مَدِين مدفون بِمِصر بِرِكةِ القرع⁽²⁾، وقبره مشهور يزَار. وأما «أبو مَدِين»⁽³⁾ فهو مدفون بمَدِينَة تلمسان في تربة العباد، مات وقد جاوز الثمانين سَنَةً. كان مقيماً ببجاية، ثم إنَّ سلطان تلمسان بلغه خبرُه وما كان فيه من الشُّهرة، فأمر بإحضاره من بجاية ليترك به لتعذر وصول السلطان إلى زيارته خوفاً من رعيته، فأجاب بالسَّمْع والطاعة، ثم قال بخفض صَوْتِه: ما لنا وللسلطان، نزورُ الإخوان، ثم نزل⁽⁴⁾ تلمسان واستقبل القبلية ليلة دخوله وتشهدَ ثم قال: هَا قَدْ جِئْتُ وعجلتُ إليك ربَّ لترضى، ثم قال: الله الحيُّ، وفاضت روحه.

قال الشيخ «عبد الرزاق»: اجتمعت بـ«الحضر» عليه السلام فسألته عن شيخنا «أبي مَدِين»، فقال: هو إمام الصِّدِّيقين في هذا الوقت، وقد أعطاه الله مفتاحاً من السِّرِّ المصون، فما في هذه السَّاعة أجمعُ لأسرار المرسلين منه. وقد أَجْمَعَتِ المشايخ على تعظيمه وإجلاله. وكان جميلاً ظريفاً، متواضعاً زاهداً، ورِعاً محققاً. قد اشتملَ على كَرَمِ الأخلاق، وكان يقول: لَيْسَ لِلْقَلْبِ إِلَّا جِهَةٌ واحدة متى تَوَجَّهَ إليها غابَ عَنْ غَيْرِهَا. وقال أيضاً: الْفَقْرُ نُورٌ مَادُمْتَ تَسْتَرُهُ، فَإِذَا أَفْشَيْتُهُ ذَهَبَ نُورُهُ. وكان يقول⁽⁵⁾: كل فقير⁽⁶⁾ كان الأخذ أحب إليه من

(1) في خ: قوله ناقصة.

(2) في ر: بركة الترع

(3) أبو مدين: كان يعتبر ذا مكانة خاصة بين متصوفة الغرب الإسلامي وهو إن كان قد أخذ علومه الذوقية عن مشايخ أمثال «أبي الحسن بن حرزهم» (ت 559هـ) وأبي يعزى (ت. 572هـ) إلا أنه لم يكن مثلهم تقليدياً مباعداً للناس عاملاً على نجاة نفسه بل كان متجهاً إلى خدمة أمة الإسلام. (انظر كتابنا: «نظرات في التصوف المغربي» ط 1 دار الثقافة 2006م).

(4) في خ: نزور.

(5) في خ: وقال أيضاً.

(6) في ر: «فقير» ناقصة.

العطاء فهو كذاب لم يشم للفقر رائحة. وقال أيضاً : مَنْ لَمْ يَصْلُحْ لِحِدْمَتِهِ شَغَلَهُ بالدُّنْيَا، وَمَنْ لَمْ يَصْلُحْ لِمَعْرِفَتِهِ شَغَلَهُ بِالْآخِرَةِ. وقال أيضاً : مَنْ لَمْ يَخْلَعْ له العذار، لم تُرَفَّعْ له الأستار. ومكث في بيته سنة لم يخرج إلا إلى الجمعة فاجتمع الناس على باب داره وطلبوا منه أن يتكلم عليهم، فلما ألزموه خرج فرأته العصفير التي على سدره داره⁽¹⁾، فقرت منه⁽²⁾، فرجع وقال : لو صلحت للحديث عليكم لم تفر مني الطيور. فجلس في البيت سنة أخرى، ثم جاءوا إليه، فلم تفر منه الطيور⁽³⁾، فتكلم على الناس ونزلت الطيور تضرب بأجنحتها حتى مات منها طائفة، ومات رجل من الحاضرين.

وكان الله تعالى قد أذل له الوحوش، فإذا رآه الوحش ارتعد من هيئته. ومراً يوماً على حمار، والسبع قد أكل نصفه، وصاحب الحمار ينظر إليه من بعيد لا يستطيع أن يقرب منه، فقال لصاحب الحمار : تعال، وذهب به إلى الأسد وقال : أمسك بأذنيه⁽⁴⁾ واستعمله مكان حمارك حتى يموت، فأخذ بأذنيه وركب وصار يستعمله موضع⁽⁵⁾ حماره حتى مات الأسد.

توفي رضي الله عنه سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة (593هـ) عن خمس وثمانين. وخرج من دائرته ثلاثمائة قطب دون الصالحين. وأخذ الطريق عن «أبي يعزى»⁽⁶⁾ و«الشيخ عبد القادر»⁽⁷⁾ وسيدي «علي بن حرزم»⁽⁸⁾ رضي الله عنهم أجمعين.

قال الشيخ رضي الله عنه في مدحه : «كسى لشعيب ثوباً جمع لذات». أي كساه عقله ثوباً جامعاً لذاته على ربه، فكان دائماً مجموعاً على الله، في بساط الحضرة. وكان كثيراً ما يُنشد :

(1) في خ : سور في الدار.

(2) في ر : «منه» ناقصة.

(3) في ر : «منه الطيور» ناقصة.

(4) في ر : وقد أمسك بأذنيه.

(5) في خ : مكان.

(6) أبو يعزى : وهو «أبو يعزى بن ميمون يكتور»، كان كثير الكرامات حتى قال فيه «أبو

مدین» : «رأيت أخبار الصالحين من زمان «أويس القرني» إلى زماننا هذا، فما رأيت

أعجب من أخبار «أبي يعزى» توفي سنة 572هـ، ودفن بتاغية. (أنظر الترجمة الكاملة =

الله قُلْ وَذَرِ الْوُجُودَ وَمَا حَوَى إِنَّ كُنْتُ بَرُّنَا ضَا بُلُوغَ كَمَالٍ⁽¹⁾
وقوله⁽²⁾ «يَجْرُ الذَّيْلُ» أي طرفَ الإزار. والرُّذْنُ بَضْمُ الرَّاءِ : أصلُ
الْكَمْ، أي يَجْرُ ذَيْلُهُ وَكَمْهُ افتخاراً بِمَوْلَاهُ⁽³⁾، وشكراً لما بهِ أَوْلَاهُ⁽⁴⁾.
قال الشيخ «زروق» رضي الله عنه : تخرجَ على يده ألف وليّ، ولم
يذكر عن أحدٍ من أئمة الدين طعن فيه رضي الله عنه وأَرْضَاهُ وَنَفَعْنَا بِهِ ؛ وهو
أَنْدَلُسِيٌّ⁽⁵⁾.

= لأبي يعزى بكتاب التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، «للتادلي بن
الزيات» تحقيق أحمد التوفيق الرباط 1984م. الترجمة 77 ص ص 213 – 222. وكذلك :
Loubignac : Un saint berbère, moulay Bouazza, Histoire et légende, Hesperis, T 31, 1944, p. 15.
وأنظر كتابنا : «نظرات في التصوف المغربي» ط 1 دار الثقافة، البيضاء 2006.
(7) الشيخ عبد القادر : (470هـ أو 471هـ – 561هـ) وهو عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن
جنكي دوست بن أبي عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى ابن عبد الله المحض بن
الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب.
والجِيلاني نسبة إلى «جبل جيلان» وهي بلاد متفرقة من وراء طبرستان وبها ولد. ويقال لها
أيضا جيلان وكيلان. وقد ظهر الشيخ عبد القادر وجلس للوعظ بعد سنة 520هـ وحصل
له القبول التام مع الناس لصلاحه وانتفعوا بكلامه واحترمه الملوك وعلية القوم.
وأنظر ترجمته الكاملة بكتاب «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» تأليف : «عبد الحفي بن
العمار الحنبلي» (ت 1089هـ) ج 3/8 دار الآفاق بيروت ص 197 – 202. وسلوة الأنفاس، لابن
إدريس الكتاني ج 1، ط 1، 2004. دار الثقافة، البيضاء ص 242 – 244، ترجمة رقم : 177.
(8) علي بن حرزهم : هو علي بن محمد بن حرزهم، دفين فاس، المتوفى سنة 559هـ كان
فقيها حافظاً زاهداً في الدنيا، سالكا سبيل الملامتية، مظهرا للخلق قبائح ما فيه وكنم
محاسنه، حتى يتلقى لوم الخلق على ظاهره، ويلوم نفسه، كما كان كثير العكوف على
قراءة كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي. (أنظر ترجمته بكتاب التشوف، نفس
المعطيات ص ص 168 – 173).

(1) ورد هذا البيت ضمن قصيدته في كتاب بغية الرواد ص 126 الجزائر : 1980، والبيت جاء
كما يلي :

الله قُلْ وَذَرِ الْوُجُودَ وَمَا حَوَى إِذَا كَانَ مُرْتَاداً بِصِدْقٍ مُرَادٍ

انظر كذلك كتابنا : نظرات في التصوف المغربي. ط 1، دار الثقافة 1427هـ – 2006م.

(2) في خ : «وقوله»، ناقصة.

(3) في خ : لمولاه.

(4) في ر : «وشكرا لما بهِ أَوْلَاهُ» ناقصة.

(5) شرح النونية.

ثم ذكر الناظم جماعة أخرى فقال :

وَعَنهُ طَوَى الطَّائِيَّ بَسْطَ كِيَانِهِ
تَسْمَى بِرُوحِ الرُّوحِ جَهْرًا فَلَمْ يُيَالِ
بِهِ عُمَرُ بْنُ الْفَارِضِ النَّاطِمِ الَّذِي
وَبَاحَ بِهَا نَجْلُ الْحَرَالِيِّ عِنْدَمَا
وَلِلْأَمْوِيِّ النَّظْمِ وَالنَّشْرِ فِي الَّذِي
بَدَسْكَرَةَ الْخُلَاعِ إِذْ ذَهَبَ الْوَهْنُ
وَلَمْ يَرَنْدًا فِي الْمَقَامِ وَلَا خِدْنَا
تَجَرَّدَ لِأَشْعَارِ⁽¹⁾ قَدْ سَهَلَ الْحَزْنُ
رَأَى كَنَمَهُ ضُعْفًا وَتَلَوِيحَهُ غَيْنَا
ذَكَرْنَا وَإِغْرَابَ عَمَّا نَحْنُ أَغْرَبْنَا

المُراد بالطائي : «ابن عَرَبِي» لأنه من ذرية حاتم الطائي، وكان في زمانه يعرف بـ«ابن سُرَاقَة»، وعند المتأخرين من الصوفية : «محيي الدين». وهو الإمام المحقق رأس العارفين وإمام المُقَرَّبِينَ، ذو النِّفَحَاتِ الْقُدْسِيَّةِ وَالْأَنْفَاسِ الرُّوحَانِيَّةِ، والمعارف الباهرة والحقائق الزاهرة. له المحلّ الأرفع في مراتب القُربِ وَمَنَازِلِ الْإِحْسَانِ⁽²⁾، وهو أحد أركان هذه الطريق، وأجلّ أئمة أهل التحقيق، بحرُ زمانه وفريد أوانه، لَقَّبَهُ الشَّيْخُ «أَبُو مَدَّيْنٍ» بِسُلْطَانِ الْعَارِفِينَ. وكلام الرجل دليل على مقامه، وكتبه مشهورة بأيدي النَّاسِ، إلّا أنه مال⁽³⁾ فيها لإظهار الحقائق وكشف غطاها، فرُمي بما رُمي به غيره ممّن أظهر الحقائق⁽⁴⁾.

وَمِنْ كَشُوفَاتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّهُ ذَكَرَ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ صِفَةَ السُّلْطَانِ جَدِ السُّلْطَانِ⁽⁵⁾ سُلَيْمَانَ بْنِ عِثْمَانَ⁽⁶⁾ الْأَوَّلِ، وَفَتْحَهُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ فِي الْوَقْتِ الْفَلَائِي. فجاء الأمرُ كما قاله⁽⁷⁾ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ نَحْوُ مِائَتِي سَنَةٍ، فَبَنَى عَلَيْهِ قُبَّةً عَظِيمَةً بِالشَّامِ وَرَتَّبَ فِيهَا طَعَامًا وَخَيْرَاتٍ. واحتاج إلى الحضور عنده من كان ينكر عليه من القاصرين⁽⁸⁾، بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَبُولُونَ عَلَى قَبْرِهِ. وحكى

(1) في الديوان : للأشعار، وفي خ للأسفار.

(2) في خ : الأنس.

(3) في ر : لأنه قال فيها.

(4) في خ : «الحقائق» ناقصة.

(5) في خ : «جد السلطان» ناقصة.

(6) في خ : بن عثمان «ناقصة».

(7) في ر : «فجاء الأمير» وهو تحريف.

(8) في «ر» و«خ» : الجملة من : «واحتاج» ... إلى : «من القاصرين» ناقصة.

الشيخ الصالح الحاج «أحمد الحلبي»⁽¹⁾ أنه كان له بيتٌ مشرف على ضريح الشيخ «محيي الدين». فجاء شخص من المنكرين بعد صلاة العشاء بنارٍ يريد أن يحرق تابوت الشيخ، فحُسيِفَ به دون القبر بتسعة أذرع، فغاب في الأرض وأنا أنظرُ. ففقدَهُ أهلُهُ في تلك الليلة، فأخبرتَهُم بالقصة فجاءوا وحفروا فوجدوا⁽²⁾ رأسَهُ، فكلَّمَا حَفَرُوا نَزَلَ وغار⁽³⁾ في الأرض إلى أن عَجَزُوا ورددوا عليه التراب⁽⁴⁾.

وكان رضي الله عنه، أولاً يكتب الإنشاء لبعض ملوك المغرب، ثم تَزَهَّدَ وتَعَبَّدَ وساحَ ودَخَلَ مصر والشام والحجاز والروم، وله في كل بلدٍ دَخَلُهَا مؤلفاتٌ. وكان الشيخ «عز الدين بن عبد السلام»⁽⁵⁾ يحط من قدره كثيراً، فلما صحبَ الشيخ «أبا الحسن الشاذلي»⁽⁶⁾ رضي الله عنه، وعَرَفَ أحوالَ الرِّجالِ، صار يترجمه بالولاية والعرفان والقطبانية⁽⁷⁾. مات [شهيداً]⁽⁸⁾ رضي الله عنه سنة ثمان وثلاثين وستمائة (638هـ). وله من المؤلفات نيف وأربعمائة، منها: «التفسير الكبير» الَّذِي بَلَغَ فيه إلى سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾⁽⁹⁾. ثم توفي ولم يكمل. وهذا التفسير كتاب عظيم بَلَغَ ثلاثين سِفرًا، كل سفر بحر لا ساحلَ لَهُ. ولذلك قال⁽¹⁰⁾ النَّازِمُ في تَرْجُمَتِهِ: «وعنه

(1) في «ر» و«خ»: سيدي.

(2) في خ: «فوجدوا» ناقصة.

(3) في «ر» و«خ»: غائراً.

(4) في خ: «وردوا التراب عليه».

(5) عز الدين بن عبد السلام (577هـ - 660هـ/1181م - 1262م) أنظر ترجمته في شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ج 5، ص 300-301 بيروت (د. ت)، يقول عنه الشاذلي: قيل لي... ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس عز الدين بن عبد السلام. أنظر كتاب طبقات الشاذلية، المسمى جامع الكرامات العلية. تأليف أبي علي الكوهن بيروت ط 2 سنة 2005 ص 24.

(6) في خ: «الشاذلي» ناقصة.

(7) في خ: «القطبانية» ناقصة.

(8) في «خ» و«ك»: ناقصة.

(9) الكهف: 65.

(10) في «ر» و«خ»: فقال.

طوى الطائي بسط كيانه»، أي وعن عقله طوى الحامي الطائي (1) بسط وجوده، فغاب عقله عن إدراك حقيقته بخروج ما أذرك عن دائرة العقول. والكيان بمعنى الكون، أي طوى عن عقله بساط (2) كونه، وكان ابتداء ذلك الطي بدسكرة الخلاع، أي بحضرة اجتماع أهل الخمرة. وهم الذين يخلعون عذارهم [في رضى محبوبهم فيخربون ظواهرهم] (3) ويهتكون أغراضهم، ولا يبالون بمن لامهم وغاب عليهم.

وفي القاموس الدسكرة : القرية والصومعة وبيوت الأعاجم، يكون فيها الخمر والملاهي. وهذا الأخير (4) وهو المراد هنا. لأن الخمر هنا معنوي والملاهي كناية عن التغزل بالمحسوب وتعبير عنه الصوفية بالخان، أي كان ذلك الفتح بمحض أهل الأذواق الذين خلعوا عذارهم. «إذ ذهب ألوهنا» : أي حين أذهب عنه ضعفه وكسله. وقوله بخلع عذاره. وافتضح نفسه. إذ هو الذي تسمى بروح الروح في شعره المعلوم الذي قال فيه :

أنا القرآن والسبع المثاني	وروح الروح لا روح الأواني
فؤادي عند معلومه مقيم	نناجيه وعندكم لسانني
فلا تنظر بطرفك نحو جسمي	وعذ عن التلغم بالأواني
فأسرار تراءت مبهمات	مسترة بأنواع المعاني
ومن فهم الإشارة فليصنها	والأشوف يقتل بالسنان (5)
كحلأج الحجة إذ تبدت	له شمس المحبة بالتداني
فقال : أنا هو الحق الذي لا	يغير ذاته من الزمان

(1) في «خ» : ناقصة.

(2) في «خ» : بسط.

(3) في ك : ما بين معقوفتين ناقصة.

(4) في «ر» و«خ» : ناقصة.

(5) في ف : «بالسنان».

وتأويله : أَنَّهُ غَابَ عَنْ جُودِهِ عِنْدَ مَحْبُوبِهِ فَشَاهَدَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ، فَصَارَ⁽¹⁾ عَيْنَ الْعَيْنِ فَقَالَ : أَنَا مُنْزَلُ الْقُرْآنِ وَأَنَا رُوحُ الرُّوحِ ، وَالتِّي هِيَ⁽²⁾ السَّرُّ الْمَكْنُونُ الَّذِي قَامَ بِالْأَرْوَاحِ وَالْأَشْبَاحِ فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ : وَمَنْ فَهَمَ الْإِشَارَةَ فَلْيَصْنَعْهَا⁽³⁾ . وَمَنْ كَلَامِهِ أَيْضاً [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] : «تَطَهَّرْ بِمَاءِ الْغَيْبِ إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ» ، إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ الْمَشْهُورَةِ عَلَى مَا نَسَبَهُ لَهُ «أَبُو الْمَوَاهِبِ التُّونِسِي» حَسْبَمَا ذَكَرَهُ «الشُّعْرَانِي»⁽⁴⁾ . وَنَسَبَهَا غَيْرُهُ لِلْجَنِيدِ ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ . وَقَوْلُهُ : «لَمْ يُبَلِّ»⁽⁵⁾ . هَكَذَا فِي نَسَخَتِنَا ، أَي لَمْ يَبَالِ بِمَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ مَقَالَتَهُ . «وَلَمْ يَرِ لَهُ نِدَاءٌ» ، أَي شَبِيهَا وَلَا مَعَادٍ⁽⁶⁾ فِي زَمَانِهِ فِي مَقَامِ الْعِلْمِ وَالْوَلَايَةِ .

[وَقَوْلُهُ] : «وَلَا خِذْنَا» ، أَي وَلَا صَاحِبَ يَقْرُبُ مِنْ حَالِهِ ، بَلْ رَأَى نَفْسَهُ مَنفَرِداً بِمَا حَصَلَ لَهُ⁽⁷⁾ . وَلَا يُسْتَغْرَبُ مِنْ هَذَا فَإِنَّ عِلْمَ⁽⁸⁾ الْبَاطِنِ قَلِيلٌ⁽⁹⁾ فِي كُلِّ زَمَانٍ . ثُمَّ ذَكَرَ «ابْنَ الْفَارِضِ» فَقَالَ : «بِهِ عُمَرُ بْنُ الْفَارِضِ» ، أَي بِالْعَقْلِ تَجَرَّدَ «عُمَرُ بْنُ الْفَارِضِ»⁽¹⁰⁾ الَّذِي اشْتَهَرَ بِالنَّظْمِ لِلْأَشْعَارِ . «فَسَهَّلَ عَلَيْهِ الْحَزْنَ» ،

(1) فِي ر : «وَصَارَ» .

(2) فِي «ر» وَ«خ» : الَّذِي هُوَ .

(3) فِي «ر» وَ«خ» : الْجُمْلَةُ مِنْ : تَأَمَّلْ ... إِلَى ... فَلْيَصْنَعْهَا : نَاقِصَةٌ .

(4) وَهُوَ لَا يَقْصِدُ «أَبَا مُحَمَّدٍ الرَّازِي الشُّعْرَانِي» ، الَّذِي صَحَبَ الْجَنِيدَ وَأَبَا عَثْمَانَ وَابْنَ الْفَضْلِ وَرُوَيْمًا وَسَمْنُونَ وَالَّذِي كَانَ مَلَمَّا يَعْلُومُ الْقَوْمَ (التَّصَوُّف) . بَلْ يَقْصِدُ بِهِ الشُّعْرَانِي «عَبْدَ الْوَهَّابِ» صَاحِبَ الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى . وَهُوَ فُقَيْهٌ عَلَى الْمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ . وَمِنْ أَقْوَالِهِ : ... وَطَرِيقُ الْقَوْمِ ذَوْقٌ لَا نَقْلَ ، فَمَنْ يَذُقْ وَأَنْكَرَ فَهُوَ مَعْذُورٌ .

(5) فِي «خ» : يَمْ يَبَالُ .

(6) فِي «ر» وَ«خ» : مُعَانِدٌ .

(7) فِي خ : «حَصَلَ وَأَضْلَ» .

(8) فِي خ : «عِلْمٌ» نَاقِصَةٌ .

(9) فِي «ر» وَ«خ» : يَقِلُّ .

(10) ابْنُ الْفَارِضِ : هُوَ أَبُو حَفْصٍ وَأَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ الْمُرْشِدِ عَلِيِّ حَمَوِيِّ الْأَصْلِ مِصْرِي الْمَوْلَدِ وَالْوَفَاةُ وَلِدَ بِالْقَاهِرَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ 556هـ/1181م .

وَتُوفِيَ سَنَةِ 632هـ/1234م . أَنْظَرُ وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ ، ابْنُ خَلِّكَانٍ ؛ ج 1 ، ص 353 .

عَاشَ ابْنُ الْفَارِضِ حَيَاةَ صُوفِيَّةٍ عَمِيقَةٍ امْتَزَجَ فِيهَا الْعَمَلُ بِالدُّوْقِ وَالْوُجُودَانِ ، وَذَلِكَ بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ رِيَاضَاتُ وَمَجَاهِدَاتُ وَمَا اخْتَلَفَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَحْوَالٍ وَمَقَامَاتٍ . وَقَدْ ضَمَّنَ فِلْسَفَتَهُ الصُّوفِيَّةَ فِي دِيَوَانِهِ الشَّهِيرِ فِي الْحُبِّ وَالْمَحَبَّةِ الْإِلَهِيَّةِ . وَالَّذِي يَعْتَبَرُ ذَا قِيَمَةٍ مَنقُطَعَةِ النَّظِيرِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأَدَبِيَّةِ وَالْفَنِيَّةِ وَالصُّوفِيَّةِ وَالْفِلْسُفِيَّةِ . (أَنْظَرُ كِتَابَ «ابْنِ الْفَارِضِ وَالْحُبِّ الْإِلَهِيِّ» د. مُحَمَّدٌ مُصْطَفَى حَلَمِي ، دَارُ الْمَعَارِفِ مِصْرَ ، دُونَ تَارِيخٍ ، فَهِيَ دَرَاةٌ قِيَمَةٌ تَمَّ فِيهَا تَرْكِيبُ لَشَخْصِيَّةِ ابْنِ الْفَارِضِ وَعَرَضَ عِلْمِي دَقِيقَ لِفِلْسَفَتِهِ الصُّوفِيَّةِ مِنْ خِلَالِ دِيَوَانِهِ .

أي الصَّعْبُ منه وتحمل مشاقه للمحبة التي اشتعلت في قلبه، التي هداه إليها عقله مع تقدم القدرة والاعتدار. وفي القاموس: الحزن: ما غلظ من الأرض، فإذا سهل ما غلظ منها فأحرى⁽¹⁾ ما كان بسيطاً.

و«ابن الفاض»: هو الولي الكبير والمحِبُّ الشهير إمام العُشَّاق «أبو حفص عمر بن الحسن بن علي بن المصنف⁽²⁾» الحُميري الأصل، المصري الدَّار والمولد والوفاة. له ديوان في الشعر رائق، وفيه⁽³⁾ أسلوب غريب فائق، وله قصيدة مشتملة على ستمائة بيت على اصطلاح القوم⁽⁴⁾ ومناهجهم. وله قصيدتان تائيَّتان فيهما كلام غامض⁽⁵⁾ شرح إحداهما «أبو سعيد الفرغاني»⁽⁶⁾ شرحاً جيداً. وُلد رضي الله عنه سنة ست وسبعين وخمسمائة (576هـ)، وتوفي سنة اثنين وثلاثين وستمائة (632هـ)، وعمره ست وخمسون حسب أوثق الدراسات عاش 76 سنة أي ولد 556هـ وتوفي 632هـ حسب تأريخ ابن خلكان التي أكدها صاحب كتاب ابن الفارض]. وقد ذكرت في شرحي لخمريته مناقبه ومآثره وملاقاته بالشيخ البقال وسياحته في نواحي مكَّة، ورُجوعه لصلاته على شيخه عند موته، واستقراره بمصر⁽⁷⁾ فراجع إن شئت⁽⁸⁾.

(1) في «ر» و«خ»: فأولى.

(2) في «خ»: المصنف وهو تحريف من طرف الناسخ.

(3) في «خ»: وفي.

(4) في «خ»: اصطلاحاتهم.

(5) في الأصل غميص.

(6) أبو سعيد الفرغاني: وهو «سعيد الدين الكاساني الفرغاني» المتوفى سنة 669هـ. من أشهر تلامذة صدر الدين محمد بن اسحاق القونوي المتوفى سنة 672هـ وأحد القائلين بالوحدة (وحدة الوجود). وسمي شرحه، الذي يوجد ضمنه شرح التائية، «منتهى المدارك» ويقع في مجلدين مطبوعين باستانبول سنة 1293هـ. وهو شرح لغوي صوفي، قدم له «الفرغاني» بمقدمة في مقامات السلوك وصدور الوجود.

(7) في «ر» و«خ»: في مصر.

(8) شرح خمريه ابن الفارض: والقصيدة هي ثاني قصائد ديوان ابن الفارض الصوفية، من حيث الأهمية الوجدانية، بالإضافة إلى «التائية الكبرى»، وتدعي «بالميمية» ومطلها شربنا على ذكر الحبيب مدامة *** سكرنا بها من قبل أن يُخلق الكرم، ولها عدة شروح بالإضافة إلى شرح ابن عجيبة، ومنها ما هو عربي ومنها ما هو فارسي، وجلها يحاول الكشف عما تنطوي عليه ألفاظها من معاني وجدانية راقية استخلصوه من موضوعها الأساسي في وصف الحمرة الأزلية التي ترمز إلى المحبة الإلهية في أسمى معانيها وإلى العرفان الصوفي في أبهى تجليه. =

و«الحرالي» قال الشيخ زروق رضي الله عنه⁽¹⁾ : هو أبو الحسن علي بن محمد التجيبي الحرالي بجائي الدار ترجمه صاحب عنوان الدراية⁽²⁾ : بالعالم المطلق. وقال فيه : ما من فن إلا وألف فيه⁽³⁾.

ثم قوله : «وباح بها» : يحتمل أنه⁽⁴⁾ يريد الحكمة، المعنوية أو فوائدها المقصودة أو الموجودة المشهورة. أي وباح بالحكمة أو بفوائد العقل «ابن الحرالي»، ولم يقدر عن كتَمها إذ رأى كتَمه له ضعفاً في الإيمان إن كتَمها عن⁽⁵⁾ أهلها، لقوله عليه السلام : «لا تؤثوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها من أهلها فتظلموهم»⁽⁶⁾. ورأى أيضاً تلويحه بها وإشارته لها⁽⁷⁾ غنياً، أي غطاءً وسترًا، فما أمكنه إلا التصريحُ بها نفعاً للعباد.

ومن تلك الشروح :

- 1- شرح داود بن محمود القبيصري (ت 751هـ) وهو شرح صوفي فلسفي. مخطوط بدار الكتب المصرية «نظم الدر» رقم 234 أدب.
- 2- شرح المولى أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت 940هـ) مخطوط دار الكتب المصرية رقم 93 مجاميع.
- 3- شرح المولى عبد الرحمن بن أحمد الجامي (ت 898هـ) بالفرنسية (أنشر كشف الظنون ج 4 ص 536).
- 4- شرح القاضي صنع الله بن ابراهيم (ت 1050هـ) (أنظر كذلك كشف الظنون ج 4 ص 537).

(1) في «ر» و«خ» : ناقصة.

(2) في الأصل : «ك» : «صاحب ترجمة عنوان الدراية» وهو تحريف من طرف الناسخ.

(3) «عنوان الدراية»، لأبي العباس الغبريني (644هـ - 714هـ) الترجمة رقم 31 ص 143-155، دار الآفاق، بيروت ط 2، 1979. وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسين بن ابراهيم الحرالي التجيبي. والحرالي نسبة إلى حرالة وهي قرية من أعمال مُرسية بالأندلس، غير أنه ولد بمراكش، وقد توفي سنة 638هـ/1241م.

(4) في «ر» و«خ» و«ك» : أن.

(5) في «ر» و«خ» : عن

(6) الحديث.

(7) في خ : بها.

و«الأموي» : قال الشيخ «زروق» رضي الله عنه : كُنت أعرفه ثم غاب عن ذهني. وللأموي النظم والنثر في شأن العقل الذي ذكرنا. و«إعراب»، أي بيان⁽¹⁾ كما نحنُ أغربنا أي بيننا. والله تعالى أعلم.

ثم ذكر شأن شيخه وشأن نفسه وبهما وقع الختام. فقال :
وأظهر ابنُ سبّعيننا⁽²⁾ مِنْهُ ما خَفَى
وَكَشَّفَ عَنْ أَطْوَارِهِ الْغَيْمَ وَالْدَّجْنَ
وَبَيَّنَ أَسْرَارَ الْعُبُودِيَّةِ الَّتِي
عَنْ إِعْرَابِهَا لَمْ يَرْفَعُوا اللَّبْسَ وَاللَّحْنَ

ابن سبعين هو الإمام العارف الربّاني المحقق القطب الصمداني عبد الحق ابن إبراهيم بن محمد بن سبعين. قال الغبريني : فقيه جليل، عارف نبيل فصيح، له حكمة ومعرفة وبراعة وبلاغة، مشارك في المعقول والمنقول. أحد مشاهير الفضلاء وله أتباع كثيرة وموضوعات كثيرة في يد أصحابه فيها ألغاز وإشارات وله موشحات وأشعار في طريق القوم.

توفي رضي الله عنه سنة تسع وستين وستمائة (667هـ) ؛ وهو ممن اختلف فيه أهل الظاهر ردّاً وقبولاً. وأما أهل الباطن فأجمعوا على تحقيق ولايته ومعرفته⁽³⁾.

وفي⁽⁴⁾ طبقات الشعرائي : كان ابن سبعين من المشايخ الأكابر، مات بمكة عن خمس وخمسين سنة (55 سنة). وقال في المقدمة : أخرجوه من بلاد المغرب وكتبوا فيه كتاباً، وقالوا فيه : إنه يقول : أنا هو، وهو أنا. ولما قَدِمَ مكة وجد السلطان الذي فيها مريضاً قد ظهرَ مُخُهُ، فَصَنَعَ لَهُ غِطَاءً⁽⁵⁾ من

(1) في خ : وإعراباً أي بياناً.

(2) في الديوان، وفي الإحاطة : «الغافقي». وفي «ر» و«خ» : ابن سبعين.

(3) الغبريني : عنوان الدراية. نفس المعطيات السابقة.

(4) في «ر» و«خ» : فقي.

(5) في «ر» و«خ» : رأساً.

الْقَرَعِ وَغَمَّ بِهِ مُحْتَهُ فَشَفَاهُ اللَّهُ فَقَرَّبَهُ وَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ، فَمَا زَالَ مُعْظَمًا حَتَّى مَاتَ بِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَلِذَلِكَ قَالَ النَّازِمُ فِيهِ⁽¹⁾ : «وَأَظْهَرَ ابْنَ سَبْعِينَ مِنْهُ»، أَيْ مِنْ أُمُورِ الْعَقْلِ مَا خَفِيَ⁽²⁾ عَنِ النَّاسِ وَأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ شَيْخُهُ.

قال الشيخ «زروق» : وَكَوْنَهُ أَظْهَرَ مِنْ حَقَائِقِ الْعَقْلِ وَمَوَارِدِهِ مَا خَفِيَ ظَاهِرُهُ مِنْ كِتَابِهِ، لِأَسِيْمَا عِنْدَ «الْبَدْوِ»⁽³⁾ وَمَا جَرَى مَجْرَى التَّحْقِيقِ⁽⁴⁾. [وإن كانت عبارته تحتاج إلى مُسَاحَحة في مَحَلِّهَا. فَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُ التَّحْقِيقِ. فَلِلَّحْنِ نِسْبَةٌ فِي التَّعْبِيرِ]⁽⁵⁾.

وقوله : «وَبَيَّنَ أَسْرَارَ الْعِبُودِيَّةِ». يَعْنِي فِي كِتَابِهِ «الْبَدْوِ». الَّذِي تَكَلَّمَ فِيهِ بِلِسَانِ الْمُتَكَلِّمِ وَالْفِيلَسُوفِي وَالْفَقِيهِ وَالْحَكِيمِ وَالْمُحَقِّقِ، وَأَعْطَى كُلَّ مَسْأَلَةٍ حَقَّهَا مِنْ كَلَامِهِمْ⁽⁶⁾. وَ«كَشَفَ» يَشْدُ الشَّيْنَ لِلْمُبَالَغَةِ، أَيْ كَشَفَ عَنْ أَطْوَارِ الْعَقْلِ وَمَرَاتِبِهِ الْغَيْمِ، وَهُوَ⁽⁷⁾ السَّحَابُ الرَّقِيقُ الَّذِي يَغْطِي الشَّمْسَ. وَ«الدَّجَنَّا» : أَيْ الظُّلَامُ. وَبَيَّنَ أَيْضًا أَسْرَارَ الْعِبُودِيَّةِ إِذْ هِيَ شَرَفُ الْإِنْسَانِ، الَّتِي عَنْ أَعْرَابِهَا، أَيْ عَنْ بَيَانِهَا، لَمْ يَرْفَعُوا، أَيْ النَّاسُ وَالْحُكَمَاءُ، «الْبَلَسُ»، أَيْ الْإِخْتِلَاطُ وَالِاشْتِبَاهُ. وَفِي الْقَامُوسِ «الْبَلَسُ» بِالْفَتْحِ وَيُضْمُ. الشُّبْهَةُ وَ«اللَّحْنُ» بِسُكُونِ الْحَاءِ أَيْ الْخَطَأُ⁽⁸⁾. ثُمَّ ذَكَرَ شَأْنَ نَفْسِهِ فَقَالَ :

(1) «ر» و«خ» : فِي تَرْجُمَتِهِ.

(2) فِي خ : فَأَخْفَى

(3) وَيَعْنِي : كِتَابُهُ «بَدُّ الْعَارِفِ» وَهُوَ كِتَابٌ مَطْبُوعٌ مِنْ تَحْقِيقِ جُورْجِ كَنْتُورَةَ ط 1 بِبُرُوت 1978م.

(4) فِي «ر» وَ«خ» : بِمَجْرَاهُ.

(5) فِي الْمَخْطُوطِ كُفْرَاغُ عَوْضَانِهِ بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ اعْتِمَادًا عَلَى «ر» وَ«خ».

(6) يَقُولُ ابْنُ سَبْعِينَ بَعْدَمَا انْتَقَدَ رِجَالُ الْمَذَاهِبِ الْفِكْرِيَّةِ الْأَرْبَعَةِ، مَذْهَبَ الْعِلْمِ عِنْدَ الْفَقِيهِ وَعِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ وَعِنْدَ الْفِيلَسُوفِ، ثُمَّ عِنْدَ الصُّوفِيِّ، لِيَبَيِّنَ أَنَّ مَنَهِجَ الصُّوفِيِّ الْمُحَقِّقِ فِي عِلْمٍ لَا يُضَاهِي، لِأَنَّ عِلْمَ التَّحْقِيقِ هُوَ خِلَاصَةُ الْعُلُومِ الْآخَرَى وَيَسْمَوْنَ عَلَيْهَا دَرَجَاتٍ : «فَالصُّوفِيُّ (مَثَلًا) ... ظَفَرَ بِنَتِيجَةِ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ، وَالْفَقِيهِ بِمَقْدَمَاتِهِ. وَالْمُقَرَّبُ لَا يَذْكُرُ مَعَ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ بُوْجْهِ، وَلَا يَقَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَقَارَنَةٌ، لِأَنَّ الْمَقَارَنَةَ لَا تَقَعُ إِلَّا فِي الْأَنْوَاعِ الْمُتَفَقَّةِ بِالْحَدِّ الْمُخْتَلَفَةِ بِالْفِكْرِ، وَالْحَقُّ خَارِجٌ عَمَّا ذَكَرَ» (انْظُرْ كِتَابِنَا فِي الْمَوْضُوعِ ط 1 دَارُ الثَّقَافَةِ 2006).

(7) فِي «ر» وَ«خ» : أَيْ.

(8) فِي «خ» : نَاقِصَةٌ.

كَشَفْنَا عِطَاءً عَنْ⁽¹⁾ تَدَاخُلِ سِرِّهَا
فَأَصْبَحَ ظَهْرًا مَا رَأَيْتُمْ لَهُ بَطْنًا
هَدَانَا لِقَوْلِ الْحَقِّ مَا قَدْ تَوَلَّهَتْ
لِعِزَّتِهِ أَلْبَابُنَا وَلَهُ هُدُنَا
فَمَنْ كَانَ يَبْغِي السَّيْرَ لِلْجَانِبِ الَّذِي
تَقَدَّسَ فَلْيَأْتِ لِيَأْخُذَهُ عَنَّا

يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قد كشفنا عن العبودية عطاءً كان حاصلًا من تداخل سِرِّها مع الحقيقة، فبينما محلُّ العبودية من محلِّ الحقيقة ؛ فَمَحَلُّ العبودية الظواهرُ، ومحل الحقيقة شُهود الرُّبوبة في البواطنِ. وذلك أَنَّ الحق تعالى ظهر⁽²⁾ بين الضِدَّيْنِ، فتَجَلَّى بمظهرِ الرُّبوبة في قوالبِ العُبودية ليتحقق اسمه الظاهر واسمهُ الباطن.

قال في الحِكَمِ : «سُبْحَانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الْخُصُوصِيَّةِ بِظُهُورِ وَصْفِ الْبُشْرِيَّةِ. وَظَهَرَ بِعِظْمَةِ⁽³⁾ الرُّبُوبِيَّةِ فِي إِظْهَارِ الْعُبودِيَّةِ»⁽⁴⁾، فَمَنْ نَظَرَ لِمَطْلُوقِ التَّجَلِّي، رَأَى رُبُوبِيَّةَ ظَاهِرَةٍ أَزَلِيَّةٍ، وَمَنْ نَظَرَ لِلْقَوَالِبِ رَأَى قَوَالِبَ الْعُبودِيَّةِ. فَالْعَبْدُ مَأْمُورٌ بِالْقِيَامِ بِحَقِّ الْقَوَالِبِ وَهِيَ آدَابُ الْعُبودِيَّةِ، وَبِحَقِّ الظَّوَاهِرِ وَهُوَ⁽⁵⁾ شُهود عِظْمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ. فَظَهَرَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْعُبودِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، فَأَصْبَحَ ظَاهِرًا مَا كَانَ بَاطِنًا خَفِيًّا. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ : «فَأَصْبَحَ ظَهْرًا مَا رَأَيْتُمْ لَهُ بَطْنًا». فَظَهَرَ : خَبِرَ أَصْبَحَ. وَمَا : إِسْمُهَا. وَبَطْنًا : مَفْعُولٌ ثَانٍ لِرَأَيْتُمْ، أَيِ فَأَصْبَحَ مَا كُنْتُمْ رَأَيْتُمُوهُ مِنَ الْعُبودِيَّةِ بَطْنًا ظَهْرًا. هَذَا وَلَمْ نَرَ لِلنَّاطِقِ كَلَامًا

(1) في الأصل : من، وفي الديوان والإحاطة : عن.

(2) في «خ» : تجلَّى.

(3) في «لا» : بمظهر.

(4) الحِكَمِ : وقال كذلك : «أخرج من أوصاف بشرتك عن كل وصف منافض لعبوديتك،

لتكون لنداء الحق مجيباً ومن حصرتة قريباً». شرح الحِكَمِ، ج 1، ص 32.

(5) في «خ» : وهي.

مُسْتَوْفِيًا فِي الْعُبُودِيَّةِ بَلْ جَلَّ كَلَامُهُ فِي نِظْمِهِ وَأَزْجَالِهِ⁽¹⁾ فِي أَسْرَارِ الْحَقِيقَةِ.
فَلَنَتَكَلَّمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا فَتَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ : الْعُبُودِيَّةُ هِيَ شَرَفُ الْإِنْسَانِ
وَعِزُّهُ وَسَبَبُ تَرْقِيهِ إِلَى ذُرْوَةِ⁽²⁾ الْكَمَالِ، وَهِيَ مِفْتَاحُ الْفَتْوحَاتِ كُلِّهَا.

فَبِقَدْرِ مَا يَتَحَقَّقُ الظَّاهِرُ بِالْعُبُودِيَّةِ يُشْرَقُ عَلَى الْبَاطِنِ أَنْوَارُ الرِّبُوبِيَّةِ،
وَمَرْجِعُهَا إِلَى تَحْقِيقِ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ بَحِثٌ يَظْهَرُ ذَلِكَ بَيْنَ الْإِقْتِرَانِ، كَالْمَشْيِ
بِالْحَفَا⁽³⁾ وَتَعْرِيةِ الرَّأْسِ، وَالْجُلُوسِ عَلَى التَّرَابِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَثْقُلُ عَلَى
النَّفْسِ. وَيَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ السُّؤَالُ فِي الْأَسْوَاقِ، فَهُوَ يَجْهَزُ⁽⁴⁾ عَلَى النَّفْسِ مَرَّةً
وَاحِدَةً إِنْ كَانَ بِإِذْنٍ وَلِغَيْرِ طَمَعٍ وَيَلْحَقُ بِذَلِكَ التَّخَلُّقُ بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ:
كَالتَّوَاضُعِ، وَالسَّخَاءِ، وَالْكَرَمِ، وَسَعَةِ الصَّدْرِ، وَتَرْكِ الْغَضَبِ لِلنَّفْسِ، وَغَيْرِ
ذَلِكَ. وَإِنْ أُرِدَتْ أَنْ تَعْرِفَ الْعُبُودِيَّةَ فَانْظُرِي إِنْ اشْتَرَيْتَ عَبْدًا مِنْ مَالِكَ، كَيْفَ
تَحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ، فَكُنْ أَنْتِ مَعَ سَيِّدِكَ كَمَا تَحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَبْدُكَ مَعَكَ.

فَالْعَبْدُ لَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِ، إِلَّا فَقِيرًا ذَلِيلًا، وَلَا يَلْبَسُ إِلَّا لِبَاسَ الذَّلَالَةِ
وَهِيَ ثِيَابُ الْخِدْمَةِ وَالْمِهْنَةِ. فَالْعَبْدُ الْمَتَأَدَّبُ لَا يَتَحَلَّى بِحِلْيَةِ سَيِّدِهِ حَتَّى يَحْرَرَهُ
سَيِّدُهُ. وَالْعَبْدُ لَا يُدَبِّرُ أَمْرَ نَفْسِهِ⁽⁵⁾ وَهُوَ فِي مِلْكِ⁽⁶⁾ سَيِّدِهِ، إِذْ لَا يَنْبَغِي ذَلِكَ.

وَأَيْضًا إِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ⁽⁷⁾ أَنْ يَحْظِيَ عِنْدَ سَيِّدِهِ، يَكُونُ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ،
سَمِيعًا مُطِيعًا، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَفْهَمَ عَنْ⁽⁸⁾ سَيِّدِهِ لِفَعْلٍ مَا يَشْتَهِي سَيِّدُهُ قَبْلَ أَنْ
يَأْمُرَهُ بِهِ.

(1) فِي «ر» وَ«خ»: انْظَامُهُ.

(2) فِي «خ»: كَمَالُ الْكَمَالِ.

(3) فِي ح: مَنْ: «الرِّبُوبِيَّةُ» إِلَى: «الْحَفَا» نَاقِصَةٌ.

(4) فِي ر: الْجَمْلَةُ مِنْ: «وَيَجْمَعُ» إِلَى «يَجْهَزُ» نَاقِصٌ.

(5) فِي «ك»: لِنَفْسِهِ.

(6) فِي «خ»: مَمْلُوكَةٌ.

(7) فِي خ: الْعَبْدُ أَيْضًا.

(8) فِي خ: بِالْفَهْمِ عَنْ.

وأيضاً : العبد المحبّ لسيّده لا يخدمه عن⁽¹⁾ غرض، إذ لا يستحق على سيّده شيئاً، بل يخدمه عبودية ومحبة. وفي الحديث : «لَا يَكُنْ أَحَدُكُمْ كَالْأَجِيرِ السُّوءِ، إِنْ أُعْطِيَ عَمَلٌ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَعْمَلْ»⁽²⁾. أو كما قال عليه السّلام.

ثم قال النّاظم : «هَدَانَا» أي الله تعالى أو العقل بإذنِ الله لِقَوْلِ الْحَقِّ، فقلناه فيما نَظَمْنَاهُ⁽³⁾ وَهُوَ شَرَحُ : «مَا [قَدْ] تَوَلَّهْتَ»، أي تَحَيَّرْتَ لِعِزَّتِهِ، أي لأجل منعته وغلبته. «أَلْبَابُنَا» أي عقولنا. «وَلَهُ هَدَانَا»، أي رَجَعْنَا بَعْدَ تَفَوُّرِنَا عَنْهُ لَصُعُوبَتِهِ، أي وَلَهُ تُبْنَا وَرَجَعْنَا إِنْ لَمْ تُصَادِفِ الصَّوَابُ.

ثم قال : فَمَنْ كَانَ يَنْغِي السَّيْرَ وَالتَّهَوُّضَ إِلَى الْجَانِبِ الْأَقْدَسِ وَهُوَ حضرة القدس ومحلّ الأنسِ فليأتِ إِلَيْنَا ليأخذه عنا، فإنَّ طريق السَّيْرِ لَا تَوْخِذَ إِلَّا عَنْ أَرْبَابِهَا، وَهُمْ الَّذِينَ سَارُوا مَعَهَا حَيْثُ مَا سَارَتْ وَعَرَفُوا وَعَرَهَا وَسَهَّلَهَا. وَالْمُرَادُ تَرْبِيَةَ النُّفُوسِ وَتَهْذِيبَهَا، إِذْ لَا⁽⁴⁾ تَوْخِذَ إِلَّا مِمَّنْ أَخَذَهَا عَنْ غَيْرِهِ وَسَلَكَهَا بِنَفْسِهِ عَلَى يَدِ شَيْخٍ نَاضِجٍ أَوْ أَخٍ صَالِحٍ⁽⁵⁾، وَخَاضَ مَقَامَ الْجَذْبِ وَالسُّلُوكِ، وَحَازَ مَقَامَ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ. وَمَنْ لَمْ يَسْلُكْ ذَلِكَ فَلَا يَقْتَدِي بِهِ فِي سُلُوكِهَا. بِاللَّهِ التَّوْفِيقَ وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ⁽⁶⁾. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَمَ تَسْلِيماً، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

هذا آخر ما قصدناه من شرح النونية الششترية، على تصحيف في مَثْنِهَا. فَمَنْ وَقَفَ عَلَى خَلَلٍ فَلْيَصْلَحْهُ مِنْهَا وَمَنْ شَرَحَهَا، إِذْ قَلَّ مَا يَخْلُصُ مُصَنَّفٌ مِنَ الْهَفَوَاتِ، أَوْ يَنْجُو مُؤَلَّفٌ مِنَ الْعَثَرَاتِ. كَمَا قَالَ «الشَّيْخُ خَلِيلٌ»⁽⁷⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(1) في ر : على.

(2) الحديث : البداية والنهاية لابن كثير ج 9 ص 291.

(3) في خ : نظمنا.

(4) في «ر» و«خ» : فلا.

(5) في «ر» و«خ» : الجملة من : «على يد» إلى : «صالح» : ناقصة.

(6) في خ : من «وصلّى الله...» إلى : «رب العالمين» ناقصة.

(7) في ر : ناقصة.

وكان الفراغ من تبييضه ضحوة يوم الخميس، فاتح رجب الفرد⁽¹⁾ سنة عشرين ومائتني وألف هجرية (1220هـ) على يد جامعه : العبد الفقير إلى ربه، الغني به عما سواه⁽²⁾ أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني⁽³⁾ لطف الله به في الدارين، وبلغه من رعاية معرفة ربه قرّة العين آمين⁽⁴⁾. نسأل الله تعالى بمنه وكرمه، أن يكسو هذا الشرح جلاباب القبول، وأن يبلغ كل من كتبه أو طالعه كل قصد مأمول بجاه سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه المرسلين آمين⁽⁵⁾ والحمد لله رب العالمين.

انتهى بحمد الله وتوفيقه⁽⁶⁾.

(1) في «ر» و«خ». ناقصة.

(2) في خ : «إلى ربه، الغني به عما سواه» ناقصة.

(3) في خ : من : «لطف الله به...» إلى : «انتهى لحمد الله وتوفيقه» ناقصة. وفي ك : الحسني ناقصة.

(4) في «ر» و«خ» : ناقصة.

(5) في «ر» و«خ» : «صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه المرسلين آمين». ناقصة.

(6) في ك : «انتهى بحمد الله وتوفيقه». ناقصة.

ثانيا : صور المخطوطات المعتمدة

[illegible]

از این جهت

[illegible]

إِذَا رَافِقُهُ
بِالْمَسِيرِ
الْعَاجِزُ

المحررة

رَبِّهِ

[illegible]

[illegible]

قوامه مراتب الأولياء للصنفات الجنرال العلم أهل مكة أمر في شعبة العلم يعرفوا بعملهم
العلم والحق تعلم أعلم قال : أوائل سرجه لهذا الفيض إلى التعريف بالشيخ وأما الشيخ
فهو الأستاذ الفقيه المفسر الحديث الصوفي العالم القليل الدامل المحقق المدني أبو
الحسن علي بن عبد الله الضعيف ثم المشهور بمجتهدين أنا هذا ضعوة وبعد هاتاه جوفية لأدب
نسبة التي مشهور فردي كانا لعل علم وفريد روضة وبلا عيراة أيضا فريفة تقصير به الخ قال ابن
أبي عمير لم يزل ابنه العلوي وأمراه وضار من ذات الفقراء وكان يغرام عليه الغرور بالمرواية ١٦
علمه بل بأصول الستة وأنواع الرواية والصواع كل من التحمل الصغار ثم ظهر من يوم الكبار
فرا الراي إليه العبد ثم تصدى والنتم تحريقه قبل تشوق وكل ذلك معرفة وهمة مع مسئلة ركنه في
علوم نزل الحرابل فلما خذ عنه أهله علوه لموا أنم عرضا عليه فضاء هذا فلم يؤذى عليه وإنما لم
حوله فلا يستخفوه بقدر ذلك

رضي العليم: العيون بخونه
لا تعد له فليس يجمع مثلهم
فما أبصر في القتيبة وأهله
فلا يزالوا في غيرهم فلاب
فلا يله إذا هتف العمام بلينة

واد الله بالعلم بغير دفع ذنبه بالصبر فخير من دفعه بغيره
 والله انك الغصاة لا اعينك اراء اعتراضك في الفضل ولا تدفعك الى التردد هذه آية وارغبة نفسي
 العريضة لا تدعوك الشكيت والتلويز وهذه اضاهير ولا بد لك من الخروج على ما بين يديك المستفاد
 والعمل ولكم الهريفة حصة في العفافات واللامية عذوبة ولم تنزل فقد صحتة ثم فلا وتلا
 يرمي به هب شيخه الامام الولي الكاظم العجوة في عبد الله بن صغير هذه القول بالكلية لا نقاد
 واليه المزمع والا فادعوه فقل الله اريكم من اهل ذلك وهو اهل العلم والتفكير في احكام النية
 وانسانه خذوا من نفي ذلك فالواجب اريكم من اهل العلم وتلاوه الوجه الصحيح فليس
 والمسلم اهل العلم خذر قال الشيخ ابو عبد الله العجوة الغاضي رحمه الله تعالى وغير
 له المتفاد واية والاشهاد جارية بل عرفت فاتبع واجهك فقل الله ابو عبد الله
 الغوري رحمه الله في العرب الخاتبة امر وبلغ في اهل طامر فيل والله النادر هذه اقل
 اختلاف واهم النعمان الفخمية فيل له فقل ترجع قال التسليم واخطب يستدل له
 الشورى رحمه الله في العرب الخاتبة في الامام الامام حمزة وتلك امة تدخلت لها
 على حسب العلم والتسليم واكتفى في علمه بالانوار واهل العلم العرب اليه اجوبة هذه تفيل
 كلام النابرج كاولي ارجح علم الامام فيقال هذا الكلام ينشئ كذا ويداعلم كذا وينكر كذا
 وايضا عرض لطيف صاحبه احتفال بجوي عنه لا يبقا وقد كان في اليد بالنسب والافكار وفي كلامه
 ما تدا على التفتا في ابي اهدا من فليده وقد قال الشيخ ابو جعفر في روى الفقه في احوال
 الفاضل بن بطنه الامام والفقه في احكام مسلم واحدة بسببه لغير فله منه يارضه النفا
 في كلام زور رضي الله عنه قال في سبب استفاد اهل الظاهر علم اهل الباطن اهل الظاهر لا ينسب
 في علمه جازا واخره السجدة الخاصة ثم بعض النعمان في الشرا فقامت من اهلهم
 في ذلك فبعضه عنه يرمي ما انزله من اهل العلم في الاقدار ثم منهم عنه وذلك طاب العرب والفتنة
 وابر القارضوا ابرهم ومن ذلك اناس لا يدرك بالعبارة وانما في اللغة عناية

[illegible][illegible]

الصفحات الأخيرة من "ر"

العباد الفقير المريد الغني بمغفرتك يا ذا الجلال والإكرام
عليه معرفته ربه في العلم فكل ما يتفكره في نفسه وما يحسونه في
السر على باب الغيوب لا يعلمه الا انت ارحم الراحمين
وما علموا بحال السبيل الا اولئك الذين اوتوا الكتاب
رب العالمين انت خير معلم
وتوفيقه

العبودية هي شرف الإنسان وعزته. وسبب ترفه إلى كمال الكمال وهو مفتاح الفرح والسرور
كلها. فبقدر ما يتحقق الظاهر بالعبودية، يشرق على الباطن أنوار الحقيقة. ومن جملة ما ينبغي تحقيقه
أن الذي في الظاهر يظهر ذلك فيقول القرآن: كَلِمَتِي نَقَلْتُ بِهَا كَلِمَتَكَ. والظاهر على التراب
وعبر ذلك مما يتخلل على النفس ويجمع ذلك كله. الرسول في الأسواق، فهو يجمع عن النفس مرة واحدة
إن كان له دين، ولا يغير طبعه. والحق بذلك: الخلق بالخلق في الحقيقة، كما توافق، والاشياء، والكرام،
وسعة القدر، وتوكل النفس، والحق بذلك: وإن كان قد أتت أن تعرف العبودية، فإنها إن لم تكن
عبدًا من عبادك، كيف قلب أن يكون معك، فكن أنت مع سيديك. كما يجب أن يكون عبدك معك
عبدًا، لا يكون بين يدي سيده. حتى لا يترك سيده. إلا فقير أدبًا، ولا يلبس إلا لباس الكمال،
وهو ثياب الخدمة والعبادة. فالعبد هو الذي لا يتكلم بغير سيده، حتى يرضى سيده
والعبد أيضًا لا يذبح أمر سيده، وهو في حلقه سيده. إذ أن يتفقد ذلك أيضًا.
وإذا أراد العبد أن يتخطى عند سيده، يكون عند أمره ونهيده، متبعًا مطيعًا، بالفرح عن
سيده. فمفضل ما يشهده سيده، قبل أن يأمره به.

وأما قوله العبد الحق السيوف، فإنه يؤيد من غير وجه، إذ لا يستحق على سيوفه شيئا بل يخدمه بخوديه ومحبته.
وفيه الحديث: «ذلك ليكن كراهية جبر السيوف» إذا لم يفسر عمل والى كراهية فعل، أو كما هو عليه السلام في
عمله السلام، «هناك الله تعالى، أول العقل بل ذن الله لقل الحق» فقلناه فيما نقلناه وهو شرح
توحيده، أي تحسنت لغيره، أي له كل من غلبته أو لبه لنا، أي غلبنا، وله هذا، أي حقه
بما نعبرنا عنه لغويته، أي والله شيئا وعرضا أن لم يغادره القلوب ثم قلنا، فإنه كان ينبغي التمسك
والعطف إلى الجانب الآخر، وهو خوفه من وجهه من محل الأنس، فقلنا في البيت ليس خوله، فلو
طريقه السيرة له توخذ، أي أن بابها، ومع ذلك سائر أوصافها، وعزها وعزها وسهولتها، والى أن تزيده
النعوس وتزيد بها، فلا توخذ إلا من أخذها عن غير، وسلكها بنفسه، وهذا من مقام الجذب،
والسلوك، وهو من مقام الإقناع والإقناع، ومن ثم لا يشك ذلك، قد يقدر من يدعي سلوكها وبذلك
التوفيق، وهو ما أدى إلى سواء الطريق، هذا آخر ما وجدناه من شرح النونية التفسيرية، على
تصنيفه في مثنىها، فمن وقف على كل فليصنف منها، ومن شرحها، إذا قل ما خلفه، فقلنا من
أنه فوات، أو توفيق مؤلف من العزات، كما قلنا الشيخ خليل رحمه الله، وكان الفراغ من تصنيفه، غفر له
الحسن، في رجب سنة عشرين ومائتين وألف هجرية (1220هـ) على يد جامعها، العبد الفقير البخل
إلى محبة الخليفة الشافعي، وقد نقله العبد الفقير الماني الخالد عبد السلام هنا، وكان الفراغ
عنه، بمكة في رجب 25 ذو القعدة عام 1399هـ الموافق 17 أكتوبر سنة 1979م. (ع)

**ثالثا : ملحق القصيدة النونية كما
حققناها ضمن ديوان الششتري**

التونية : المشهورة « بالشرق والغرب »

- 1- أرى طالِباً مِنَّا الزيادةَ لا الحسنى
- 2- وطالِبُنا مطلوبُنا من وجودنا
- 3- تركنا حظوظاً من حضيضِ لحوظنا
- 4- ولم نُلَفِرْ كُنْهَ الكونِ إلا توهُماً
- 5- فَرَفَضُ السَّوَى فَرَضٌ عَلَيْنَا لأننا
- 6- وَلَكِنَّهُ كَيْفَ السَّبِيلُ لِرَفْضِهِ
- 7- فَيَا قَائِلًا بالوصلِ والوقفِ⁽⁵⁾ التي
- 8- تُقْبِذُتْ بالأوهامِ لما تداخلتْ
- 9- وَهَمَّتْ بأنوارِ فَهْمِنَا أَصُولَهَا
- 10- وَقَدْ تُخْجَبُ الأنوارُ للعبدِ مِثْلَ مَا
- 11- وَأَيُّ وَصَالٍ فِي الْقَضِيَّةِ يُدْعَى
- 12- وَلَوْ كَانَ سِرُّ اللَّهِ يُدْرِكُ هَكَذَا

(1) يقصد جنة عدن، لأن مطلب الصوفي يتجاوز النعيم الآخروي (الجنان) إلى معرفة الله ودوام شهوده، وهو يشير إلى قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْإِحْسَنَ وَزِيَادَةً﴾ يونس : 26.

(2) أي أن الطالب من تلك الزيادة التي هي المعرفة هو عين مطلوبها، إذ ليس الأمر خارجاً عن ذواتها عند تحقق الفناء وهو الصعق، فالطالب هو المطلوب، فلا اثنينية ولا غيرية عند المحقق.

(3) أي تركنا حظوظ أنفسنا التي تهوي بنا إلى الحضيض سبب تطلعنا إلى المقصد الأعلى وهو معرفة الله.

(4) يوضح الإشكال الذي يضعه البيت السابق وهو أن (رفض السوى فرض علينا) إذ كيف السوى من هو في ذاته سوى، وكل سوى عدم محض ؛ فالرفض هو المرفوض نفسه.

(5) الوقفة (صوفياً) عائق في طريق السالك يحتجب به عن رؤية الله، أو الوقفة في المقام بحيث لا ينتقل منه إلى مقام أعلى طائناً أن مقامه منتهى الطريق.

(6) يقصد يا قائلًا بوجود نفسه وبالوصول بنفسه إلى الله ارجع عن هذا الاعتقاد، فليس ثم إلا الله، واعتقاد الوصول بالعمل شرك، لأن الوصول إليه تكرم منه عليك.

(7) معناه : قد تحجب أنواع الطاعات والكرامات التي تتحقق للسالكين عن السير نحو الغاية.

- 13- فَكَمْ دُونَهُ مِنْ فِتْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ
 14- فَلَا تَلْتَفِتْ فِي السَّيْرِ غَيْراً وَكُلُّ مَا
 15- وَكُلُّ مَقَامٍ لَا تَقُمْ فِيهِ إِنَّهُ
 16- وَمِنْهُمَا تَرَى كُلَّ الْمَرَاتِبِ تُجْتَلَى
 17- قُلْ : لَيْسَ لِي فِي غَيْرِ ذَاتِكَ مَطْلَبٌ
 18- وَسِرْ نَحْوَ أَعْلَامِ الْيَمِينِ فَإِنَّهَا
 19- أَمَامَكَ هَوْلٌ فَاسْتَمِعْ لَوَصِيَّتِي
 20- أَبَادُ الْوَرَى بِالْمَشْكِلَاتِ وَقَبْلَهُمْ
 21- مَحَجَّتُنَا قَطَعَ الْحِجَا وَهُوَ حَجَّتَا
 22- يُبْطِئُنَا عِنْدَ الصُّعُودِ لِأَنَّهُ
 23- تَلُوحُ لَنَا الْأَطْوَارُ مِنْهُ ثَلَاثَةٌ :
 24- وَيُبْصِرُ عَبْدًا عِنْدَ طَوْرِ بَقَائِهِ
 25- وَلَوْحًا إِذَا لَاحَتْ سَطُورُ كَيْبَانِنَا
 26- وَعَرْشًا وَكُرْسِيًّا وَبُرْجًا وَكُوكَبًا
 27- يَمُدُّ خُطُوطَ الدُّهْرِ عِنْدَ التِّقَاتِهِ
 28- يُقَيِّدُ بِالْأَرْمَانِ لِلدُّهْرِ مِثْلَمَا
- وَكَمْ مَهْمَةٍ (8) مِنْ قَبْلُ ذَلِكَ قَدْ جُبْنَا
 سِوَى اللَّهِ غَيْرٌ فَاتَّخِذْ ذِكْرَهُ حِصْنًا
 حِجَابٌ فَجِدْ السَّيْرَ وَاسْتَنْجِدِ الْعَوْنَا
 عَلَيْكَ فَحُلْ عَنْهَا فَعَنْ مِثْلِهَا حُلْنَا
 فَلَا صُورَةَ تُجْلَى وَلَا طَرْفَةَ تُجْنَى
 سَبِيلٌ بِهَا يُمْنٌ فَلَا تَتْرُكِ الْيُمْنَا (9)
 عِقَالٌ مِنَ الْعَقْلِ الَّذِي مِنْهُ قَدْ تُبْنَا
 بِأَوْهَامِهِ قَدْ أَهْلَكَ الْجِنَّ وَالْبَنَّا (10)
 وَحَجَّتُنَا تَلُوهُ بَاءُ بِهَا تَهْنَا (11)
 يَوْدُ لَوْ أَنَّا لِلصُّعِيدِ قَدْ أَخْلَدْنَا
 كِرَاءَ وَمَرْنَى وَرُوبَةَ مَا قُلْنَا
 وَيَرْجِعُ مَوْلَى بَالْفَنَّا وَهُوَ لَا يَفْنَى
 لَهُ فِيهِ وَهُوَ اللَّوْحُ وَالْقَلَمُ الْأَذْنَى (12)
 وَحَشَوُا الْجِسْمَ الْكُلَّ فِي بَحْرِهِ عُمْنَا
 إِحَاطَتُهُ الْقُصْوَى الَّتِي فِيهَا أَظْهَرْنَا
 يُكَيِّفُ لِلْأَجْسَامِ مِنْ ذَاتِهِ الْأَيْنَا

(8) مهمه : المفازة البعيدة، البلد المقفر. القفار.

(9) يقصد بأعلام اليمين لواء الشريعة المحمدية، عملاً بالقول : من تصوَّف ولم يفقه فقد تزدق، ومن نفقه ولم يتصوَّف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق.

(10) الجن والبن : قبيلتان قالوا : إنهما كانتا قبل وجود الجنس البشري وملأتا الدنيا فساداً، ونزلت الملائكة فقضت عليهما. وكان منهم إبليس الذي رفض السجود لآدم (انظر : «تفسير المنار 1/258 ديوان الششتري ص 70»).

(11) مراده : أن سبيل التصوَّف ليس سبيل العقل، بل سبيل الذوق، وهو المراد بقطع الحجا، والوصول إلى الله عن طريق السلوك والذوق هو المقصد الأسنى، وهو محجتهم، حجهم، وقوله : باء بها تهنا، يقصد باء الوحدة، اعتبرت كذلك من القول المأثور : بي كان وبني يكون كل ما هو كائن.

(12) يقصد : أن العقل يتأثر بمقامات السالك وأحوال الواصل إلى الله، فيظهر في كل مقام بمظهره، ومن مظاهره أنه يصير كاللوح المحفوظ إذا صفا وعظم نوره، وأنه يشمل كل الجواهر الكلية العليا.

- 29- أَقَامَ دُونِنَ الدَّهْرِ سِدْرَةً ذَاتِهِ
 30- وَفَتَقَ لِلْأَفْلَاقِ جَوْهَرَهُ الَّذِي
 31- يُفَرِّقُ مَجْمُوعَ الْقَضِيَةِ ظَاهِرًا
 32- وَعَدَّدَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ وَاحِدٍ
 33- وَيَعْرِجُ وَالْمِعْرَاجُ مِنْهُ لِذَاتِهِ
 34- وَيَجْعَلُ سُفْلِيهَا وَيُوْهِمُ أَنَّهُ
 35- يُقَدِّرُ وَضَلًا بَعْدَ فَضْلٍ لِذَاتِهِ
 36- يُجَلِّي لَنَا طُورَ الْمَعِيَةِ شَكَّهُ
 37- وَيُلْحِقُهَا بِالشَّرْكِ مِنْ مَثْنَوِيَةٍ
 38- فَنَحْنُ كُدُودِ الْقَرْزِ يَحْضُرُنَا الَّذِي
 39- فَكَّمْ وَاقِفٍ أَرْدَى وَكَمْ سَائِرٍ هَدَى
 40- وَتِيَمَ أَلْبَابِ الْهَرَامِيسِ كُلِّهِمْ
 41- وَجَرَّدَ أَمْثَالَ الْعَوَالِمِ كُلِّهَا
 42- وَهَامَ «أَرَسْطُو» حَتَّى مَثَى مِنْ هَيَامِهِ
 43- وَكَانَ «لِذِي الْقَرْنَيْنِ» عَوْنًا عَلَى الَّذِي
- وَنَحْنُ وَوَصَفُ الْكُلِّ فِي وَضْفِهِ حِرْنًا
 يُشَكِّلُهُ سِرُّ الْحُرُوفِ بِحَرْفَيْنَا⁽¹³⁾
 وَيَجْمَعُ فُرْقًا مِنْ تَدَاخُلِهِ فُرْنَا
 بِالْفَظِ أَشْمَاءُ بِهَا شَتَّتَ الْمَعْنَى
 لِتَطْوِيرِهِ الْعُلُويِّ بِالْوَهْمِ أُسْرَيْنَا⁽¹⁴⁾
 لِسُفْلِيهِ الْمُجْعُولِ بِالذَّاتِ أَهْبِطْنَا
 وَقَرَضَ مَسَافَاتٍ يَجِدُّ بِهَا الدُّهْنَا
 وَإِنْ لَمَعَتْ مِنْهُ فَلَتَلَحَقَهُ الْمِينَا⁽¹⁵⁾
 يَلُوحُ بِهَا وَهُوَ الْمَلُوحُ وَالْمَثْنَى⁽¹⁶⁾
 صَنَعْنَا لِرَفْعِ الْحَضَرِ سِجْنًا لَنَا مِثْنَا
 وَكَمْ حِكْمَةٍ أَبْدَى وَكَمْ مُمْلِقٍ أَغْنَى
 وَحُسْبُكَ مِنْ سُقْرَاطٍ أَسْكَنَهُ الدُّنَا
 وَأَبْدَى «لَا فَلَاطُون» فِي الْمَثَلِ الْحُسْنَى
 وَبَثَّ الَّذِي أَلْقَى إِلَيْهِ وَمَا ضَنَا
 تَبَدَّى لَهُ وَهُوَ الَّذِي طَلَبَ الْعَيْنَا

(13) معناه : أن العقل الإنساني فتق للأفلاك المحيطة به جواهرها فأدركها على نحو عند علماء الفلك، وأن الله جعل كل فلك يتصرف (في زعمهم) بسر حرف من الحروف، أما الحرفان اللذان أشار إليهما فهما الألف والباء لأنهما مرجعا أسرار الحروف كلها.

(14) يقول : إن العقل عندما يرتفع بإدراكه من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح فإنه في الواقع لا يعرج وإنما يرتقي في نفسه، والوهم هو الذي يحيل إلى الغيرية، وأن هناك عارجا ومعرجا إليه يقصد أن العقل بأوهامه هو الذي يتخيل الاثنيية في الكون، من موجود وموجد، مع أنه وجود مع الله، وإن لمعت منه، أي أنوار الحقائق، فمحا الاثنيية وأثبت الوحدة يلحقه الكذب واليمن في اعتقاده. فهو ظاهر بكل شيء من كل شيء، للعموم بالفعل وللخصوص بالاسم والنعت، وللخصوص بالصفات وللقاتمين بمشاهدة الذات بالذات.

(15) مراده : ويلحق العقل المعية التي أثبتتها بوهمة بالشرك الجلي عند أهل الفناء من أهل الباطن، الشرك الخفي عند أهل الظاهر، فهو يظهر المثوية والمعية من خالق ومخلوق وهو الناظر والمنظور، المثبت للشفعية الملحق لها بالشرك، وهذا تناقص في طبيعته.

- 44- وَيَحْتُ عَنْ أَسْبَابِ مَا قَدْ سَمِعْتُمْ⁽¹⁷⁾
- 45- وَذَوَّقَ «لِلْحَلَّاجِ» طَعْمَ اتِّحَادِهِ
- 46- فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ مَقَالِكَ قَالَ : لَا
- 47- وَأَنْطَقَ لِلشَّيْبَلِيِّ بِالْوَحْدَةِ الَّتِي
- 48- وَكَانَ لِذَاتِ النَّفْزِيِّ مُوَلَّيَهَا⁽¹⁸⁾
- 49- وَكَانَ خَطِيباً بَيْنَ ذَاتَيْنِ مَنْ يَكُنْ
- 50- وَأَصَمَّتْ لِلْجَنِيِّ⁽²⁰⁾ تَجْرِيدُ خَلْقِهِ
- 51- تَتَنَّى قَضِيبُ الْبَانِ⁽²²⁾ مِنْ شُرْبِ خَمْرِهِ
- 52- وَقَدْ شَذَّ «بِالشُّوْذِيِّ» عَنْ نَوْعِهِ فَلَمْ
- 53- وَأَصْبَحَ فِيهِ السَّهَرُ وَرَدِّي حَائِراً
- 54- وَابْنُ قِيسٍ «خَلَعَ نَعْلَهُ» وَجُودِهِ
- 55- أَقَامَ عَلَى سَاقِ الْمَسْرَةِ نَجْلَهُ⁽²³⁾
- وَبِالْبَحْثِ غَطَّى الْعَيْنَ إِذْ رَدَّهُ غَيْنًا⁽¹⁸⁾
- فَقَالَ أَنَا مَنْ لَا يُحِيطُ بِهِ مَعْنَى
- شَرِبْتُ مُدَاماً، كُلُّ مَنْ ذَاقَهَا غَنَى
- أَشَارَ بِهَا لِمَا مَحَا عِنْدَهُ الْكُونَا
- يُخَاطَبُ بِالتَّوْحِيدِ، صَيَّرَهُ خِذْنَا
- فَقَبِيرٌ أَيْرَ الْبَحْرِ الَّذِي فِيهِ غُصْنَا
- مَعَ الْأَمْرِ إِذْ صَارَتْ فَصَاحَتُهُ لُكْنَا⁽²¹⁾
- فَكَانَ كَمِثْلِ الْغَيْرِ لَكِنَّهُ تَنَّى
- يَمِيلُ نَحْوَ أَخْدَانٍ وَلَمْ يَسْكُنِ الْمُدْنَا
- يَصِيحُ فَمَا يُلْقَى الْوُجُودُ لَهُ أَذْنَا
- و«لَبَسُ إِحَاطَاتٍ» مِنَ الْحِجْرِ قَدْ تَبْنَا
- لِمُزْنٍ مِنَ الْأَسْرَارِ فَاسْتَقَطَرَ الْمُزْنَا

(17) يقصد : ما سمعتم في القرآن من طوافه حتى وقف على عين حمئة، وهي (عندهم) عين الحياة التي يبحث عنها الخضر أيضاً فعثر عليها. (انظر التفسير الكبير ج 21/168).

(18) المراد بالغين (عندهم) ما يعرض لقلب الصوفي من حجاب كما يعرض للمرأة إذا تنفس فيها الناظر، ثم تعود إلى صفاتها. ويروون في ذلك الحديث : أَنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ. (اللمع 451).

(19) هو الشيخ محمد بن عبد الجبار النفزي (توفي 354) صاحب : «المواقف في التصوف» وقد شرحه عفيف الدين التلمساني، والنفزي صوفي كبير : (انظر : «كيف الظنون 561/2»).

(20) قال الشيخ زروق : أظن أنه ابن جني النحوي الذي ألف كتاباً ذكر فيه فصاحة الإنسان وعقله ومداهما.

(21) يقصد أن العقل أصممت لابن جني كتابه الذي سماه (تجريد خلق الإنسان) وإنما أصمته لأن الأمر يقتضي أكثر مما ذكر فيه. وهكذا غدت فصاحة ابن جني لكمة إزاء العقل (ولا يعرف لابن جني كتاب بهذا العنوان).

(22) هو أبو عبد الله الحسين بن عيسى من ذرية آل البيت سُمي قضيب البان لجمال قده وحسن منظره. توفي سنة 573 هـ بالموصل كان من أرباب الأحوال، والناظم يشير إلى أنه كان ذا تلون. انظر (تراجم الأولياء في الموصل الحذباء) ص 70-79 والنفحات ص 525.

(23) يقصد : أقام العقل ابن مسرة على ساق المسرة عندما كشف له الأسرار.

56- وَلَا حَ سَنَا بَرَقَ مِنَ الْقُرْبِ لِلنَّهْيِ
 57- وَقَدْ قُلِدَ الطُّوسِيُّ مَا قَدْ ذَكَرْتُهُ
 58- وَلَا بِنَ طَفِيلٍ وَابْنِ رُشْدٍ تَبْقُظُ
 59- كَسَا لَشَعْبٍ ثَوْبَ جَمْعٍ لِدَاتِهِ
 60- وَعَنْهُ طَوَى (25) الطَّائِي بَسْطَ كِيَانِهِ
 61- تَسْمَى بِرُوحِ الرُّوحِ جَهْرًا فَلَمْ يُبَلَّ (26)
 62- بِهِ عُمَرُ بْنُ الْفَارِضِ النَّازِمُ الَّذِي
 63- وَبَاحَ بِهَا نَجْلَ «الْحَرَالِي» عِنْدَمَا (27)
 64- وَلِلْأُمَوِيِّ النَّظْمِ وَالنُّشْرِ فِي الَّذِي
 65- وَأَظْهَرَ مِنْهُ الْغَافِقِيُّ لِمَا خَفِيَ
 66- وَبَيَّنَ أَسْرَارَ الْعُبُودِيَّةِ النَّبِيِّ
 67- كَشَفْنَا غِطَاءً عَنْ تَدَاخُلِ سِرِّهَا
 68- هَذَا نَا لِدِينِ الْحَقِّ قَدْ تَوَلَّيْتُ
 69- فَمَنْ كَانَ يَنْفِي السَّيْرَ لِلْجَانِبِ الَّذِي

لِنَجْلِ ابْنِ سَيْنَا الَّذِي ظَنَّ مَا ظَنَّ (24)
 وَلَكِنَّهُ نَحْوُ التَّصَوُّفِ قَدْ حَنَّا
 «رِسَالَةُ يَقْطَانَ» اقْتَضَتْ فَتَحَهُ الْجَفْنَا
 يَجُرُّ عَلَى حُسَايِهِ الذَّيْلَ وَالرُّدْنَا
 بِدَسْكَرَةِ الْخُلَاعِ إِذْ أَذْهَبَ الْوَهْنَا
 وَلَمْ يَرِنْدًا فِي الْمَقَامِ وَلَا خِذْنَا
 تَجَرَّدَ لِلْأَشْعَارِ قَدْ سَهَّلَ الْحَزْنَا
 رَأَى كَنَمَهُ صَغْبًا وَتَلْوِيحَهُ غَيْنَا
 ذَكَرْنَا وَإِعْرَابَ كَمَا نَحْنُ أَغْرَبْنَا
 وَكَشَفَ عَنْ أَطْوَارِهِ الْغَيْمِ وَالْدُخْنَا
 عَنْ إِعْرَابِهَا لَمْ يَرْفَعُوا اللَّبْسَ وَاللَّحْنَا
 فَأَصْبَحَ ظَهْرًا مَا رَأَيْتُمْ لَهُ بَطْنَا
 لِعِزَّتِهِ الْبَابُنَا وَلَهُ هُذْنَا
 تَقْدُسُ، فَلَبَّاتِ الْآنَ يَأْخُذُهُ عَنَا

(24) يشير الناظم بقوله : ظَنَّ مَا ظَنَّ إلى كونه قال بتبعية الشريعة للعقل، وهو قول فاسد (عندهم) أو لأنه قال بآراء الأقدمين في الطبيعة.

(25) هو الشيخ محيي الدين بن عربي الحاملي الطائفي (ب 638هـ)، ويقول الناظم عنه : إن العقل طوى بساطه عنه فغاب عقله عن إدراك حقيقته لكون ما أدركه خارجاً عن طور العقول، ودسكرة الخلاع : بجمع أهل الخمرة، أي أنه لما أذهب عن نفسه وهن العقل بحضرة العشاق العارفين باح بالسر.

(26) أشار إلى قول ابن عربي :

أنا القرآن والسبع المثاني وروح الروح لا روح إلاواني

(27) هو أبو الحسن علي بن محمد التيجيبي الصوفي العالم (ت 638هـ) والمقصود أنه باح بكل الأسرار.

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس المصطلحات
- فهرس الأعلام
- فهرس المذاهب
- فهرس الكتب
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

- 50 ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت﴾ (1)
- 54 ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ (2)
- 54 ﴿ويريدون وجه الله﴾ (3)
- 62 ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ (4)
- 64 ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ (5)
- 64 ﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ (6)
- 64 ﴿ثم جعلنا الشمس﴾ (7)
- 64 ﴿ثم قبضته قبضاً يسيراً﴾ (8)
- 66 ﴿رَبِّ أرني كيف تُحيي الموتى﴾ (9)
- 75 ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ (10)
- 76 ﴿وقل رَبِّ زدني علماً﴾ (11)
- 76 ﴿قل لو كان البحر مدّاداً لكلمات ربي لنفد...﴾ (12)
- 77 ﴿وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم﴾ (13)
- 77 ﴿ولا أخاف ما تُشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً﴾ (14)
- 77 ﴿وسع ربي كلَّ شيء عِلْماً﴾ (15)
- 77 ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله...﴾ (16)
- 78 ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ (17)
- 78 ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ (18)
- 78 ﴿الذين ءامنوا ولم يُلبسوا إيمانهم بظلم...﴾ (19)

- 79 ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (20)
- 87 ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (21)
- 86 ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ (22)
- 92 ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (23)
- 96 ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِهَا﴾ (24)
- 96 ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (25)
- 108 ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا وَأَذَانٌ...﴾ (26)
- 112 ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (27)
- 118 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ...﴾ (28)
- 122-121 ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (29)
- 154 ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (30)

فهرس الأحاديث النبوية

- 78 (1) «أمسك يا رسول الله فإن الله منجز وعدك به»
- 66 (2) «علمه بحالي يُغني عن سؤالي»
- 78 (3) «عبدني لا تأمن مكري وإن أمنتك...»
- 92 (4) «أنا أعرفكم بالله وأشدكم خشية»
- 101 (5) «قوامُ المرء عقله ولا دين لمن لا عقل له»
- 101 (6) «المغبون من أخطأ حظه...»
- 101 (7) «أساس الدين العقل...»
- 102 (8) «موت ألف عايد صائم النهار قائم الليل»
- 102 (9) «قسم الله العقل على ثلاثة أجزاء...»
- 105 (10) «أول ما خلق الله العقل فقال له : أقبل فأقبل...»
- 127 (11) «من زهد في الدنيا أربعين يوماً نطق بالحكمة»
- 127 (12) «من أعطِيَ زهداً وسُمتا حسناً...»
- 163 (13) «لا يكن أحدكم كالأجير السوء...»

فهرس المصطلحات

- ر -	- أ -
89 :	الرضا
56 ، 45 :	الاتحاد
- س -	45 :
66 :	السوى
81 :	الأحوال
- ظ -	99 :
50 :	الظاهر (أهل الظاهر)
- ب -	50 :
- ع -	الباطن (أهل الباطن)
110 :	العرش
139 :	البقاء
- ف -	- ت -
57 :	الفناء
64 :	التصفية
- ك -	- ج -
61 :	الكرامات
116 :	الجبروت
110 :	الكراسي
- ح -	51 ، 45 :
- ل -	الحلول
60 ، 59 :	اللحوظ
122	الحظوظ
- م -	59 :
63 :	مواجيد
103 :	الحرص
77 :	المشيئة
- ذ -	80 :
81 :	المريد
ذبح النفس	

	- ه -	81 :	المقامات
62 :	الهباء	116 :	مَهْمَه
84 :	الهبة	116 :	الملك
	- و -	116 :	المللكوت
80 :	الولاية		

فهرس الأعلام

— أ —

- ابن ليون (التجيبى) : 48 :
ابن سبعين (عبد الحق) : 49 :
ابن عربى (الشيخ الأكبر) : 154 ، 153 ، 71 ، 50 :
ابن فورك (أبو بكر) : 50 :
ابن عطاء الله (الأسكندري) : 121 ، 84 ، 79 ، 64 ، 51 :
ابن الفارض (عمر) : 157 ، 156 ، 94 ، 55 ، 51 :
ابن مشيش (عبد السلام) : 75 ، 51 :
ابن سينا (الشيخ الرئيس) : 145 ، 96 :
ابن البناء (الصوفى) : 105 :
ابن زكري : 137 :
ابن جنى (أبو الفتح) : 140 :
ابن قسى (أحمد بن الحسين) : 143 :
ابن مسرة (محمد بن عبد الله) : 144 :
ابن طفيل (أبو بكر) : 148 :
ابن رشد (أبو الوليد) : 149 ، 148 :
ابن جرجون (أبو مروان) : 148 :
أبو هادى : 84 :
أبو عثمان (عاشور) : 87 :

- أبو يزيد (طيفور) : 87 :
أرسطو (طاليس) : 134 ، 129 :
الأزدي (سليمان) : 141 :
أفلاطون (الفيلسوف) : 134 ، 132 ، 131 ، 129 :
ابراهيم (الخليل) : 133 :
أبو يعزى (يلنور) : 151 :

- ب -

- بشر (ابن الحارث الحافي) : 88 :

- ت -

- التونسي (أبو المواهب) : 156 ، 84 :
التجيبى (أبو عثمان بن ليون) : 132 :
التالدي : 147 :

- ج -

- الجنيد (أبو القاسم) : 10 ، 92 ، 88 ، 62 :
الجيلاني (عبد القادر) : 151 ، 85 ، 83 :
الجيلي (عبد الكريم) : 114 :
الجميل (علي) : 117 :

- ح -

- الحضرمي (أبو العباس) : 125 ، 88 :
الحلاج (أبو مغيث الحسين) : 137 ، 136 ، 135 ، 134 :
الحلبى (أحمد) : 154 :
الحرالى (أبو الحسن) : 158 :

- خ -

الخضر (عليه السلام) : 133

خليل (الشيخ) : 163

الدرقاوي (العربي) : 47

- د -

الدميري (الشيخ كمال الدين) : 147

- ذ -

ذو القرنين (الاسكندر الأكبر) : 133، 134

- ر -

الرازي (أبو محمد عبد الله النيسابوري) : 138

- ز -

زروق (أبو العباس أحمد الفاسي) : 50، 52، 82، 90، 113، 115، 124،

125، 131، 132، 133، 139، 140،

143، 144، 149، 152، 159، 160.

- س -

سليمان (عليه السلام) : 79

الساحلي (أبو عبد الله بن عبد الرحمن) : 91، 92

السوداني (أحمد بابا التنبكتي) : 225

سقراط (الفيلسوف) : 130، 134

السهروردي (شهاب الدين) : 143

السنوسي (الشيخ) : 145

سليمان (ابن عثمان) : 153

السبتي (أبو العباس) : 149

- ش -

- الشُّشْرِي (أبو الحسن) : 47، 51 :
الشاذلي (أبو الحسن) : 154، 128، 95، 89، 88، 79، 52، 51 :
الشبلي (أبو بكر) : 139، 138، 137، 136، 100 :
الشاطبي (ابراهيم) : 119 :
الشعراني (عبد الوهاب) : 156، 137 :
الشوذى (أبو عبد الله) : 142 :

- ص -

- الصدىق (أبو بكر (رض)) : 77 :

- ط -

- الطواح : 52، 49 :

- ع -

- العمرانى (على) : 88 :
على (ابن أبى طالب) : 67 :
العففى (التلمسانى : عفىف الدين) : 142 :
عىسى (علىه السلام) : 147 :
عبد الرازق (الشىخ) : 150 :
عز الدين بن عبد السلام : 154 :

- غ -

- الغزالى (أبو حامد) : 148، 147، 146، 50 :

- ف -

- الفاسى (عبد الرحمن) : 97، 69 :
الفرغانى (أبو سعىد) : 157 :

- ق -

القوري (الشيخ) : 50 :

قضييب البان (أبو عبد الله الحسن بن عيسى) : 142 :

- ل -

لبيد (أبو عقيل) : 55 :

فهرس المذاهب

96 - الجهمية
95 - القدرية
96 - الطبائعيون
96 - الفلاسفة
95 - المعتزلة
130 - الهرامس
130 - الهرامسة

فهرس الكتب

49 المصتصفى	(1)
49 المجل	(2)
52 العروة الوثقى	(3)
52 المقاليد الوجودية	(4)
52 الرسالة العلمية	(5)
132-52 الانالة العلمية في الانتصار للطائفة الصوفية	(6)
137 طبقات الشعراى	(7)
91 بغية السالك في أشرف المسالك	(8)
111 كفاية المحتاج	(9)
132 شفاء السائل في تهذيب المسائل	(10)
140 تجريد خلق الإنسان	(11)
143 خواص الأربعين الإدرسية	(12)
143 خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين	(13)
144 لبس إحاطة (الإحاطة)	(14)
146 إحياء علوم الدين	(15)
147 حياة الحيوان	(16)
148 بداية المجتهد ونهاية المقتصد	(17)
148 الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب	(18)
154 التفسير الكبير	(19)

فهرس المصادر والمراجع

باللغة العربية :

- القرآن الكريم

- مصادر الحديث النبوي الشريف

- معاجم التصوف والفلسفة

- ابن عجية (أبو العباس أحمد) :

• كتاب شرح نونية الششتري : مخطوط الخزانة الوطنية رقم 8/736/د.

• كتاب معراج التشوف إلى حقائق التصوف. ط 1، 1982م.

• كتاب الفهرس : مخطوط المكتبة الوطنية الرباط رقم 1845د.

• كتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لبنان (د. ت).

• شرح قصيدة في المحبة للششتري، مخطوط الرباط رقم 1388د.

- ابن فرحون (برهان الدين) :

• كتاب الدياج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، بيروت (د. ت).

- ابن ابراهيم (أبو العباس) :

• كتاب الإعلام بمن مراكش من الأعلام ج 2، 1974م.

- ابن قنفذ (أبو العباس) :

• كتاب أنس الفقير وعز الحقير، نشر محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط

1965م.

- ابن الخطيب (لسان الدين) :
• كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة، القاهرة 1974م.
- ابن عطاء الله (الاسكندري) :
• التنوير في اسقاط التدبير وبهامشه تاج العروس، القاهرة (د. ت).
• كتاب لطائف المنن، بيروت (د. ت).
- ابن عربي (محي الدين) :
• كتاب الفتوحات المكية، دار الفكر (د. ت).
• كتاب الرسائل، ط 2، دار صادر 1997م.
- ابن وهب (اسحاق) :
• كتاب نقد النثر، بيروت 1980م.
- ابن النديم (محمد بن اسحاق) :
• كتاب الفهرست، بيروت (د. ت).
- ابن مريم (أبو عبد الله) :
• كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ط 1، الجزائر 1908م.
- البغدادى (عبد القاهر) :
• كتاب الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1980م.
- التبكي (أحمد بابا السوداني) :
• كتاب نيل الابتهاج بتطوير الطراز،
- التادلي (ابن الزيات) :
• كتاب التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط 1984م.
- الجيلي (عبد الكريم) :
• كتاب الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، دار الرشاد، البيضاء، 1998م.

- الحلاج (أبو المغيث الحسين) :
• كتاب هكذا تكلم الحلاج. تحقيق قاسم محمد عباس، دار المدى 2009م.
- الحنبلي (عبد الحمي بن العمار) :
• كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب. دار الآفاق بيروت (د. ت).
- حلمي (مصطفى) :
• كتاب ابن الفارض والحب الإلهي. دار المعارف (د. ت).
- خشيم (علي فهمي) :
• كتاب أحمد زروق والزروقية. ط 3 بيروت 2003م.
- داود (محمد) :
• كتاب تاريخ تطوان. مطبعة المهدية 1966م.
- الرندي (ابن عباد) :
• كتاب شرح الحكم. دار الفكر ط 1 (د. ت).
- زروق الفاسي (أبو العباس أحمد) :
• مخطوط شرح النونية، الاسكوريال بإسبانيا رقم 40186.
- الشُّشُري (أبو الحسن) :
• الديوان. تقديم تحقيق محمد العدلوني الادريسي وسعيد أبو الفيوض، دار الثقافة، ط 1، 2008م.
• كتاب المقاليد الوجودية. تحقيق محمد العدلوني الادريسي دار الثقافة ط 1 2008م.
• كتاب الرسالة العلمية. تحقيق محمد العدلوني الادريسي ط 1، 2004م.
- الشهرستاني (أبو الفتح محمد) :
• كتاب الملل والنحل. دار المعرفة، بيروت، ط 3، 1975م.

- الصغير (عبد المجيد) :

- كتاب إشكالية إصلاح الفكر الصوفي. دار الآفاق الجديدة، ط 1، 1988م.

- العدلوني الإدريسي (محمد عبد الحفي) :

- كتاب نظرات في التصوف المغربي. ط 1، دار الثقافة 2006م.
- كتاب أبو الحسن الششتري ومدرسته. دار الثقافة 2005م.
- كتاب المرحلة الابتدائية في تكون التصوف بالغرب الإسلامي، ابن مسرة ومدرسته. دار الثقافة 2000م.
- كتاب التصوف في فلسفة ابن سبعين. دار الثقافة 2006م.
- كتاب ابن عربي ومذهبه الصوفي الفلسفي. دار الثقافة 2004م.

- عمار (سالم) :

- كتاب أبو الحسن الشاذلي. دار التأليف مصر 1951م.

- الغبريني (أبو العباس) :

- كتاب عنوان الدراية. دار الآفاق، بيروت، ط 2، 1979م.

- الغزالي (أبو حامد) :

- كتاب إحياء علوم الدين. دار الفكر بيروت 1980م.

- القشيري (عبد الكريم بن هوازن) :

- كتاب الرسالة. دار الكتاب العربي (د. ت).

- الكتيبي (شاكر) :

- كتاب فوات الوفيات. ط بولاق 1283هـ.

- الكتاني (عبد الله بن جعفر) :

- كتاب سلوة الأنفاس. ط 1، دار الثقافة 2004م.

– المقرئ (التمساني) :

• كتاب نفح الطيب. ط 2 بيروت 1968م.

– المكي (أبو طالب) :

• كتاب قوت القلوب، القاهرة 1321هـ.

– الندوي (أبو الحسن) :

• كتاب رجال الفكر والدعوة في الإسلام. دار القلم، الكويت، ط 4، 1974م.

باللغة الفرنسية :

– Lahoust (Henris) :

• Chiisme dans l'islam, Paris 1983.

– Michon (J. L)

• L'autobiographie (FAHRASA) du sofi marocain Ahmed Ibn 'Agiba, Leiden 1969.

• Le sofi marocain Ahmed Ibn Agiba et son Mirage, Paris, librairie philosophique, Jean Vrin 1979.

فهرس الموضوعات

اهداء 5

القسم الأول :

مقدمة التحقيق 7

الفصل الأول : تاريخ حياة صاحب القصيدة النونية وتاريخ حياة

شارحها 9

I- تاريخ حياة الششتري صاحب النونية 11

II- تاريخ حياة ابن عجيبة شارح النونية 17

الفصل الثاني : النص موضوع التحقيق : محتواه - منهجية تأليفه - قيمته

التاريخية والعلمية 27

أولا - النص موضوع التحقيق :

1- محتوى النص ومنهجية تأليفه 29

2- قيمة النص التاريخية والعلمية 33

الفصل الثالث : النسخة الخطية ومنهج التحقيق 35

أولا - وصف النسخ الخطية 37

ثانيا - منهج التحقيق 39

القسم الثاني

41

أولا - النص المحقق

43 شرح نونية الششتري لابن عجية الحسني

165 ثانيا - صور المخططات المعتمدة

ثالثا - ملحق :

185 القصيدة النونية كما حققناها ضمن ديوان الششتري

193 - الفهارس